الهيئة الاستشاريّة

الشيخ عبدالله عليّ الدقّاق

الشيخ عليّ فاضل الصدديّ

المشرف العام

الشيخ عبدالرؤوف حسن الربيع

رئيس التحرير

الشيخ عزيز حسن سلمان

مدير التحرير

السيد جلال عدنان علويّ

المدير المساعد

الشيخ جعفر عبدالنَّبيّ الجبوريّ

هيئة التحرير

الشيخ محمّد عليّ خاتم

الشيخ منصور إبراهيم حسين

الشيخ عبّاس عليّ الصايغ

الشيخ حسين أديب الناصر

السيّد مصطفى حسين ماجد

الرسالة والأهداف

* ترويج الفكر المحمّدي الأصيل عبر البحوث العلميّة والمقالات العامّة والتخصّصيّة.

* إعداد وتأهيل كتّاب ومحقّقين من طلبة العلم البحرانيّين في حوزة قم المقدّسة.

* إبراز نتاج الطلبة البحرانيّين والتعريف بمؤلّفاتهم.

* مخاطبة قرّاء العالم الإسلامي أجمع، والتمسّك بالثوابت الإسلامية والخط العلمائيّ الأصيل، مع الحفاظ على مبدأ الوحدة الإسلامية.

* مجابهة الأفكار الدخيلة والمنحرفة عن الدين.

* السعي للرقي والتقدّم بشكل مستمر على مختلف المستويات، والاهتمام بتطوير الكفاءات وزيادة الخبرات.

* السعي للغاية الكبرى وهي التمهيد لدولة صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

المحتويات

كلمة العدد

٥ **أيمكنُ ألَّا يكونَ المؤمنُ مجاهداً؟**
رئيس التحرير

حوار العدد

١١ **في رحابِ الجِهاد والشَّهادة**
حوار مع سماحة الشَّيخ جاسم الخيَّاط حَفِظَهُ اللهُ

محور العدد: الجهاد والشهادة

٢٧ **المرجعيَّة ونماذجُ من الدَّور الجِّهادي**
الشَّيخ محمود حسن العالي

٣٥ **الجهاد وثقافة الشَّهادة في فكر القائد آية الله الشَّيخ عيسى قاسم حَفِظَهُ اللهُ**
الشيخ عزيز حسن الخضران

٦١ شرف الحُسْنَيَيْن... العلمُ والشَّهادة (نظرة حول كتاب «شهداء الفضيلة» للعلامة الأميني)
الشَّيخ محمَّد علي الخاتم

بحوث ومقالات أخرى

٧٩ الأثر التَّكويني للدُّعاء
الشَّيخ محمود صادق النَّجار

٩٧ شخصنة الدِّين وجدليَّة العاطفة
الشيخ علي أحمد الجفيري

١١٩ زواج السَّيِّدة المعصومة عليها السلام
الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

١٣٤ نزول القرآن بين الدَّفعي والنُّجومي
الشَّيخ أحمد محمَّد الشَّيخ

١٥٥ ملامح الرِّجال (القسم الثالث)
الشَّيخ علي حسين يعقوب

١٦٧ وجوب الأذان والإقامة
السيِّد مصطفى السَّيِّد حسين الموسويّ

١٨٩ حكمُ الحدَثِ في الطَّواف الوَاجب
الشيخ عليّ فاضل الصدديّ

أيمكنُ ألَّا يكونَ المؤمنُ مجاهداً؟

بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ..

كلمةُ "**الجِهاد**" -كغيرها من المفاهيم المهمَّة- وقَعَ عليها كثيرٌ من التَّحريف والتَّبديل والتشويش وقلب المفاهيم، فقد تُسلب عمَّن يستحقها، وقد تُعار لمن هو فاقد لأدنى مقوِّماتها، وما ذلك إلّا لكونها غير مفهومة عند الكثير من النَّاس..

(الجِهادُ) مصطلحٌ قرآنيّ وروائيّ، وُضعت له محدِّدات ومقوِّمات، ويحمل هذا المصطلح معانٍ مباركةٍ مقدَّسةٍ تقع ضمن المنظومة الإسلاميّة المتكاملة.. ففقد هذا المفهوم وإزالته من حياة المؤمنين أو تغييره وتفسيره بغير ما أراده اللهُ له يؤدِّي إلى نقصٍ في هذه المنظومة، وبالتَّالي حصولُ الخَلل في التديُّن والإيمان..

المسيرة النبويّة في الجهاد

فالجهاد.. بدأ منذُ اليوم الأوَّل لبعثة النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حينما تلقَّى الوحيَ وكانت المهمَّةُ ثقيلةً ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾(المزمّل:٥)، فكان يحتاج إلى جهادٍ

في حمل هذه الرِّسالة.. فأرشده الله سبحانه ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾(المزمل:٢-٤)، فحمل الرِّسالة جهادٌ يحتاج إلى جهاد آخر وهو قيام الليل وقراءة القرآن..

واستمرَّ جهادُه صلى الله عليه وآله حينما أُمِرَ بالصَّدع بالدَّعوة.. لمواجهة الشِّرك بصورة علنية مباشرة مع كبار القوم.. وكانت من الأمور الصَّعبة.. فتلقَّى الاستهزاء، والأذيَّة، والتَّكذيب، والشَّتم، والحرب، حتى أخرجوهُ من حرمِ اللهِ سبحانَه.. أفكانَ ذلكَ لا يحتاجُ إلى جهادٍ ومواجهةٍ؟!!

ثمَّ.. كوَّن الدولة الإسلاميّة في المدينة التي نُوِّرَت بقدومِه صلى الله عليه وآله، فكانت المواجهات العسكريّة التي استمرَّت منذُ بدء إنشاء الدَّولة وحتى رحيله وهو يدعو الأقوام، ويراسل الملوك، ويواجه المشركين، ويحذِّر من المنافقين، فحمل السَّيف وشارك في المعارك حتى كُسِرت رباعيَّته صلى الله عليه وآله.. حتى ارتحل كريماً إلى ربِّه، شهيداً وشاهداً على ما فعلت الأمَّة به صلى الله عليه وآله، ﴿**وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ (الحج:٧٨)، أفكان يتمكَّن صلى الله عليه وآله ممَّا أداه بدون الجهاد؟!

مسيرة المعصومين عليهم السلام في الجهاد

وبدأ بعدَه وصيُّه عليٌّ عليه السلام مسيرةَ الجهاد -بعدما أبلى بلاءً حسناً في حياة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وتكسَّرت الأصنامُ بسيفِه- فصبَرَ على غصبِ الخلافة «**فصبرتُ وفي العينِ قذًى، وفي الحلْقِ شجا، أرى تراثيَ نهباً**»[1] بعدما أقام الحُجَّة على القوم، وتصبرَّ وتجلَّد لما جرى على بضعة النَّبي صلى الله عليه وآله، وتجرَّع الغُصَص، ثمَّ لَمَّا جاءته الخلافة راغمةً حمل السَّيف على عاتقه ليواجه طيش النَّاكثين والقاسطين والمارقين، وقد ابتلي بمن معه حتى قال مخاطباً: «**لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً،**

(١) نهج البلاغة، (الخطبة الشقشقيّة)، ج١، ص٣١.

وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان»[1]، أفكان ذلك يتمُّ لولا عنصر الجهاد والاستعداد للشهادة؟!

وبعد أن أدَّى عليٌّ عليه السلام ما عليه من رسالة وأمانة ختم الله تعالى له بالشهادة في محراب الصلاة، وسبقته في ذلك الصديقة الكُبْرى عليها السلام.

ثمَّ حمَلَ الرَّاية بعدَه ابنُه المجتبى عليه السلام، ليكملَ المسيرة الجهادية في مواجهة الضَّلال والانحراف، فحاربَ وقاتلَ وتحمَّل، ولمَّا غلبَ الغيُّ على عامَّة النَّاس فرضوا بالقليلِ من الدُّنيا وتركوا «الجِهاد» ابتلاهم اللهُ بمعاوية وخسروا نعمة الإمامة والعصمة، فبقيَ الإمامُ المجتبى عليه السلام يواصل جهاده ولكن خارج ساحة المعركة العسكرية.

ثمَّ جاء السبط الثاني أبو الشهداء عليه السلام ليختم حياته بمواجهة الباطل والكفر والجحود بعد أن لم يكن طريق آخر إلّا طريق الشهادة والتضحية..

وهكذا بقية الأئمّة عليهم السلام، ابتليَ الواحد منهم بعد الآخر، بالسجن والإشخاص والملاحقة والإهانة.. أفكان ذلك يحصل لولا أنَّهم كانوا في مواجهةٍ مع الظَّالمين مجاهدين مدافعين عن دينِ الله سُبحانه؟! وهكذا مسيرة العلماء والفقهاء طول التاريخ.

إلى أن يظهر صاحبُ الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف فينشر العدل في الأرض عن طريق جهاد مردة الجنّ والإنس، ومواجهة المنحرفين عن خطِّ السَّماء..

أصالة مفردة الجهاد وأنواعه

كلُّ ما مرَّ يشيرُ إلى أنَّ مفردة (الجهاد) ليست من الأمور الكمالية في شخصيَّة المؤمن، بل هي محورٌ أساسٌ في حياتِه الإيمانية مهما اختلفت الظُّروف.. يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾(الحجرات:١٥).

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٧٠.

وما يتغيّر ليس الجهاد بما هو جهاد، وإنّما تتغيّر الطّريقة في تفعيل هذا الجهاد ومواجهة الباطل..

فقد يتحتّم على المؤمن حمل السّلاح للمواجهة العسكريّة..

وقد يحتاج إلى المواجهة بالكلمة والموقف..

وقد يواجه بالامتناع عن الدُّخول مع الظّالم في مشَاريعِه الشّيطانية.. وهذا ليس بأقل كلفة من غيره، فقد يكون الظّالمُ شرساً ومصراً على إخضاعِ المؤمن، فالثّباتُ على الموقف، ورفض الخُنوع والخُضوع قد يكون أكثرُ كلفةً في بعض الأحيان..

قد يواجه المؤمنُ مضايقاتٍ جمّة ومكلفة حينما يصرُّ على تأدية وظيفته الشّرعية من تعليم النّاس، وتربيتهم، والمشاركة في البرامج الإيمانية، والمؤسسات الاجتماعيّة.. هذا كله يحتاج إلى جهاد.. يقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(التوبة:١٦). ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النحل:١١٠).

التقيّة ليست مبرراً لترك المسؤوليّة

ولا يصحُّ أبداً أن يتمسّك المؤمنُ بمسألة التّقية أو خوف الفتنة لأجل التّخلّي عن الوظيفة الإلهيّة الملقاة على عاتقه فيبقى حبيس الدار أو بعيداً عن هموم أمّته والنّاس.. فالأئمة عليهم السلام الذين عاشوا أقسى ظروف التقيّة سُجنوا وشُرِّدوا وقُتلِوا لأنّهم عليهم السلام أصرُّوا على حملِ الرّسالة رُغم عُظم المِحنَة..

ولا أريد هنا أن أشخِّص للنّاس مسؤوليّاتهم الخارجيّة وما يجب أو لا يجب، فهذا ما يشخِّصَه أهلُ الخُبرة من العلماء والفقهاء العدول في الأمور المصيريّة والكليّة.. أو

يشخِّصَه المؤمنُ ببصيرته في الأمور العاديّة والجزئيّة.. ولكن الحذر ثمَّ الحذر من التَّبرير للنَّفس لأجل الهروب عن الوظيفة الشَّرعيَّة استثقالاً واستئناساً بمتاعِ الحياة الدُّنيا..

العدوّ وتشويه مفردة الجهاد

لقد أدرك أعداءُ الدِّين ما للجِهادِ من مكانةٍ وتأثيرٍ كبيرٍ جداً في مواجهة باطلهم ومشاريعهم الشَّيطانية.. فعملوا على تشويه هذه المفردة وتغيير مفهومها بحيث تُساوق معنى الفوضى والعنف غير المبرر والتخلف والعنجهيّة، وحيث إنّ «الجهاد الأصيل» وكذلك المؤمنون بريؤون كلَّ البراءة من تلك العناوين جاءوا بمجموعة من أوباش الأرض وسفلتهم والمخدوعين منهم، فأطلقوا عليهم اسم المجاهدين ثمَّ دعموهم وتركوهم يعيثون في أرض الإسلام الفسادَ باسم الجهاد، فشَّوهوا (مفهوم الجهاد) وحقَّقوا الغرض السَّيِّءَ لهم في نشر الخوفِ والفَوضى في بلادِ المُسلمين..

وقد تأثَّر بعض النَّاس البسطاء بما يحصل -رغم وضوح المؤامرة- فأصبح لفظ الجهاد لديهم ممجوجاً، ومن يتلبَّس بهذا الاسم -ولو كان أهلاً له- ممقوتاً..

وكلمة الفصل لكتاب الله عزّ وجلّ، حيث يقول سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(البقرة:٢١٨). ويقول في مورد آخر: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**(آل عمران:١٤٢).

ويخاطب المؤمنين آمراً قارنا الجهاد بالتقوى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**(المائدة:٣٥).

وفي سورة التوبة ما يبدو منه التهديد يقول تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**(التوبة:٤١)، بل يقول في نفس

السورة في شأن المتخاذلين: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾(التوبة:٤٤).

ومن يتأمَّل في هذه الآيات سيدرك عظمة الجهاد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(التوبة: ٢٠).

ونختم بهذه الآية مع الدعوة إلى مزيد تأمل فيها، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(الحج:٧٧-٧٨).

فالمؤمن لا يمكن إلا أن يكون مجاهداً في سبيل الله تعالى، والجهاد جزءٌ من الإيمان، ومقوِّم له، وكاشف عنه، وخلوُّ الإنسان منه يدلُّ على النقص وعدم الوعي، وعدم إدراك السر في بعثة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ..

نسأله عزّ وجلّ أن يأخذَ بأيدينا إلى طريق الصَّواب، ويجعلنا من المجاهدين في سبيله تحت راية وليّه(صلوات الله عليه وعلى آبائهم الطاهرين).

والحمد لله ربِّ العالمين.

رئيس التحرير

في رحابِ الجهاد والشَّهادة

حوار مع سماحة الشَّيخ جاسم الخيَّاط حفظه الله [1]

حاوره: أسرة التحرير

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ الجهاد بابٌ فتحَه اللهُ لخاصَّة أوليائِه وسوَّغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجِهاد لباسُ التَّقوى ودرعُ اللهِ الحصينة وحصنه الوَثيقة، فمن تركَه رغبةً عنه ألبسه اللهُ ثوبَ المذلَّةِ وشملةَ البلاء، وفارق الرَّخاء وضرب عليه قلبه بالأشباه، وديث بالصغار والقماء، وسيم الخسف، ومنع النصف، وأديل الحق منه بتضييعه الجهاد، وغضبَ اللهُ عليه بتركه نصرته، وقد قال الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**(سورة محمد:٧)»[2].

---

(١) سماحة الشَّيخ جاسم الخيَّاط، من أهالي البحرين، وفضلائها العاملين، وله حضورٌ فعَّالٌ ومشهود في مختلف النشاطات الدِّينيّة والتبليغيّة والاجتماعيّة، كالإرشاد في الحجّ والعمرة، وإمامة الجماعة، وإلقاء المحاضرات، وهو عضو في المجلس الإسلاميّ العلمائيّ وكثير من المؤسّسات الاجتماعيّة والدينيّة.

(٢) نهج البلاغة، ج١، ص٦٧، وتهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٦، ص١٢٣-١٢٤، وروضة الواعظين، الفتال النيسابوريّ، ص٣٦٣.

لتأصيل هذه الفريضة العظيمة المحوريّة في الشَّريعة، بل عند كلِّ المجتمعات العقلائيّة؛ حيث لا قرار لمجتمع ولا أمان له إلّا إذا كان قد أعدَّ العدَّة، واستعدَّ لحماية نفسِه من مختلف الأخطار والأعداء، وكان مستعداً للتَّضحية والفداء لأجل عقيدته ومبادئه نُجري هذا الحوار مع سماحة الشَّيخ جاسم الخَيَّاط حفظه الله، لنستوضح منه عن بعض ما يتعلَّق بهذه الفريضة وما يلازمها من وسام الشَّهادة، فإليكم نصَّ الحوار:

■ **سماحة الشِّيخ العزيز.. نبدأ معكم بهذا السُّؤال حول الجِهاد: ما هي مكانة الجهاد في الإسلام وفي الشَّرائع السَّماوية السَّابقة؟**

منزلة الجهاد في الإسلام عظيمةٌ فقد أولى الإسلام الجِهاد عنايةً خاصَّة، وأشارت الكثيرُ من النُّصوص الشَّرعية إلى فضلِه وأهميّتِه، وخلاصةُ ما يمكن أن يستفاد منها أنَّ الجِهاد هو:

عماد الدِّين:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الجهاد عماد الدِّين، ومنهاج السُّعداء**»(١).

وقمَّة الإسلام:

عن الصادق عليه السلام: «**أصلُ الإسلام الصَّلاة، وفرعُه الزَّكاة، وذروة سنامِه الجهاد في سبيل اللّه**»(٢).

وركن الإيمان:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**للإيمان أربعة أركان: الصَّبر، واليقين، والعدل، والجهاد**»(٣).

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص٤٤٤.

(٢) دعائم الإسلام، القاضي النعمان، ج١، ص٣٤٢.

(٣) دعائم الإسلام، القاضي النعمان، ج١، ص٣٤٣. وعنه في بحار الأنوار، ج٩٧، ص٤٩.

وأشرف الأعمال وقوام الدِّين:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الجهاد أشرفُ الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدِّين**»(١).

وقد جمع أميرُ المؤمنين كلَّ ذلك فقال عليه السلام في مستهل خطبته عن الجهاد:

«**... فإنَّ الجِهاد بابٌ من أبواب الجنَّة، فتحَه اللهُ لخاصَّة أوليائِه، وهو لباسُ التَّقوى، ودرع الله الحصينة، وجنَّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه اللهُ ثوبَ الذِّل وشملة البلاء، وديث بالصغار والقماء**»(٢).

ويستفاد من هذه النُّصوص أنَّ أفضلية الجهاد ناشئة من كونِه:

١. به يدافع عن الدِّين.

٢. به ينتصرُ الدِّينُ.

٣. به عزَّة الدِّين ومنعتُه.

٤. به يفوز المؤمنون بالثَّواب العظيم.

■ **ما هو دور الجهاد في تربية الإنسان؟ وما هي العلاقة بين الجهادين الأكبر والأصغر؟**

الجهاد له دور مهمٌّ جداً في تربية الإِنسان التَّربية الصَّالحة، وجعله يحرص على التحلِّي بمكارم الأخلاق، وذلك لأنَّ الجهاد يعني أنَّ الإِنسان معرَّض للموت في أيِّ لحظةٍ -وهذا أمرٌ لا بدَّ أن يتيقَّن به الإِنسان حتى لو لم يكن في ميدان القِتال؛ لأنَّ الأعمار بيد الله تعالى- لكنَّ الإِنسان بطبيعته يؤمن بهذه الحقيقة أكثر عندما يواجه خطرَ القَتل، وهو متحقِّق في ميادين الجهاد، وفي هذه الظُّروف يصير قلبَ الإِنسان متعلِّق بالله سبحانه أكثر ويكون إليه أقرب.

---

(١) الكافي، الكلينيّ، ج٥، ص ٧٣، وعنه في الوسائل، الحرّ العامليّ، ج١٥، ص٩٤.

(٢) نهج البلاغة، (خطبة٢٧)، ج١، ص٦٧.

فيصير الجهادُ دافعاً للالتزام بالأحكام الشَّرعيّة، والقيم الأخلاقيّة بشكلٍ أشدّ، ويُقبِلُ على الله بالعبادة والمناجاة بقلبٍ أصفى؛ لأنَّ المجاهدَ يعيشُ حالةَ ترقُّب الرَّحيل واللِّقاء بالمعشوق بدرجةٍ أقوى فيتعلَّق قلبُه بالله تعالى.

وقد نُقلت عن الإمام الخميني رضوان الله عليه كلمةٌ في وصف الشَّباب المجاهدين وحالتهم الروحيّة اللذِين وصلوا في وقت قصير إلى مراتب عالية من القرب الإلهيّ، والتي لعلَّهم تفوَّقوا فيها على من أمضى حياةً طويلةً في السَّير إلى الله تعالى.

ومن جهة أخرى فإنَّ الإِنسان الذي لا يملك جهاد النَّفس ولم يهذِّب نفسَه على وفق مقتضيات الشَّرع وأحكامه، يصعب عليه جداً أن يَثبت في ميادين الجهاد الصَّعبة، فسرعان ما تزلُّ قدمُه ويخذل الحقَّ، وإنْ تظاهر بالتديُّن، وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام: **«النَّاس عبيد الدُّنيا والدِّين لعقٌ على ألسنتهم يحيطونه ما درَّت معايشهم، فإذا محصُّوا بالبلاء قلَّ الدَّيانون»**(١).

أمَّا من ربَّى نفسَه على الالتزام بأحكام الله تعالى وقيم الدِّين، فإنَّه يكونُ راسخَ القدم في الدِّفاع عن الحقِّ وأهله، وأذكر كلمة لسماحة آية الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم حفظه الله في هذا الشَّأن يقول فيها: **"إنَّ الحرَّ لم يكن صفراً -أي من حيث الملكات النَّفسيّة- ولو كان صفراً لما تحوَّل إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام"**.

فالعلاقة بين الجهادين أنَّ أحدهما يدعم الآخر، وإنَّ مقتضى الحديث المنقول عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ جهاد النَّفس أعظم وأكبر، لأنَّه مستمرٌّ ما بقي الإِنسان حيَّاً، فإنَّ عليه أن يجاهد أهواءه ورغباته، وأن يراقب نفسَه على الدَّوام لكي لا يقع في مخالفة أمر الله ونهيه.

عن النَّبي الأكرم صلى الله عليه وآله: إنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله بعث سرية فلمّا رجعوا قال: **«مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر»**، فقيل: يا رسول الله، ما الجهاد الأكبر؟ قال:

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحرانّي، ص٢٤٥، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٣٨٣.

«جهاد النَّفس»(١).

■ قد يقال بأنَّ مفهوم الجهاد يتنافى مع سماحة ومسالمة ورحمة الإسلام، ما تعقيبكم على ذلك سماحة الشَّيخ؟

الجهاد وإنْ كان يلزم منه الدَّفع بالقوَّة الرَّادعة، وقد لا يتحقَّق ردع العدوّ إلّا بالقَّتل، ولكن هذا القَّتل هو لازمٌ لتحقيق السَّلام، وليس منافياً للسَّلام.

وهو كالعقوبات اللازمة لحفظ المجتمع من الجرائم تماماً، مع ما في العقوبة من ألمٍ للمعتدي، وهو أمرٌ لازمٌ يقصدُه المشرِّع ويُقرُّه العقلاء لحفظ أمن واستقرار أيِّ مجتمع.

قال تعالى ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾(البقرة:١٧٩).

وقالت العرب قديماً: "**القتل أنفى للقتل**".

إذاً الرَّدع بالقوَّة أمرٌ لازمٌ لسلامة أيّ مجتمعٍ وأمنِه.

لذا نجد كلَّ الدُّول تنفقُ جزاءً كبيراً من ميزانيتها على بناء جيشٍ قويٍّ من حيثُ العدَّة والعدد، قادرٌ على الدِّفاع عند تعرُّض بلدِه للخطر الخارجي، ولو لم تفعل أيُّ دولةٍ ذلك مع قدرتها عليه لوصمَ العقلاءُ قادةَ ذلك البلد بقلّةِ الحكمة والعقل.

قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾(الأنفال:٦٠).

ظاهرُ الآية الاستعداد لحفظ النَّفس بالدِّفاع الرَّادع للعدو، فالعدوُّ الذي لا يخافك ولا يرهبك لا يرتدع عنك فلا تكون في مأمنٍ من غدرِه.

■ ما هي أهمُّ الرَّكائز لأيِّ حركة جهادية؟ خصوصاً أنَّه تمَّ تشويه مفهوم الجهاد

(١) الكافي، ج٥، ص١٢.

والشَّهادة، فحينما تسمع كلمة «جهاديّ» فإنَّه يساوي معنى الإرهابي والمتخلِّف!!

أهمُّ ركيزةٍ لأيِّ حركةٍ جهاديةٍ أن يكونَ دافعها الدِّفاع عن الدِّين وأحكامه، وإعلاء كلمةِ الله، ومن أحكام الدِّين إقامة العدل والحفاظ عليه:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ (النحل: ٩٠-٩١).

لذا نجد فقهاءنا قد ذكروا جملةً من أحكام الجهاد التي أكَّد عليها الإسلام، والتي منطلقها العدل والإحسان حتى مع العدو.

ومن تلك الأحكام:

١. لا يجوز قتل الشَّيخ الفاني، ولا المرأة، ولا الصَّبي، ولا الأعمى.

٢. لا يجوز حرق الزَّرع، ولا قطع شجرة الثَّمر، ولا قتل البهائم.

٣. لا يجوز خراب المنازل، والتهتُّك بالقتلى.

٤. لا يجوز لمسلمٍ أن ينهزم من محاربين إلا متحرِّفا لقتالٍ أو متحيِّزا إلى فئة.

٥. إذا أسر المسلمون كافراً عُرِضَ عليه الإسلام ورُغِّب فيه، فإن أسلم أطلق[١].

■ **في زماننا الحاضر، هل انتهى زمنُ الجهاد ومفهوم الشَّهادة والتَّضحية من ناحية عمليّة أم لا بدَّ من تفعيل هذه المفاهيم وبيانها للنَّاس، وإبقاء جذوتها حيَّة في النُّفوس؟**

في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يوجدُ فيه المنكر والظُّلم، وتسلُّط أهل الباطل وانتهاك الدِّين وحدوده، وغياب العدل، واستضعاف أهل الحقِّ، وانتهاك حقوقهم، فالجهاد واجبٌ إنْ

---

(١) راجع الكافي، للحلبيّ، ص٢٥٦-٢٥٧.

شخَّص الفقيهُ الجامع للشَّرائط ذلك.

وخيرُ شاهدٍ على ذلك فتوى سماحة آية الله العظمى السِّيد عليّ السِّيستانيّ بالجهاد الكفائيّ ضدَّ التَّكفيريّين القتلة، الذين احتلُّوا جزءاً من العراق، وعاثوا في الأرضِ فساداً.

فلولا وجود مفهوم الجهاد حيّاً حاضراً في نفوس النَّاس لما تحرَّكت حشود الجماهير الهائلة لتدفع العدو الشَّرس وتحبط مخطط الاستكبار العالمي في العراق.

■ **كيف نخلق الرُّوح الجهادية الفدائية التَّضحوية عند النَّاشئة؟**

نخلق الرُّوح الجهادية عند الشَّاب المؤمن، ببيان أحكام الجهاد في الشَّريعة، ومكانته عند الله تعالى، وأهمِّيّته لحفظ الدِّين وأهله، وبيان مقدار ثواب المجاهدين وفضلهم على القاعدين عند الله. قال تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾(النِّساء: ٩٥-٩٦).

وأنَّه لولا الجهاد لما عاش المجتمع حالة الأمن والاستقرار، وساد الهرجُ والمرج ولضاع الدِّين والقيم.

■ **ورد في الحديث الشريف عن إمامنا الصادق عليه السلام: «ليعدَّنَّ أحدُكم لخروج القائم ولو سهماً؛ فإنَّ اللهَ تعالى إذا علم ذلك من نيَّتِه رجوتُ لأن ينسئ في عمره حتى يدركه فيكون من أعوانه وأنصاره»[١]، كيف نفعِّل مثل هذا الحديث في زماننا المعاصر؟**

يتحدَّد تكليفُ الإنسان ودوره في الحياة بحسب مقتضيات الظَّرف الذي تعيشه الأمَّة، وفي كلِّ أيام زمن الغيبة نحن مكلَّفون بالتَّمهيد للظُّهور المبارك للإمام الحُجَّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

فتارةً يكون ظرفُ مكلفٍ بالإعداد العسكري المسلَّح، ويقد يكون ظرفٌ آخر

(١) الغيبة، النعماني، ص٣٣٥.

بالحرص على الوصول إلى المراتب العالية من المعرفة بالإسلام ليكون حصناً منيعاً يدفع الشُّبهات عن الدِّين الحقّ، فيحفظ شباب الأمَّة من التَّأثر بتلك الشُّبهات والاغترار بأباطيل أعداء الدِّين، وآخر بالكلمة الحرَّة الصَّادقة، التي تربط النَّاس بدينهم، وتبثُّ فيهم روح الحماسة لتحمل مسؤوليّة التّكليف الشَّرعيّ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وتربطهم بإمام الزَّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فالتَّمهيد لخروج صاحب العصر والزَّمان يحتاج إلى الاستعداد النَّفسيّ والرُّوحيّ لتقبُّل الحقّ والعدل، وإلى استعدادٍ علميٍّ وثقافيٍّ وعسكريٍّ يؤهِّل المنتظرين لمساندة الإمام ومناصرتِه في إقامة دولة الحقّ، حيثُ إنَّ ذلك لا يكون إلّا بعد قتل وقتال شديدين.

عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد ذكر القائم عليه السلام فقلتُ: إنِّي لأرجو أن يكون أمرُه في سهولة، فقال: «**لا يكون ذلك حتى تمسحوا العلق والعرق**»[١].

■ **لماذا أعطى المولى الجهاد كل هذه الأهميّة، التي ذكرناها في أول الحديث؟**

ذلك بسبب ما يتوفر عليه الجهاد من دعامة قوية وركيزة هامَّة للدِّفاع عن الدِّين وحفظه من الضَّياع، وقد أشارت بعض الروايات إلى هذه الحقيقة، وأنَّه لولا فريضة الجهاد لما بقي للإسلام أثر ولا ذكر؛ ويشهد لذلك قول النَّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الخندق: «**برز الإيمان كلُّه إلى الشِّرك كلِّه**»[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**ضربة عليٍ لعمرو يوم الخندق تفضل عمل الثَّقلين إلى يوم القيامة**»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**الجهاد الذي فضَّله الله على الأعمال... لأنَّه ظهر به الدِّين، وبه يدفع عن الدِّين**»[٤].

---

(١) الغيبة، النعماني، ٢٩٥، وبحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٥٨.
(٢) كنز الفوائد، أبو الفتح الكراكجي، ص١٣٧، وبحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٥٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٢٩، ص١.
(٤) الكافي، الكلينيّ، ج٥، ص٣.

وفي الحديث: «**إنَّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدِّين، والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة...**»(١).

■ فيما يتعلق بالشهادة وهي نوع من أنواع الموت، ما هي النظرة الإسلاميّة بشكل عام إلى الموت؟

الإسلام ينظر إلى الموت أنَّه انتقالٌ من نشأة إلى نشأة، وأنَّ سعادةَ الإنسان الحقيقية أو شقاءه الحقيقي إنَّما يكون بعد الموت؛ لأنَّ الآخرة هي الحياة الحقيقية، قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ (العنكبوت: ٦٤).

وأنَّ الموت أمرٌ حتميٌّ على كلِّ إنسان، قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (آل عمران ١٨٥).

﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾(الرحمن:٢٦-٢٨).

وقال الشاعر:

من لم يمت بالسِّيف مات بغيره	تعدَّدت الأسبابُ والموتُ واحدُ

كما أنَّ نظرةَ الإسلام إلى أنَّ الجهاد لا يقرِّب الأجل، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(آل عمران: ١٦٨).

■ للشَّهيد مكانةً عظيمةً جداً حسب الرِّوايات، لِمَ نالَ الشَّهيد هذه المرتبة العظيمة؟ وما

(١) الكافي، الكلينيّ، ج٥، ص٣٧، والوسائل، الحرّ العاملي، ج١٥، ص٩٤.

هو منشأ قدسية الشَّهادة؟

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

يظهر من الآية المباركة لمَ جعل الله سبحانه للشُّهداء مقاماً خاصّاً، وضمن لهم الجنَّة؛ وذلك لأنَّهم باعوا أنفسهم لله تعالى، ووضعوا أنفسهم حيثُ يأمرهم ربُّهم، حتَى لو كلَّفهم ذلك سفكَ دمائِهم وزهق أرواحهم، وما بعد هذا البذلِ بذلٌ أبداً.

"الجودُ بالنَّفس أسمى غاية الجود"

فقد روَي عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «**فوقَ كلِّ ذي برٍ برٌ، حتى يُقتل المرءُ في سبيل الله فليس فوقه بر**»[١].

وروَي عنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «**أشرفُ الموت قتل الشَّهادة**»[٢].

وروَي عن إمامنا السَّجاد عَلَيْهِالسَّلَامُ: «**ما من قطرةٍ أحبُّ إلى اللهِ من قطرتين؛ قطرةُ دمٍ في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها العبدُ إلّا اللهَ عَزَّوَجَلَّ**»[٣].

ولعظم مقام الشَّهادة كان يطلبها أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ في أدعيتهم:

فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ في كتابه لمالك الأشتر: «**وأنا أسألُ اللهَ بسعةِ رحمتِه، وعظيم قدرته على إعطاء كلِّ رغبة، أن يوفِّقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثَّناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام**

(١) الكافي، ج٥، ص٥٣.
(٢) الدعوات، القطب الراونديّ، ص٢٤٢، وبحار الأنوار، ج٩٧، ص٨.
(٣) الخصال، الصدوق، ص٥٠، وميزان الحكمة، ج١، ص١٨٤.

النِّعمة، وتضعيف الكَّرامة، وأن يختمَ لي ولك بالسَّعادة والشَّهادة»[١].

ومن دعاء إمامنا السَّجاد عليه السلام: «**حمداً نسعد به في السُّعداء من أوليائه، ونصير في نظم الشُّهداء بسيوف أعدائه**»[٢].

وكثرة طلب الشَّهادة في الأدعية المنسوبة لصاحب الزَّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف الواردة في شهر رمضان ممَّا يدلُّ على عظمة مقام الشَّهيد والشَّهادة عند الله تعالى.

فمنشأُ قدسية الشَّهادة أنَّها تضحية بالنَّفس، وهي أغلى ما يملكه الإنسان، لإسعاد الأمَّة بنعمة الإسلام والإيمان في أمن وأمان، وعزٍّ وكرامةٍ، كما أراد لها ربُّ العزَّة والجلال.

■ **من الملاحظ أنَّ للشُّهداء مكانةً خاصّةً حتى في قلوب النَّاس، ما هو السِّر في خلود دمِ الشَّهيد؟**

قال سُبحانه وتعالى: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾(البقرة: ١٥٤).

إنَّ اللهَ تعالى جعل في الشَّهادة حياةً لدينِه، وإنَّ الأمَّة التي تقدِّم الشُّهداء، وتعتزُّ بالشُّهداء، وتفخر بالشُّهداء أمَّة عزيزة، لأنَّها أمَّة ولَّادة للشُّهداء، فالجيل الذي يتربَّى على حبِّ الشَّهيد، يعشقُ الشَّهادة، والأمَّة التَّي فيها من يعشقون الشَّهادة لا تقهر؛ لأنَّها أمَّة تملك من يضحِّي بالنَّفس لأجلها فضلاً عن النَّفيس.

لذا جعل اللهُ في قلبِ الأمَّة حبّاً للشُّهداء وحرارةً لدمائهم، فكلُّ من يدرك أنَّ الشَّهيد ضحَّى بدمِه لتحيى الأمَّة عزيزةً يشعرُ بأنَّه مسؤولٌ عن دمِ الشَّهيد، وأنَّ من واجبِه حفظَ تلك الدِّماء من الضَّياع، ودلَّت الآيةُ على أنَّ الشُّهداء لهم حياتهم بعدَ الشَّهادة، ومن حياتهم حياتهم في ضمائر الأحرار، تحرُّكهم نحوَ أهدافِهم التي استشهدوا من أجلِها

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص١١٠.

(٢) الصحيفة السَّجاديّة، (الدعاء الأول).

بدافعيّةٍ عجيبة.

فالأحرارُ يعشقونَ الشُّهداء لَمَّا وجدوا فيهم من روح التَّضحية والفداء، وعشقوا الشَّهادة لَمَّا وجدوا فيها من المقام الرَّفيع لهم عند الله تعالى، والعزَّة والكرامة لأمَّتهم.

روَي عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ: «**الشُّهداء عند الله على منابر من ياقوت في ظلِّ عرش الله يومَ لا ظلَّ إلا ظلُه وعلى كثيبٍ من مسك، فيقول لهم اللهُ: ألم أوفِ لكم وأصدقكم؟ فيقولون بلى وربِّنا**»[1].

وروَي عن أمير المؤمنين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «**فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين**»[2].

■ **للإمامِ الحُسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ -وهو سيِّد الشُّهداء- مكانة خاصَّة، وشهادتُه المباركة تتميَّز عن سائر المعصومين عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ بأنَّها كانت في ساحة المعركة، وهناك تركيز من الرِّوايات على قضية الحسين الشَّهيد عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فهل نفهم من ذلك أنَّ المنشأ هو عنصر الشَّهادة والجهاد أم هناك خصوصيَّات أخرى؟**

روَى أحمد ابن أعثم: فلمّا كانت الليلة الثَّانية خرج[الحسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ] إلى القبر أيضاً فصلَّى ركعتين، فلمَّا فرغ من صلاتِه جعل يقول: «**اللّهمَّ، إنَّ هذا قبر نبيِّك محمَّد، وأنا ابن بنت محمَّد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهمَّ، وإنّي أحبُّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقِّ هذا القبر ومن فيه، [إلا] ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى**».

قال: ثمَّ جعل الحسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ يبكي، حتى إذا كان في بياض الصُّبح وضعَ رأسَه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النَّبى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ قد أقبلَ في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن

---

(١) كنز العمال، ج٤، ص٣٩٧.

(٢) نهج البلاغة، ج١، ص١٠٠.

بين يديه ومن خلفه حتى ضمَّ الحسين عليه السلام إلى صدرِه، وقبَّل بين عينيه، وقال صلى الله عليه وآله: «**يا بني، يا حسين! كأنَّك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرضِ كربٍ وبلاءٍ من عصابة من أمّتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق؛ حبيبي يا حسين، إنَّ أباك وأمَّك وأخاك قد قدموا عليَّ، وهم إليك مشتاقون، وإنَّ لك في الجنَّة درجاتٍ لن تنالها إلا بالشَّهادة**»(١).

إنَّ مقتضى اعتقادنا بعصمة الأئمة عليهم السلام أنَّ كلَّ واحدٍ منهم عليهم السلام قام بدوره المناسب لظرفِ زمانِه على أتمِّ وجهٍ ممكنٍ (بما لا مزيد عليه).

وكان ظرف الإمام الحسين عليه السلام يقتضي التَّضحية بالنَّفس والأخوة والأبناء والأقارب والأصحاب، فقام بدوره على أفضل وجه، ليحفظ بدمه الإسلام إلى قيام السَّاعة، وبذلك صار له الذِّكر المميَّز عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعند شيعتهم، بحيث كلَّما ذكروه ذكروا مصيبته وبكوه، وبذلك يعلوا ذكرُه وذكرُ ثورته وشهادته ومبادئه التي استشهد من أجلها.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسينٌ منِّي، وأنا من حسين**»(٢).

■ ما هي مسؤوليّة الأمّة تجاه الشهداء وعوائلهم؟

مسؤولية الأمَّة اتجاه الشُّهداء السَّير على نهجهم في إحقاق الحقّ، والمطالبة به، وعدم التَّواني، والركون إلى الذِّلة، وإضاعة جهد وجهاد ودماء الشُّهداء بالتَّقاعس عن أداء الوظيفة التي تحتِّمها المسؤولية الشَّرعية اتجاه الدِّين والمجتمع، كما على الأمَّة أن تخلِّد ذكرَى شهدائِها لأنَّ ذكرَهم يبقى مشعلاً ينير الطَّريق للأحرار، ويُبقي جذوة الجهاد

(١) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفيّ، ج٥، ص١٨-١٩.
(٢) الإرشاد، المفيد، ج٢، ص١٢٧.

مشتعلة في نفوس الأجيال، وقد نقل عن الإمام الخمينيّ قوله: "**أمَّةٌ لا تخلِّد شهداءها أمَّةٌ ميتةٌ**".

أمَّا عوائل الشُّهداء فواجبُ الأمَّة رعايتَهم، واحتضانهم بجميع أنواع الرِّعاية؛ المادّيَّة والتَّربوية والرُّوحيّة والاجتماعيّة لكي لا يشعروا باليتم، بل يعيشوا حالةَ الفخر أنَّهم من أبناءِ وعوائل الشُّهداء، وأنَّ هذا شرفٌ لهم، ومسؤوليّتهم أن يحافظوا على الشَّرف بالاستقامة في طريق الحقّ.

ومن وسائل تخليد الشُّهداء في أذهان الأمَّة:

١. كتابة الجوانب المضيئة في حياتهم، وبيان طريقة استشهادهم، والهدف الذي جاهدوا له، ونشرها في وسائل المعرفة المختلفة.

٢. إقامة الفعاليات السَّنوية باسم الشُّهداء التي لا يغيب فيها ذكرُ فضلِ الشَّهيد والشَّهادة عند الله تعالى.

٣. زيارة عوائلهم، وتكفُّل حوائجهم ما أمكن، ومساندتهم ورفع معنوياتهم، بحيث يشعرون بالفخر لأنَّهم من عوائل الشُّهداء، ويعتبرون ذلك نعمةً منِ اللهِ منَّ بها عليهم.

٤. تخليد قبورهم وتعاهدها بالزِّيارة، لتبقى أهدافهم حيَّة باقية في وجدان الأمَّة جيلاً بعدَ جيل.

لذا نجد بالوجدان كيف ساهمت مزارات المعصومين عليهم السلام في تخليدِ نهجهم القويم ومبادئ الدِّين الأصيل، وإلى يومنا هذا اهتدى الكثير إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، بسبب وجود مزاراتهم عليهم السلام.

وقد تنبَّه أعداءُ أهلِ البَيت عليهم السلام لذلك، فعمد بعضُهم كما يحدِّثنا التَّاريخ عن محاولة محو أثرِ القَبر الشَّريف للمولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لما له من أثرٍ بالغٍ في استنهاض

النَّاس ضدَّ الباطل وأهله.

وما هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام إلا لصرف النَّاس عنهم وعن منهجهم القويم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أليس الله بكاف عبده

المرجعيَّة ونماذجُ من الدَّور الجِهاديّ

الشيخ محمود حسن العاليّ

الملخّص

تعرَّض الكاتبُ باختصارٍ إلى موقعِ المرجعيَّة الدينيّة الشَّريفة، وما تتحمَّله من مسؤوليات جمّة وأدوار مختلفة، ثم إلى ما حاوله الأعداء من طمس هذه الأدوار، ومنها الدور الجهاديّ، مستعرضاً ثلاثة أساليب من أساليب الأعداء في محاربة المرجعية الدينيّة، ذاكراً خلال البحث مجموعة كثيرة من الشخصيات المرجعيّة والعلمائيّة.

المرجعيَّة موقعُ قوَّةٍ وصمَّامُ أمانٍ

إنَّ منصبَ المرجعيّة ليس مقاماً تشريفيّاً وإنَّما هو موقع مسؤوليّةٍ، وتكليف يتعاظمان على عاتقِ من يتبوَّأ المسؤوليّات الجسام المتمثِّلة:

أوّلاً: بيان الحكم الشرعيّ لعامَّة المكلَّفين، والتي تشكِّل بطبيعتها عمليّة مضنيةً مجهدة، لما تحتاجه عمليّة الاستنباط من مراحل ومتابعة.

ثانياً: مسؤوليّة تحصين الأمَّة على المستويات المتعدِّدة؛ عقائديّاً، وثقافيّاً، وفكريّاً، وأخلاقيّاً، مع الالتفات إلى حجم الفرقِ، ومحدوديَّة ما يمتلكه المرجع من أدوات، ووسائل لتحصين الأمَّة في مقابل ما تمتلكه الأطراف الأخرى من وسائل وأدوات ضخمة .

ولقد أسهمت المرجعيّة في هذا المجال بأدوارٍ أساسيّة مع ما يتناسب وضرورة ظروف كلِّ مرحلة من التعهُّد بإرسال المبلّغين، والمرشدين، وتوفير الإمكانيات لهم، وفتح المكاتب العامَّة، وطباعة الكتب الدِّينيّة التَّوجيهيّة، كما نشهد هذا النَّوع من المشاريع في أنشطة المراجع العظام، كالسيّد أبي الحسن الأصفهانيّ، والسيّد محسن الحكيم، والسّيّد حسين البروجرديّ، والإمام الخوئيّ، والإمام الخمينيّ، والسيّد السِّيستاني وغيرهم من المراجع رحم الله الماضين منهم وأيَّد الباقين.

ثالثاً: بناء الشَّخصيات العلمائيّة، من خلال عملية التَّدريس التي يتولَّاها المرجع إلى نهاية عمرِه، والتي يعِدُّ من خلالها عشرات المجتهدين والعلماء الذين يأخذون دورهم في الحياة الدِّينيّة والاجتماعيّة من مواقع مختلفة.

رابعاً: رعاية الشَّأن العام المتعلّق بالإسلام والمسلمين من خلال متابعة الأحداث، وإصدار البيانات، واتّخاذ المواقف التي تمليها الظُّروف القائمة.

خامساً: الدُّور الاجتماعيّ، المتمثِّل في استقبال المؤمنين، وقضاء حوائجهم، وحلِّ

خلافاتهم، والاستماع إلى شكاواهم، ولو من خلال الإيعاز إلى بعض مساعديهم أو من يثقون به من النَّاس للقيام بتلك المهمَّات.

كما أنَّ المرجعيّة تأخذ قداستَها في نفوس النَّاس من خلال ما تمثِّلُه من امتدادٍ لخطِّ الإمامة الكبرى، وكون المرجع نائباً عن الإمام المعصوم عليه السلام، ولذلك فمن الواجب على القواعد الشَّعبيّة، والجماهير المسلمة أن تحفظ للمرجعيّة مكانتها، وأن توليها حقَّها من القداسة والاحترام، وأن تمتلك الوعي تجاه الاتّهامات الفارغة التي يُطلِقها البعض على المراجع بين وقتٍ وآخر، أو النَّقد العشوائيّ الذي يكون عن دواعي وأغراض سيِّئة.

وممَّا يؤسف في هذا المجال أنَّه رغم الدَّور الكبير الذي تقوم به المرجعية في صون معالم الشَّريعة، والذَّود عنها، وحياطتها من الأخطار، وما يمثِّله ذلك من حقيقة ناصعة لا تقبل أيَّ شكٍّ، برهن عليها تاريخهم النقيُّ، والبعيد عن التأثُّر بالأهواء الشَّخصيّة، والمطامح الدنيويّة، إلا أنَّ هناك من يتفاعل مع تلك التُّهم أو الانتقادات التي لا تصدر إلا من جاهلٍ بتاريخ المرجعيّة المشرق، لضرب مقام المرجعيّة وزلزلة موقعيّتها وإحداث الفتنة في أوساط النَّاس.

كما أنَّ أصحابَ الحملات المسعورة ضدَّ المرجعية هم أشخاصٌ مشبوهون من حيث الانتماء والأغراض والأهداف، ولعلَّ هؤلاء يتحرِّكون بدفعٍ من جهات معادية تهدف للنَّيل من المرجعيَّة الدينيّة، ولكنَّها غير قادرة على مواجهتها بمسمَّياتها الحقيقيّة، وشخوصها الواقعيّة، فاتَّخذت هذا السَّبيل؛ وهو تحريك بعض الشَّخصيات السَّاذجة ممَّن لا يحملون صدق الانتماء فيضربون المراجع من خلالهم.

وهنا لا بدَّ من تسجيل كلمةٍ مهمَّة، وهي أنَّ المرجعية تمثِّل موقع قوَّةٍ في واقعنا الإسلاميّ وقد أدرك أعداء الدِّين وخصومه فاعليّة هذه القوَّة ودورها المحوريّ ومدى تأثيرِها البالغ فجنَّدوا طاقاتِهم وسخَّروا إمكانياتهم، ونوَّعوا من أساليبهم السَّاقطة

واستنفروا كلَّ شياطينهم في سبيل إضعاف هذا الموقع وإسقاطه، فعلينا أن نتحلّى بالمسؤوليّة، والوعي، لتمييز الدَّعاوى الكاذبة، والتُّهم الزَّائفة، وإفشال المخطَّطات، والمساعي ضدَّ المرجعيّة المباركة.

طمس المساعي الجهاديَّة

وفي إطار مساعي وأساليب القوى الاستكبارية في إضعاف المرجعيَّة الدِّينيَّة وطمس مساعيها الجهاديّة نرى أنَّ العالَمَ الإسلاميّ قد واجه في الفترة بين نهاية القرن الثَّامن عشر وبداية القرن التَّاسع عشر خطرين داهمين:

أحدهما: الاستعمار المتمثِّل في الاحتلال العسكريّ، والذي امتدَّ على طول الخارطة الإسلاميّة من طنجا إلى جاكرتا، فكانت هناك هيمنة عسكريَّة على معظم بلدان العالَمَ الإسلاميّ.

والثَّاني: -وهو أشدُّ من الأوَّل- الغزو الثَّقافيّ، والمتمثِّل في مصادرة ثقافة ودين أبناء الشُّعوب المسلمة، واستبدال الثَّقافة الإسلاميّة الأصيلة بالثَّقافة الغربيّة التَّحرريّة.

وقد تصدَّى لمحاربة هذين الخطرين خطُّ المرجعيَّة والعلماء، فأدَّى ذلك إلى هزيمة الاستعمار على المستوى الأوَّل -وهو العسكريّ- فنالت الشُّعوب حريتَها، ونعمت بالاستقلال السِّياسيّ، وأمَّا مشروع الغزو الثَّقافيّ، فقد تعثَّر وتصدَّع، وفشلت مساعيه في كثيرٍ من محطاتِهِ بفضل الوعي لدى المرجعيَّة الدِّينيَّة ومساعيها في مواجهة التَّغريب، فكانت تلك المساعي بمثابة الضَّربات الموجعة للاستعمار من قبل الخطِّ المرجعيّ والعلمائيّ، ممَّا تولَّدت عنه روحُ الاستعداء وبقاء الرَّغبة مشتعلة عند الاستعمار في الانتقام من المرجعيَّة الشَّريفة لما يمثلِّه وجودُها من ضمانة استقلال سياسيٍّ وفكريٍّ لأبناء الطَّائفة الشَّيعيّة، بل والأمَّة الإسلاميّة.

وقد تترجمت تلك الرُّوح العدائية ضمن الأساليب التَّالية:

الأسلوب الأوّل: (التَّصفيات الجسديّة)

كما حصل ذلك للمرحوم الشَّهيد العالم الفقيه السيّد حسن المدرِّس؛ حيث سُجِن في (سجن كاشمر) وبعدها سُقي السمَّ ومات شهيداً في الثَّامن والعشرين من شهر رمضان ١٣٥٦هـ، ثمناً لمواقفه في الدِّفاع عن الدِّين، ورفض الظُّلم والاستبداد، ومحاربة مخطَّطات الغرب الاستعماريّة.

ونظير ما حدث للشَّهيد الشَّيخ فضل الله النوريّ الذي انتهت به مواقفُه في الدِّفاع عن حقوق المستضعفين ومواجهة أذناب المستعمرين إلى إعدامه شنقاً.

وكما جرى للشَّهيد السَّيد نصر الله المستنبط من قتله مسموماً على أيدي جلاوزة النِّظام البعثيّ بسبب معارضته للحزب البعثيّ، وتحذير النَّاس منه عبر التعريف بخطره ومقاصده السَّيئة.

وكما نُقل في شأن الشَّيخ محمَّد كاظم الخراسانيّ حيث توفي في ظروف غامضة بعد أن جهَّز جيشاً لإخراج الرُّوس من مناطق إيران المحتلَّة كالقوقاز.

الأسلوب الثَّاني: (النَّفي والتَّهجير)

لم يتحمَّل المستعمرون ولا أذنابهم كلمة الحقِّ التي كانت تمثِّل الأسلوب الوحيد لدى العلماء في مواجهة المستعمرين، فاستعملوا معهم أسلوب النَّفي والتَّهجير، والسِّجن ضمن أساليبهم لإخراس ألسنة العلماء وفي سبيل الضَّغط عليهم للسُّكوت، وكم من عشرات العلماء تمَّ نفيُهم عن أوطانهم، وما سوف نذكره من الأمثلة لا يعدو كونه نموذجاً يسيراً من الأمثلة المتعدِّدة التي يطفح بها تاريخ المقاومة للمرجعيَّة المباركة.

ومن تلك الأمثلة ما فعله رضا بهلوي مع المرجع السيّد حسن القميّ حيث نفاه من مدينة مشهد المقدَّسة إلى العراق، وذلك بعد محاصرة مسجد (كوهرشاد) المتَّصل بحرم الإمام الرِّضا عليه السلام والذي اعتصم فيه السِّيد القمي اعتراضاً على بعض السِّياسات

البهلويَّة المتعلِّقة بالحجاب، والفساد، وتضعيف الدِّين وغيرها، فتمَّ دكُّ المسجد، وقصفه بالمدفعيّة الثَّقيلة حتى تضرَّرت بعض جدران الحرم الرَّضويّ الشَّريف.

وكما تعرَّض فقهاءُ حوزة النَّجف الأشرف للتَّرحيل والنَّفي من أمثال الشَّيخ النائينيّ، والسيّد أبي الحسن الأصفهانيّ حيث تمَّ نفيهما إلى إيران عند معارضتهما للانتداب البريطانيّ في زمن الملكيّة، أو كما جرى للسِّيد الإمام الخمينيّ من نفيه خارج إيران بسبب مقاومته لسياسة وطغيان السُّلطة الحاكمة، وكذلك نفي العشرات من أساتذة الحوزة العلميّة في قم المقدسة أيام المواجهة مع الطَّاغوت محمَّد رضا بهلوي.

وقد كان لعلماء أفغانستان النَّصيب الكبير من الظُّلم، والاضطهاد، والنَّفي والقتل إبّان الاحتلال الرُّوسيّ لأفغانستان في ثمانينات القرن المنصرم، كما وقع ذلك على آية الله السيّد عليّ البهسوديّ الواعظيّ من مبرّزي تلامذة السيّد الخوئيّ، حيث اختطف من حسينيّته التي كان يباشر فيها نشاطه وخفي مصيره لحدِّ الآن.

ولا زال العلماء لحدِّ الآن يُلاحقون ويُهددون بالنَّفي والتَّهجير والتَّصفيّة الجسديّة من قبل السُّلطات الحاكمة بسبب جهادهم على مستوى الموقف والكلمة.

الأسلوب الثَّالث: (تشويه سمعة خطِّ المرجعيّة وإلصاق التُّهم بها)

ينعكس مدى ما يحمله أعداء الدِّين من سَورة الغضب والحنق على المرجعيّة لمواقفها الجهاديّة في التُّهم، ومحاولات التَّزييف والتَّشويه لهذا الخطِّ المبارك، فقد سعى المستعمرون وأذنابهم إلى إلصاق شتَّى التُّهم بمراجعنا العظام؛ تنفيساً عن حقدهم، وفصلاً للأمَّة عن مراجعها، وتضليلاً للرَّأي العام، فقد يتَّهمونهم بالرجعيَّة، ومحاربة أيِّ تطوير وتقدُّم للأمَّة، وأنَّهم السَّبب وراء تخلُّف الأمَّة وعدم نهوضها، ومع الأسف فقد لاقت هذه الأباطيل قبولاً لدى بعض الشَّرائح لعوامل متعدِّدة أهمُّها غياب الوعيّ السِّياسيّ الذي سعى المستعمر لتكريسه استغلالاً له في تحقيق مصالحه.

ولكن بفضل الصَّحوة الإسلاميّة التي تنامت ببركات الثَّورة الإسلاميّة التي فجَّرها الإمامُ الرَّاحل الخمينيّ، وتصاعد تيارها وعت الأمَّة لهذه الأساليب وانكشف خداعها، فالتفَّت الأمَّة حول مراجعها وقياداتها الدِّينية، مؤمنة بأهليَّتها للقيادة واثقة بمدى حرصها على مصالح الأمَّة.

ولم يقتصر سيل الاتِّهامات على مجرَّد تهمة الرَّجعية والتخلُّف إلى التَّهمة بخيانة الوطن والعمالة للأجنبي والمستعمر، وقد لحق المرجعية من ذلك ظلم كبير وأذى واسع كما هو الحال مع مرجع الطائفة الأعلى في زمنه السيّد محسن الطباطبائيّ الحكيم، واتّهام نجله السيّد مهديّ الحكيم بالعمالة للبريطانيّين، وما سبَّبه ذلك من إرباك وتشويش للشَّارع العراقيّ.

وممَّا يؤسَف له ما تكوَّن من فهمٍ مغلوطٍ لدى بعض الكتَّاب والمؤلفين؛ حيث اتَّهموا المرجعيّة في بعض فصولها الزَّمانيّة بالعمالة، كما حصل مع الفقيه الكبير السيّد كاظم الطباطبائيّ اليزديّ حيث اتهموه بأنَّه عميل، وما ذلك إلّا لقصورهم، بل تقصيرهم في فهم المناشئ والأسباب، وكذلك المعطيات التي يصوغ الفقيه موقفه في ضوئها وطبقاً لها.

وأمَّا السيّد الخوئيّ رحمه الله فقد لحقته اتهامات باطلة نتيجة قصر النظرة وعدم استيعاب طبيعة النِّظام البعثيّ العدائيّة، وشراسته، وعدم تكافؤ ميزان القوى بين السُّلطة الصدَّاميّة والمعارضة الشَّعبيّة، ممَّا جعل سماحته يؤمن بعدم جدوائية المواجهة مع نظام البعث الدمويّ، لكنَّه رحمه الله في ذات الوقت قام بمقاطعة النِّظام حتى لا يُضفي عليه الشَّرعيّة والمصداقيّة.

وقد فسَّر البعضُ، وحلَّل ما شاء من تحليلٍ ظالمٍ، وتفسيرٍ باطلٍ لموقف السيّد الخوئيّ حيث رُمي بالتَّخاذل، وعدم القدرة على إدارة الحالة السِّياسيّة، رغم أنَّ المراقب لطبيعة نظام صدّام الدمويّة وطريقة تعامله مع معارضيه يدرك أقربيّة وصوابيّة نظرة الإمام

الخوئيّ ﭬ، وكيفيّة تعاطيه مع الوضع السِّياسيّ حينها، وأنَّ في عدم المعارضة المعلنة للنِّظام السِّياسيّ وقتها استمراراً للخطِّ الحوزويّ، وحفظاً للوجود الدينيّ من الاستئصال والفناء.

وقد برهنت الانتفاضة الشَّعبانية وما لحق الشَّعب العراقي فيها من فضائع الظُّلم وبشاعة الجريمة على عظم شراسة النِّظام البعثيّ، ومدى وحشيّته، واستعداده للقتل والإبادة، حيث امتلأت المقابر الجماعيّة بجثث القتلى والمعدومين، واستُهدف العلماء ممَّن كان يرجى نفعهم للأمَّة الإسلاميّة، وتشريد الملايين من أبناء الشَّعب العراقيّ الذين تناثروا على خارطة العالَم، واعتُقل زعيم الحوزة العلميّة السيّد الخوئيّ ﭬ، وناله ما ناله من الهتك والتَّضييق.

ولكن برغم هذه الحملة الظَّالمة، والسَّيل المتصاعد من الاتهامات المزوَّرة أثبت تاريخ المرجعية المشرق -ومن خلال المواقف الجهادية البطولية وفصول المحن التي مرَّت بها الأمَّة الإسلامية- زيفَ وبطلان تلك الاتِّهامات، وأدركت معها الأمَّة مدى أهميَّة الموقع المرجعيّ وضرورة ارتباطها به.

الجهاد وثقافة الشَّهادة في فكر القائد آية اللّه الشَّيخ عيسى قاسم (حفظه الله)

الشيخ عزيز حسن الخضران

الملخّص

تعرَّض الكاتب لكلماتِ القائد الفقيه سماحة آية الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم حفظه الله حول الجهاد والشَّهادة وجعلها في أربع محاور، مبتدئاً بمنطلق الجهاد والشَّهادة، والأهمّ فيه وجه الله تعالى، ثمَّ تعرَّض في المحور الثَّاني لمكانة الشَّهيد وكرامة الشَّهادة والشُّهداء، ثمَّ في المحور الثَّالث بيَّن ما يرتبط بتحفيز الأمَّة على الشَّهادة، وفي المحور الأخير ذكر آثار الشَّهادة على الأمَّة وعلى نفسية وروحية الشُّهداء.

المقدمة

يعتبرُ مفهوم الجهاد من المفاهيم الإسلاميّة الأصيلة التي نشأت مع نشوء الإسلام خصوصاً بعد الهجرة النّبويّة الشَّريفة وتعرُّض الدَّولة الإسلامية للحروب من قبل المشركين والمعادين، ومن لوازم هذا المفهوم هو مفهوم الشَّهادة؛ حيث إنَّ المجاهد يضع نفسَه على كتفِه متوقعاً الموتَ في سوح الجهاد والكِفاح..

وينبغي لهذا المفهوم أن يترسَّخ في أذهانِ الأمَّة بشكلِه الصَّحيح ليؤدِّي دورَه الذي من أجلِه حثَّ عليه الشَّارع المقدَّس، وهذا ما يتطلَّب فهماً عميقاً للدِّين وأهدافِه العُليا، وفي هذه المقالة نحاول بيانَ ذلك من خلال كلمات سماحة آية الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم حفظه الله وهو صاحب التَّجربة الجهادية العريقة في شتَّى الميادين، وذو الفكر النَّاصع النَّيِّر والفهم المتميِّز كما أثبته الواقع العملي الملموس في شخصيته المباركة.

وسيكون الحديث في عدَّة محاور:

المحور الأوّل: منطلق الجهاد والشَّهادة

من المهم لكلِّ من ينشدُ طريقَ الجِهادِ والشَّهادة أن يكون منطلقُه صحيحاً نظيفاً واضحاً وإلا كان عمله ﴿**كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**﴾(إبراهيم:١٨)، وفي هذا الصدَّد يؤكِّد الشَّيخ القائد في تعريفه للشَّهادة على أنَّها في سبيل الله..

1. قصد وجه الله سبحانه:

يقول حفظه الله: **"ما هي الشَّهادة؟ قتلٌ في سبيل الله، قصدُ الشَّهيد في اختيار الطَّريق إليه وجهُ الله خالصاً، أمَّا الأغراض الجهادية والدِّفاعية الأُخرى فإنَّما قصدُها من أجل رضاه تبارك وتعالى.."**. فنرى هنا تأكيده على قصد وجه الله تعالى حتى في الدِّفاع والأغراض الأخرى السَّابقة للشَّهادة.

ويقسِّم سماحته أهداف الشَّهادة إلى هدفٍ أساس ومحوريّ وهو مرضاة الله سبحانه، وأمَّا بقية الأهداف فكلُّها في طولِ هذا الهدف، يقول حفظه الله: **"ما هو مقوِّم الشَّهادة؟ كلُّ الآيات تتحدَّث عن القتل في سبيل الله، فالشَّهادة ليست قتلاً فحسب وأيِّ قتلٍ؟ وإنَّما هي قتل في سبيل الله، وكيف يكون السَّبيل سبيل الله؟ يكون ذلك بأن يكون الهدفُ إلهيّاً، دفع ظلم، طرد كفر، تصحيح وضع عالميّ، أن يكون الهدف هو شيء ممَّا توافق وتدعو إليه الشَّريعة من أهداف، وهو هدف طوليّ، والهدف الأوّل والأصل والمحرِّك بالذَّات هو طلب مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهذه النَّفس المضحيّة، وقضيّة عزَّة الدِّين، وعزَّة المؤمنين، ورفع حالة الفساد والظُّلم والكفر، هذا الهدف هو طوليّ وثانويّ ويأتي بالدَّرجة الأُولى ولأنَّه واقعٌ في طريق مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"**(١).

ويؤكِّد في كلام آخر أنَّ كون الجهاد لله صعب جدّاً، بل هو أصعب من نفس الجهاد، **"﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وهذا أصعب من مطلق الجهاد، جهادٌ يكون لله أصعبُ بكثيرٍ من أن يكون مطلقاً، ويحتاج إلى معاناةٍ نفسيةٍ وجهادٍ نفسي ضخمٍ، أحتاجُ إلى جهاد ضخم لأن يكون جهادي في الخارج بالكلمة، بالسيف، بالمال جهاداً في سبيل الله، وليس جهاداً من أيِّ منطلقٍ آخر"**(٢).

2. الشَّريعة هي التي تحدِّد خطوات الشَّهيد:

يقول حفظه الله: **"وهو قتلٌ تحكُمُ كلَّ خطوة على طريقه عند الشَّهيد شريعةُ الله وتنطلق من رؤيته"**، فلا توجد فوضى في اختيار الأساليب والخطوات العمليّة في مواجهة الباطل، فضلا عن الأهداف، بل كلُّ شيءٍ محكوم للشَّرع والذي يمثله في زماننا الفقهاء والعلماء.

ويفصِّل دام ظله في مورد آخر في هذه النقطة الخطيرة فيقول:

(١) محاضرة تحت عنوان (في رحاب الشهداء) - ٤ جمادى الأول١٤٣١ه - الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م - مأتم سار- البحرين.

(٢) خطبة الجمعة (٣٤) ٧ رمضان ١٤٢٢هـ - ٢٣/ ١١/ ٢٠٠١ م.

"وحين نحبُّ الشَّهادة حبّاً أعمى لا يقوم على بصيرة، حبّاً مفصولاً عن وعي الدِّين، وعن قيمة الدُّنيا وقيمة الآخرة، وعن حرمة الدَّم ومتى يسترخص الدَّم، ومتى يُتمسك بقيمةِ الدم؟ متى يرخص الدَّم ومتى لا يرخص؟ ومتى يجوز سفح الدَّم الكثير ومتى لا يجوز سفح قطرة دم؟ فما لم نمتلك فقه الشَّهادة، وقيمة الشَّهادة، وشروط الشَّهادة، وما لم نتعرَّف الرَّاية التي تصدقُ في ظلِّها الشَّهادة، فما لم نتوفَّر على كلِّ ذلك ستكون الشَّهادة مذبحاً من مذابحِ الأمم، وباعث فوضى في داخل الشُّعوب والأمم.

بعنوان الشَّهادة يقتل أبرياء وأطفال، يحرق من يحرق، وينحر من ينحر، وتقوم تفجيرات في أسواق ومساجد وكلُّه بعنوان الشَّهادة!! لا يكفي أن نقدِّس شعارَ الشَّهادة، وأن نرفع شعارَ الشَّهادة، وأن نمكِّن لشعار الشَّهادة، لعنوان عائم غامض ضبابي، ومن غير خلفيّة فكريّة واضحة، وبصيرة ورؤية دينيّة جليّة، وتعرّف دقيق على قيمة وشروط الشَّهادة والرَّاية التي تكون في ظلِّها الشَّهادة، من غير ذلك ستكون الشَّهادة عامل تدمير وتحطيم، وستسيء للإسلام كثيراً"[١].

ويقول في مورد ثالث:

"قرار الشهادة وقرار الدفاع وقرار المجاهدة، مرة يكون وطنياً، ومرة فئوياً، ومرة طائفياً، ومرة يكون دينياً، وأقوى قرار على الصمود والمواصلة وعلى الثبات وعدم التراجع هو قرار جهاد وتضحية وشهادة كان منطلقه الأمر الإلهي والقضية الدينية.

ثمّ إنّ أقدس قرار، وأكبر قرار توفراً على العقلانية والحكمة، وعلى مراعاة حرمة الدماء، وعلى التدقيق في المصالح والمفاسد هو قرار الدين في الشهادة، يمكن أن يدفعني المنطلق الطائفيّ إلى تضحية غير مدروسة، إلى تضحية انفعاليّة، إلى تضحية أشبه بالانتحار غير الواعي، أمّا قرار الدين فلا يأتي فيه مثل هذا الأمر"[٢].

(١) لقاء الوفاق الرمضاني – ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه – الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م – مأتم سار – البحرين.

(٢) كلمة آية الله قاسم في السحور الرمضاني على شرف عوائل الشهداء – ٢٠١٤م.

3. الخلفيّة الفكريّة للشَّهيد:

أي العقيدة التي ينطلق منها الشَّهيد، فكيفَ تتحقَّقُ النِّيَّة الخَالصة بكونِها في سبيلِ اللهِ ولأجلِ مرضاتِه سبحانَه؟

يقول القائد حفظه الله: "**وماذا عن الخلفيّة الفكريَّة والرُّوحيَّة للشَّهادة؟ تنطلقُ إرادة الشَّهيد من رؤيّةٍ كونيّةٍ واضحةٍ، تُرجع القوَّة للهِ وحده، وصحوةٍ روحيّةٍ منفتحةٍ على جلالِه وجمالِه، وانشدادٍ إليه واطمئنانٍ بوعده وعشقٍ لملاقاته**"(١).

ونلاحظ هنا الرَّبط بين الجانب الفكريّ العقديّ وبين الجانب الرُّوحيّ، فلا يمكنُ لمنْ يسلكُ طريقَ الشَّهادة إلّا الانشداد إلى الله سبحانَه عن عشقٍ.. والشَّيخ هنا إنّما يصف واقع الشَّهيد؛ أي أنَّ السائر على طريق الشَّهادة لا يكون إلّا هكذا..

4. في سبيل الله ولا سبيل سواه:

قد يختلط الأمر على البعض فلا يعرف سبيل الله ما هو، ولماذا يجاهد ويبذل دمه وماله وجهده، هنا يقول الشَّيخ القائد في بيان قوله تعالى «﴿**وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ (الصف:١١): "**ليس في سبيل الوطن إلّا أن يكون الجهاد من أجل حماية الوطن واقعاً على طريق الله وفي سبيل الله**". وهذا التَّنبيه مهمٌ جداً لكوننا نسمعُ شعاراتٍ قد يفهم منها أنَّ الوَطنَ بما هو وطن يستحقُّ التَّضحية، والصَّحيح أنَّ الوطن الذي يكون الدفاع عنه واقعاً في طريق الله وسبيله هو الذي يستحق التضحية دون سواه.

ثمَّ يذكر موارد أخرى قد يحصل فيها الخلط والاشتباه فيقول حفظه الله: "**تجاهدون ليس لعزّتكم، وإنَّما لعزَّة الدِّين وعزّتكم من عزّة الدين، تجاهدون لا لأنّكم شجعان وأصحاب جرأة، دربّتكم عليها التَّدريبات العسكريّة، وإنما تجاهدون؟ لأنَّ السبيل سبيل الله، وإنّ**

---

(١) التأبين المركزيّ لشهداء البحرين (**الشُّهداء... مشاعل الثورة**)، الذي أقامه العلماء والحوزات العلميّة مساء الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٢م.

عليكم أن تجاهدوا في سبيل الله، تجاهدون مخلصين لله، ومن أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو المطلوب"(١).

ويقول في مورد آخر محذِّراً من اختلاط الأمر حتَّى بالنِّسبة لقصد النَّصر الذي يكون هدفاً أوّليّاً للمجاهدين: **"حذار من جهاد تشوبه عبادة الذات: فالجِهاد ليس للنَّصر، [بل] لرضا الله، صحيحٌ علينا أن نخطِّط للنَّصر؛ لأنَّ الجهاد الذي أمرنا به هو جهاد يخطِّط للنَّصر، ولنصر دين الله، وليس لنصر أنفسنا، ليس لنظهر، ليس لنغذي شعورنا بالغلبة، نحن عندنا جوعة، جوعة الشُّعور بالنَّصر، جوعة الشُّعور بالغلبة، بالقهر، بالعزّة، بالتفوُّق. مرَّة يكون الجهادُ جهاداً لهذه الأمور، وهذا الجهاد فيه عبادة للذَّات، ومرَّة يكون الجِهاد جهاداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو المأمور به. والموعود به، الجنّة والنصر القريب، هو أن يكون الجهاد جهاداً في سبيل الله وليس كردة فعل نفسية"**(٢).

وحتّى الأمَّة مطالبة بحمل تلك الأهداف الطَّاهرة: **"إنَّ من حقِّ دم الشَّهادة على المجتمعات ألّا ينقلبَ على أهدافِهِ المرضيةِ لله سبحانه المنقلبون، وألّا يكونَ الحضورُ بعد الشُّهداء والنصر لا للرسالةِ، وإنّما للذوات"**(٣).

هل الهدف هي الجنَّة مطلقا؟

ويترقَّى الشَّيخ في بيان أعلى درجات القصدِ والتقرُّب الإلهيّ والنِّيّة الخالصة حينما يتحدَّث عن الجنَّة كجزاء للمجاهدين، فهل الجنّة غاية بشكل مطلق أو هناك ما هو أعظم من الجنَّة؟

(١) خطبة الجمعة (٣٤) ٧ رمضان ١٤٢٢هـ - ٢٣-١١-٢٠٠١ م.

(٢) خطبة الجمعة (٣٤) ٧ رمضان ١٤٢٢هـ - ٢٣-١١-٢٠٠١ م.

(٣) التأبين المركزيّ لشهداء البحرين (**الشُّهداء... مشاعل الثورة**)، الذي أقامه العلماء والحوزات العلميّة مساء الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٢م.

يقول سماحته وهو يشرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾(التوبة:١١١): "ثلاث وثائق للبيع يوقّع الله عليها سُبحانهُ وتَعالى وعَزَّوجَلَّ ؛ يعني يجعلها سنداً لهذا العبد، ولا حجّة لأحدٍ على اللهِ عَزَّوَجَلَّ ، على أنَّ الله لا يحتاج إلى وثائق، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١)، ليس النَّصر الدنيوي هو الفوز العظيم، وليس بناء القصور، وليس فرض الإرادة، الفوزُ العظيمُ هو هذا:

أن ندخل في بيعةٍ مع الله، لا ننظر إلّا ما أعطى من ثمن: جنته الكريمة، والأعظم في الجنَّة رضوانه، وجنَّةٌ بلا رضوان الله يعيش فيها الإنسان الأبد تنعكس على الإنسان بالملل وإنْ جملت، وما يجعلها خاليةً من الملل، وما يجعلها جديدةً دائماً، وما يجعلها حلوةً دائماً هو ذلك الشُّعور الكبيرُ عنْد العبد المؤمن من أنَّه موصولٌ برحمة الله، وأنَّه تحت رعاية الله، وتحت مظلَّة عناية الله، وأنَّه يرى تكريم الله له، ويرى تقدير الله له، وهذا يكفي لأن تبقى الحياة لذيذة دائماً ويبقى الأبد متدفقاً دائماً بالمسَّرات والحبور"[1].

5. الأهداف الحقيقة للشَّهادة:

بعد بيان الغاية والهدف الأساس من طريق الجهاد والاستشهاد، هناك بيان منه حَفِظَهُ الله لأهداف الشَّهادة ملخصة في كلمات قليلة ولكنّها كثيرة المعاني، يقول سماحته: "ولو سألنا: لِمَ الشَّهادة؟ جاء الجوابُ:

١. أنَّ الشَّهادة لتخضرَّ شجرةُ الدِّين التي يبَّسها الظُّلم والزَّيف والانحراف.

٢. الشَّهادة لانبعاث الأمَّة الصَّالحة، لتولد الأمَّة من جديد.

٣. لاستقامة الحياة.

(١) خطبة الجمعة (٣٤) ٧ رمضان ١٤٢٢هـ- ٢٣-١١-٢٠٠١ م.

٤. لهدى الإنسان، لحريّتهِ، كرامتهِ، مجدهِ، عُلاه.

٥. لتحيا شعوبٌ وأممٌ بعد موت.

٦. ومن أجل أن ينتفض الضمير وينطق الحقّ ويخرس الشيطان.

٧. من أجلِ أن يسقط ظلم ويقوم عدل وتجتث جذور البغي والجور، وتَطهرُ الأرض وتفيق إنسانيةُ الإنسان"[١].

المحور الثاني: مكانة الشَّهيد وكرامة الشَّهادة

"الشَّهادة سموُّ روحٍ، وعيُ عقلٍ، طهرُ قلبٍ، سموُّ إرادةٍ، شوقٌ حيٌّ طاهرٌ عارمٌ إلى الله، رؤيةٌ كونيّةٌ ممتدةٌ منفتحةٌ تكسر كلَّ الحواجز وتخترقها وتعبر كلَّ الحدود"[٢].

بعد أن ينظرَ المؤمنُ إلى هذه الأهداف المقدَّسة والغايات النَّبيلة للشَّهادة والجهاد ويؤمن بها، وتمتزجُ بقلبِه وروحِه ومشاعرِه، يكونُ حينئذٍ مستعدّاً للتَّضحية وللبذلِ والعَطاء بنفسٍ مطمئنةٍ راضيةٍ مسرورةٍ، فتطهر روحُه وتكون محبوبةً عند خالقِها.

1. شهادة الشَّهيد:

وهنا يتحدَّث القائد دام ظله عن مكانة الشَّهيد وهو يبيِّن معنى الشَّهادة والشَّهيد.

يقول سماحته: "الشَّهيد إمَّا أن يكون بمعنى عظيمُ الشَّهادة ومقبول الشَّهادة وأمين الشَّهادة، وإمَّا أن يكون بمعنى -كما يذهب إليه صاحب المصباح- «مشهود»، وهو مشهود بشدَّة وعناية والتفات كبير، وإذا كان مشهوداً فهو مشهودٌ من الملائكة في غسله أو في نقله إلى الجنَّة، وإذا كان بمعنى المبالغة من فاعل بمعنى شديد الشَّهادة، فذلك لأنَّ الشَّهيد

(١) التأبين المركزيّ لشهداء البحرين (الشُّهداء... مشاعل الثورة)، الذي أقامه العلماء والحوزات العلميّة مساء الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٢م.

(٢) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

وصلَ من درجة الأمانة والنزاهة والمقبوليّة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنّ شهادته معتمدة، وأنَّه يشهد على جماعته وأمّتِه، ويشهد على الأوضاع، ويشهد بما هو عدل في النَّاس وبما هو ظلم، وهذا يعني منزلة عظمى، وروحاً قد طهرت وحلّقت في سماء المجد، فالمقام مقامٌ رفيعٌ من حقِّه أن يُغبط عليه صاحبه"[١].

2. الشَّهيد والرُّجوع إلى الحياة الدُّنيوية:

عند تعرُّضه للرِّواية التي تتحدَّث عن تمنِّي رجوعُ الشَّهيد يبيِّن سماحة القائد حفظه الله السبب الحقيقيّ وراء هذا التمني، وفيه بيان لعظمة الشَّهيد ومكانته عند الله سبحانه، يقول:

"تمنِّي الرُّجوع إلى الدُّنيا، هناك نوعٌ واحدٌ فقط من النَّاس وهو نوع الشَّهيد، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ما من أحد يدخل الجنَّة يحبُّ أن يرجعَ إلى الدُّنيا وأنّ له ما عليه على الأرض من شيء غير الشَّهيد»[٢]، كلُّ أصحاب الجنَّة لو عُرِضَ عليهم أن يعودوا إلى الدُّنيا وأنّ لهم كلُّ ما في الدُّنيا فلا يحبُّون العودة إلى الدُّنيا، تسقطُ قيمة الدُّنيا بكلِّ قصورها وحقولها وجمالها وتتلاشى وتذوب في النَّفس ولا تساوي شيئاً، لكنّ الشَّهيد يكون له شوق للعودة للدنيا، لم؟ هل لأنَّ الدنيا كبيرة في نظره وقد استشهد وهو هازئ بها؟ وهو مستعلٍ عليها وقد سقطت في نفسه حينما رأى الآخرة؟ ليس هذا هو الوجه الصحيح لتمنيه، فلماذا يتمنى العودة إلى الدنيا؟ «ما من أحد يدخل الجنّة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأنّ له ما عليه على الأرض من شيء غير الشَّهيد، فإنَّه يتمنى أن يرجع فيُقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»، من كرامة الشَّهادة، فالشَّهادة أعطته كرامة خاصة، أعطته منزلة مقنعة، جاءت بنتيجة فوق ما يتصور، فحقّ له أن يعشق ما به تلك الكرامة وأن يتكرر ما به تلك

(١) محاضرة تحت عنوان (في رحاب الشُّهداء) - ٤جمادى الأول١٤٣١ه - الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م - مأتم سار- البحرين.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهريّ، ج٢ص١٥١٥.

الكرامة، وأن يتكرر ما به ذلك الفوز العظيم عند الله سبحانه وتعالى"(١).

3. الشَّهيد له رصيد روحيّ وفكريّ أهلته للشَّهادة:

الموت مرٌّ وصعبٌ، وفيه فراقٌ للأحبة والملذّات والشهوات وكلّ ما في الدنيا مما هو مورد تعلّق الإنسان، ولهذا نرى عامَّة النَّاس تفرُّ من الموت وتخافه وتستوحش منه، وربما لا تطيق ذكره، وقد يكون ظاهر الإنسان عاشقاً للشَّهادة ولكنَّه عند الامتحان يتبيَّن أنَّه بعيدٌ كلَّ البُعد عنها، فقد أشار سماحة القائد إلى ما ذكرتُه الآياتِ بشأنِ بني إسرائيل فإنَّهم "كانوا يتمنون القتال ويتمنون خوض المعركة، ولكنّ الآية تقول: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(البقرة:٢٤٦)، فلا بدَّ أن يكون هناك رصيد عقليّ، ورصيد نفسيّ، ورصيد روحيّ ضخمٌ يسهل طريق الشَّهادة لَيَصِلَ أصحاب الإيمان القمَّة، إلى حالةِ عشقٍ صادقةٍ، وليس على مستوى الكلمة في قضيَّة الشَّهادة. فكان أهلُ كربلاء من أنصار الإمام الحُسين عليه السلام يتهافتون على الموت تهافتَ الفَراش، والظَّاهر أنَّ صدقَ إيمانِهم -حتى بلا أمرٍ غيبي زائد- يكشفُ لهم عن مواقعهم في الجنَّة"(٢).

فالشُّهداء أصحابُ نفوسٍ "أحبَّت الله وعشقته، وآمنت بقيمة دينه وصدق وعده، وأدركتْ بُعدَ الآية الكريمة ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة:٢١٦)".

المحور الثالث: التحفيز والإعداد لثقافة الشَّهادة

الشَّهادة مشروعٌ ضمن المشروع الإلهيّ لإقامة العدالة ونشر الحقّ على طريق توحيد الله تعالى، ولهذا فهو ليس مشروعاً شخصياً يختاره الإنسان بمفرده، والمسؤوليّة تقع على عاتق الجميع في الإعداد لثقافة الجهاد، يقول سماحة القائد حفظه الله في هذا الشَّأن:

(١) لقاء مع عوائل الشُّهداء - ١٢ شهر رمضان١٤٣٢ه- الموافق ١٣/ ٨/ ٢٠١١ - مأتم سار - البحرين.

(٢) محاضرة تحت عنوان (في رحاب الشُّهداء) - ٤جمادى الأول١٤٣١ه- الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م - مأتم سار- البحرين.

"الشَّهادة مطلبٌ عظيم، وشروطُها ثقيلةٌ، وقضيةُ سيلان الدَّم، وخسارة الجسد دمَه ليسّ هو أكبر ما في الشَّهادة، بل هو أقلّ ما فيها، الشَّهادة سموُّ روحٍ، وعيُ عقلٍ، طهرُ قلبٍ، سموُّ إرادةٍ، شوقٌ حيٌّ طاهرٌ عارمٌ إلى الله، رؤيةٌ كونيّةٌ ممتدّةٌ منفتحةٌ تكسر كلَّ الحواجز وتخترقها وتعبر كلَّ الحدود، فمسؤوليّتنا أن نربِّيَ أنفسَنا، وأن نربِّيَ أبناءَنا وبناتِنا على حبِّ الشَّهادة، لِدوا وأنجبوا شهداء، و إنجابُ الشُّهداء يحتاجُ إلى عملٍ تربويٍّ جاهد، يحتاج إلى إمدادٍ علميّ، ونضج عقائديّ، وطهارة نفس، وسموّ قلب، ورشد"[١].

فهنا يتحدَّث القائدُ في الإعداد إلى مشروع الشَّهادة منْذُ الوِلادة بل قبلَها، وتعبيرُه في غايةِ الرَّوعة حينما يقول: "لِدوا وأنجبوا شهداء". وفي كلمة أخرى يقول حفظه الله أيضاً: "علينا أن ننجبَ أجيالاً متوالية ممَّن تُغنِّي بحبِّ الشَّهادة وتذوبُ فيها، وتعي قيمةَ الشَّهادة، وتحمل فقهَ الشَّهادة، وتميِّز بين الرَّاية التي تصدق في ظلِّها الشَّهادة، والرَّاية التي لا تصدق في ظلِّها الشَّهادة"[٢].

وفي لقائه مع أهالي الشُّهداء اعتبر أن إعداد الشُّهداء إحدى واجبات الأمّة تجاه الشُّهداء: "وتربية الأجيال التي تحمل رايتهم، وتعطي كما أعطوا، وتضحّي كما ضحّوا.."[٣].

وهذا يعني أنَّ ترك هذا الطريق وعدم الإعداد له هو تضييع لجهود الشُّهداء، وخذلان لهم.

خطوات إعداد الشُّهداء:

ثمَّ يبيِّن سماحته الخطوات التي من خلالها يمكن أن نربِّيَ جيلاً على ثقافةِ الشَّهادة:

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

(٢) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

(٣) لقاء مع عوائل الشُّهداء - ١٢ شهر رمضان١٤٣٢ه - الموافق ١٣/ ٨/ ٢٠١١ - مأتم سار -البحرين.

١. الامتناع عن حبِّ الدُينا:

كلُّنا نعرف أنَّ حبَّ الدنيا لا يجتمع مع حبِّ الله ولقائِه، ولكن ما هو المطلوب فعلاً حتَّى يصدقَ علينا أنَّنا ممَّن لا يحبُّ الدُّنيا.. هنا يقولَ القائد حفظه الله:

"حبُّ الشَّهادة لا يتمُّ مع حبِّ الدُّنيا، علينا أن نصحِّح حبَّنا للدُّنيا، بحيث نعطي حبَّنا للدُّنيا صورتَه الصَّحيحة، فنلعش ونحبَّ البقاء في الدُّنيا، والتَّمتُّع فيها وإعمارها، ولكنْ كلُّ ذلك يجب أن يكون في ضوء الهدف، ومن أجل أن تسموَ الروح، وأن يكون كلُّ ذلك في خدمة الروح وخدمة الهدف من أجل الوصول إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"[١].

النَّاشئة والأولاد حينما يرون آباءهم وأمهاتهم يزهدون في الدُّنيا فسوف يزهدون معهم، وحينما يرونهم حريصون عليها فهم سيحرصون عليها أيضاً.

٢. التَّعاطي الصَّحيح مع الدُنيا:

وهذا يعني أنَّ المؤمنَ في علاقتِه بالدُّنيا عليه أن يحذرَ من طبيعة هذه العِلاقة، فلا تكونُ إلّا وفق الهدف وفي طوله، وأن تكون الغاية أمام عينيه لا يغفل عنها.

ولكي لا يُفهم الكلام خطأً في المطلوب منَّا تجاه العلاقة بالدَّنيا حيث لنا حوائج دنيوية يبيّن سماحته حفظه الله هذه النقطة فيقول:

"مطلوب منَّا أن تنمو الدُّنيا على يدنا، أن نزرع الدُّنيا ونبنيها، أن تشمخَ الدُّنيا ببنائنا، وأن تكون دنيانا أعرض من دنيا الآخرين، وأقوى من دنيا الآخرين، وأسعد من دنيا الآخرين، ولكن من دون أن نخسر أنفسنا، من دون أن نكون عبيداً للدُّنيا، يجب أن نكون الأحرار الذين تتعاظم الدنيا على أيديهم ومن أجلهم وتحت أمرتهم، فيكونوا حكّام الدُّنيا لا من تحكمهم الدُّنيا بجبروتِها"[٢].

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني- ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

(٢) المصدر السابق.

٣. عدم حبِّ الشَّهادة يعني الانهزام والمذلَّة:

ولأجل غرس حبِّ الشَّهادة في القلوب والنفوس يحاول القائد أن يدخل إلى تلك النفوس عن طريق آخر ليعزّز فيها حبَّ الشَّهادة، وهو العزّة والكرامة، وذلك من خلال بيان أنَّ الامتناع عن طريق الشَّهادة يعني الانهزام أمام الآخرين، يقول: "**حبُّ الشَّهادة لا بدَّ منه، وإلّا فإنَّ الشَّعب أو الأمَّة التي لا تعشق الشَّهادة، ولا يسهل عليها ركوب طريق الشَّهادة، ولا تعرف المِراسَ الذي تتطلبهُ ميادينُ الشَّهادة، أمَّة لا بدَّ أن تكون مهزومةً أمامَ الأمم الأخرى، يكون شعب لا بدَّ أن يخسر نفسه وحريته وكرامته وحياته، فلا بدَّ من حب الشَّهادة**"(١).

إذن، حبُّ الشَّهادة أمرٌ ضروري في الحياة العزيزة الكريمة، فحتى لو غضضنا النَّظر عن الثواب وما يلازم من كرامة الشَّهادة فإنَّها تبقى ضرورية.

ويفصّل حفظه الله في كلمة أخرى عن مسألة العزّة والكرامة فيقول:

"ما من أمَّة تطلب عزتَّها إلّا وعليها أن تبذل من دمِها، والأمَّة التي تبخل بالدَّم إنّما تتخلَّى عن عزتِّها وكرامتها واستقلاليّتها وتقبل بالذلِّ والهوان، فالنَّاس لا يرحمون، في الأرض كفر، وفي الأرض نفاق، وفي الأرض أهل تسافل ومطامع دنيويّة وعدوانيّة شرسة، فالأمَّة التي تمتنع أن تضحِّيَ، وأن تبذل، وأن تعطي من دمِها فلتستعدّ لموقع الذلِّ والهوان والتبعيَّة الخسيسة.

الأمَّة تُسلب حقوقها، وتُستباح أرضها، وتُمتلك عليها ثروتها، ويُذل أبنائها، إذا أرادت أن تستعيد الحقَّ المسلوب فالثَّمن هو الدمُّ المسفوح، وحيث لا تُعطي هذا الدمَّ تبقى حقوقها مضيّعة مسلوبة، ويبقى موقعها موقع الذلِّ والخزي والهوان. والأمَّة الإسلاميّة لن تعود إلى موقعها ولن تتحرَّر وتتوفَّر على استقلاليتها و إرادة التصرُّف الحرّ في ذاتها وثرواتها وتربية

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني- ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه – الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م – مأتم سار – البحرين.

أبنائها إلّا بأن تتعلَّم العطاء والشَّهادة وتحصل حالة عشق واعٍ لقضية الشَّهادة"(١).

٤. بذل النفس فيها ربح لوجودي:

حتّى تتعزَّز ثقافةُ الشَّهادة في النَّفس هناك حاجة إلى إلفات المؤمنين إلى حقيقة غائبة ومغفولٌ عنها رُغْمَ وضوحِها، يقول القائد في كلمات تُلامس الروح والعقل: "**على أنِّي في هذا الجِهاد لا أخسرُ نفسِي، لا أخسرُ وجودي، [بل] أنا أربحُ وجودي من خلال هذا الجِهاد، أنا أتنازل عن حياةٍ عابرةٍ على مستوى متدَّنٍ لأنتقلَ إلى حياةٍ خالدةٍ غزيرةٍ، وكبيرةٍ وممتدةٍ ووافرةِ الهَناء**"(٢).

ويشرح ذلك في كلمة أخرى عن حقيقة تلك الحياة التي يُنتقل إليها عن طريق الجهاد والشَّهادة: "**والموت في الإسلام لا يعني نهاية الحياة، ولا يعني الفناء، يعني نشأة في طول نشأة، حياة بعد حياة، عالماً جديداً بعد عالم، كما كنت ابن بطن أمِّك، كما كنتَ في الإطار الضيِّق من عالم الرَّحم، ثمَّ انتقلت إلى نشأةٍ أفسح مجالاً، وأكبر امتداداً، وأوسع أفقاً، أنت كذلك هنا في رحمٍ ضيِّقٍ من الحياة ستنتقل إلى فضاءٍ أكبر وأوسع، فالرُّوح محبوسةٌ من حدود البدن ومؤثِّر عليها من المادة، ولكن هناك الرُّوح طليقة، وأفق اطِّلاعك أوسع، وأنت هناك تشرف من أفق أعلى وأرفع، فالموت ليس نهاية الحياة، وإنّما هو بداية حياة أكبر وأوسع. وعلينا أن نستعد لتلك الحياة، وشروط تلك الحياة وأوضاعها ولذائذها وآلامها غير ما نحن عليه الآن، وكما كان هناك تغير واسع بين حياة الرحم، وبين الحياة على الأرض في وجودنا، سنشاهد عالماً جديداً حين ننتقل من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة**"(٣).

ويقول في كلمة ثالثة مقارناً بين هذه الحياة والحياة الأخرى: "**أعظم ما خافه إنسان على**

---

(١) محاضرة تحت عنوان (في رحاب الشُّهداء) - ٤ جمادى الأول ١٤٣١ه - الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م - مأتم سار- البحرين.

(٢) خطبة الجمعة (٣٤) ٧ شهر رمضان ١٤٢٢هـ - ٢٣-١١-٢٠٠١ م.

(٣) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

نفسه أن يخسر الحياة، أو أن يكون في ضنك من العيش، أن يبقى للبؤس، للحَزَن، للخوف، أن يَلُفّه العدم النهائي، أن تذهب حياته وكلُّ جهده إلى سراب إلى لا شيء، والشُّهداء أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، حياتهم حافلة بالفرح والاستبشار، والأمن والرغد والرِّضا، أجرهم محفوظ ومستقبلهم مؤمَّن مضمون، وهو مستقبل أبديّ بلا نهاية"(١).

٥. الإيمان العنصر الأهم:

يجمع كل ما مرَّ عنصر الإيمان بالله تعالى حيث هو الدافع وهو المولِّد للوعي، وهو الذي يضمن به الإنسان سعادته، وسلامة طريقه، وأنَّ كلّ ما سيقدمه لا يكون سدى وبلا قيمة، هنا يقول الشَّيخ القائد:

"الإيمان يؤسّس لشجاعة، ولجرأة، لإقدام، لعدم حسابٍ للموت الذي لا بدّ له من هجمة على الإنسان. النصوص الدينيّة تقول لك: لا تخسر قضيتك، ولا تخسر مستواك، وإيمانك، وعزّتك، ولا تخسر إنسانيّتك، ولا تخسر مستقبلك لخوف الموت.

عقدة خوف الموت اطرحها عنك وتخلَّص منها، حين تعلم أنَّك لا بدّ أن تموت، ولا فرار من الموت، وأنّ يومك لا مؤجّل له أو معجّل، وحين تعلم أنّه لا بدّ من نهاية، وأنّ الناس كلّ الناس لا يملكون بكلّ ما أوتوا من قوّة وحيلة أن يمدّوا في أجلك لحظة، أو يتقطعوا منه لحظة فإنّك هنا وأمام هذا القدر المحتوم لا بدّ أن تنطلق في هذه الحياة بقوة، إذا كنت قد علمت أنّك لن تستطيع بتوقّفك أن تمدّ في عمرك، وأن تقدّمك إلى ساحات الجهاد لن يبتر من عمرك شيئاً. إنّ قضية الإيمان لتؤسس للشجاعة والجرأة الإقدام"(٢).

---

(١) التأبين المركزي لشهداء البحرين (**الشهداء... مشاعل الثورة**)، الذي أقامه العلماء والحوزات العلميّة مساء الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٢م.

(٢) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

ما هي أرضيّة الشَّهادة؟

يعدِّد سماحة الشَّيخ المقوّمات التي إذا توفَّرت حصلت الشَّهادة الحقيقيّة والمرجوَّة:

"للشَّهادة أرضيّة واضحة إذا حصلت هذه الأرضيّة، حصلت الشَّهادة:

١. صحوة عقل.. الشَّهادة ليس لها وارد في لحظات غيبوبة العقل وسباته.

٢. يقظة ضمير.. والضمير الميت لا يتجه للشَّهادة.

٣. سُموِّ روح.. الروح الهابطة بعيدة كلَّ البعد عن أفق الشَّهادة.

٤. طمأنينة قلب.. لله ولرحمته، إذعان من القلب لنعمه.. لواجب الطاعة له.

٥. إرادة خير قويّة.. صلبة، لا ترتدُّ ولا تنتكس.

٦. إيمان راسخ.. رؤية مستقبليّة واضحة تكاد ترى الآخرة رأي عين، وأنّ منقلب الشَّهيد إلى الله وواسع رحمته، وكريم فيوضاته.

٧. ثقةٌ بالغة بالله.

٨. إكبارٌ للآخرة، واستصغار لدنيا الذلِّ والهوان والتردّي والانحراف والمتعة الخسيسة وشهوات الحيوان.

لا أرضيّة للشَّهادة في الانفعال الغالب للإرادة، في الفوران العاطفيّ المُذْهِب للعقل"[(١)].

موانع الشَّوق إلى الشَّهادة

من الأسئلة المهمَّة التي تخطر على بالنا هذا السُّؤال: مع كلِّ هذا المقام للشَّهادة ما لنا لا نشتاق لها الشوق الحقيقيّ، ونسعى ونهيئ المقدّمات؟

ما مرَّ من بيان التعلُّق بالدُّنيا والنَّظرة إلى الحياة، وعدم إدراك حقيقة الحياة الآخرة لعلَّه

(١) اللقاء السنويّ مع عوائل الشُّهداء، ١٢ شهر رمضان ١٤٣٢هـ/ ١٣ أغسطس ٢٠١١ م، سار، البحرين.

يجيبُ عن هذا السُّؤال، وللتوضيح أكثر ننقل بعض كلمات القائد حول ذلك.

١. تلوُّث الذَّات والنَّقص في النَّفس:

يقول القائد دام ظله في بعض كلماته عند لقائه ببعض عوائل الشُّهداء، فيقول حفظه الله:

"إنَّ كلَّ مصيبتِنا في تلوُّث ذواتِنا؟ وأنَّ نقصَ الشُّعور بالسَّعادة في أيِّ نفسٍ وراءَه نقصٌ في النَّفس، ولو طهُرت النَّفس من كلِّ أدرانها وأقذارها لما شاب شعورُها بالسَّعادة شوقٌ.

إنَّ غفرانَ اللهِ يعني تطهير الذَّات وغسلها من كلِّ أقذارها، وإذا ما غسلت ذات إنسان من كلِّ الأقذار كانت تلك اللحظة التي تشعر فيها، وبالمعنوية التَّامة، وبالسَّعادة التَّامة، بالخلوِّ من أيِّ مكدِّر من المكدِّرات، كيف لا وهي إذا خلت من الأكدار صارت ترى اللهَ، تنشدُّ إليه، وهل تشعر نفسٌ بالخوف وقد أنشدَّت لله في رضا عنها، وهل تشعر بالفقر أو تشعر بما يهدّدها، هنا لا شعور بنقصٍ في ظلِّ الانشداد والارتباط بالله وفي ظلِّ الشُّعور بمرضاته سبحانه وتعالى.

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من قُتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته»[١]، وعن رسول الله** صلى الله عليه وآله: **«الشَّهادة تكفّر كلَّ شيء إلّا الدَيْن»، فإذا كُفّرت الذنوب وغُسلت الذَّات من أقذارها تمَّت مواقعة السَّعادة"[٢].**

٢. النظرة الخاطئة إلى الدُّنيا:

يقول حفظه الله: **"منّا من يستمّسك بهذه الحياة؛ لأنَّه لا يرى حياة بعدها بجمالها، لأنَّه لا يرى جمالاً وراء جمالها، بامتدادها، لأنَّه لا يؤمن بامتداد في طولها، يراها كلَّ شيء في وجوده، ويرى أن لا وجود له إلّا بها، وهو هنا لا بدَّ أن يستمّسك بها، ولا بدَّ أن يتهالك عليها، ولا بدَّ أن يضحي بكلِّ شيءٍ لأجلِها، منَّا مَن ينهزم في هذه الحياة بمغرياتها، بلذائها، بمظاهرها،**

---

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج٥ ص٥٤.

(٢) لقاء مع عوائل الشُّهداء - ١٢ شهر رمضان١٤٣٢ه - الموافق ١٣/ ٨/ ٢٠١١ - مأتم سار - البحرين.

يخسر إرادته، يخسر إحساسه بقيمة نفسه، ويخسر شعوره بانتمائه لربِّه، يخسر كلَّ جمالٍ في كيانه نزولاً عند رغبته في هذه الحياة؛ فيقبل أن يُذل، ويقبل أن يُهان، ويقبل أن ينسحق من أجل يوم من أيام هذه الحياة"(١).

فالنَّظرة الخاطئة إلى الدُّنيا وما يلازم ذلك من عدم معرفة أنَّ الآخرةَ حياتُها أوسع وأرحب وأسعد وأجمل يؤدِّي إلى قبول الذلِّ والهوان، وهذا يعني ترك الجهاد وطريقِه، وهذا ما يمكن أن نفسِّر به ما نراه من الأمم والشُّعوب والشَّخصيات المختلفة في قبولها للذلِّ والانهزام والمهانة مهما كانت التَّعليلات والتَّبريرات لذلك الخنوع والخضوع للظُّلم والجور.

ويكمل القائد خلال حديثه عن أنماط النَّاس في تعاملهم مع الحياة ونظرتهم إليها، مبيناً الفئة ذات النَّظرة الدقيقة والصحيحة للحياة، وتحتاج هذه الكلمات إلى تمكّن أكثر من قبل المؤمن، وأنقل كلامه رغم طوله، يقول حفظه الله:

"ومنّا من يقيم لهذه الحياة وزناً عالياً، لا لأنَّها أنفاس تذهب وتجيء، ولا لأنَّها أوقات على الأرض يتمتَّع فيها بمأكل أو مشرب، ولا لأنَّ زينة الحياة تغريه، وإنّما لأنَّه يرى كلَّ لحظةٍ من الحياةِ ذاتَ قيمةٍ عاليةٍ في صناعة وجودٍ جديدٍ قافزٍ في وجودِه، يرى في كلِّ لحظة فرصة بأن يتقدَّم من خلالِها في مستواه، وأن يقرب شيئاً ما من خالقه، أن يعظم شعورُه بذاتِه في ظلِّ شعوره بقيمة إيمانه، يرى في كلِّ لحظة من لحظات الحياة فرصة لنمو وزكاة وعلوّ وسموّ في ذاتِه، وهو يرى أنَّ قيمة الحياة من قيمة ما يمثل أمام ناظريه من هدف الوصول إلى رضوان الله، وإلى جنَّة فيها يقظة الرُّوح، وفيها سموُّ الرُّوح، وحياة الرُّوح، وفيها الصَّفاء والنَّقاء والخلوُّ الكامل من الشَّوائب، لذلك والحياة عزيزة عليه يسهل عليه أن يضحِّي بالحياة، الحياة عزيزة عليه لأنَّها مجال صناعة ذاتِه، ولأنَّها فرصة التقدُّم بمستواه، ولأنَّ مستقبله من

(١) لقاء الوفاق الرمضاني – ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه – الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م – مأتم سار – البحرين.

صناعة نفسه في هذه الحياة، وتسهل عليه هذه الحياة بكلِّ ما لها من قيمة عالية إذا كان إنهاؤه لحياته مختاراً، متقدِّماً للسُّيوف والرِّماح، فاتحاً صدره للرصاص إذا كان ذلك مقدمة لنيل الهدف الأكبر الأعظم، الذي منه تسمّتد منه الحياة قيمتها، ألا وهو رضوان الله، ألا وهو جنَّة الخلد التي هي عنوان مرضاة الله"(١).

٣. اعتقاد النَّجاة من الموت من خلال الفرار:

رغم إيماننا بالله سبحانه وأنَّه تعالى هو الذي يقدر الآجال والأعمار للنَّاس إلا أنَّ مسألة الاعتقاد بأنَّ الفرار من الجهاد والحرب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي للظَّلمة من الأمور المنجية من الموت هذه المسألة مسيطرة على نفوسنا، وقد أشار إليها القائد حفظه مستشهدا برواية عن الأمير عليه السلام، يقول سماحته:

"وقد تفرُّ النَّفس من الشَّهادة مخطئة بتصوّرٍ أنَّ فرارها من ساحات الشَّهادة أياماً تبقيها في هذه الحياة، يأتي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ليعالج جنبة الضَّعف النَّفسية في مثل هذه النَّفس: «إنَّ الفارَّ لغيرُ مزيدٍ في عمره ولا محجور بينه وبين يومه»(٢)، فهنا تأكيد على أنَّ الفِرار من ساحات وميادين الشَّهادة لن يضيف للعمر ولا لحظة واحدة على الإطلاق، فلماذا الفِرار؟ فهناك يوم ينتظرنا في ساحات الجهاد أو على الفراش ولنختر، هناك نفوسٌ هامت في الشَّهادة وعشقتها كلَّ العشق حتى صارت غاية مطلوبة لها تفتِّش عنها في كلِّ المسالك والدروب"(٣).

وهذا يؤثَرُ عن الأمير عليه السلام قوله: «لضربةٌ بالسَّيف أهونُ من موتٍ على فراش»(٤)، فما دامَ الموتُ قادماً لا محالة وأنَّ الجهاد لا يقدِّم ولا يؤخِّر أجلاً، فلماذا نختار موتة الفراش؟!

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ- الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرّ العاملي، ج١٥ ص٦١.

(٣) لقاء مع عوائل الشُّهداء -١٢ شهر رمضان١٤٣٢هـ - الموافق ١٣/ ٨/ ٢٠١١ - مأتم سار - البحرين.

(٤) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، ص٥٢٤.

فالمهم للإنسان أن يفكر بشكل جدّي أن يكون موته في طريقة الشَّهادة ويدعو صادقاً للتوفيق بها، يقول القائد: **"هناك لحظة سهُل علينا أو صعب، ساغ لنا أم لم يسغ، حَلت أو مَرّت في المذاق لا بدَّ أن نواجهها، لحظة الرَّحيل من هذه الأرض، والمسألة ليست مسألة أن نرحل وإنّما كيف نرحل؟ وإلى أين نرحل؟ وبأيّ خاتمة يكون رحيلنا من هذه الحياة"**[1].

٤. الخوف من الموت والاعتقاد بأنَّه فناء:

تقدَّم ما يرتبط بهذه النُّقطة، ونؤكِّد عليها هنا، وهي أنَّ المؤمن وإنْ كان يعتقد بأنَّ هناك حياة بعد الموت، ولكن قد يغلب على الوهم والنَّفس -مقابل العقل- أنَّ الموت نوعٌ من الفناء، وهذا ربما ما نعيشه عملياً خلال تعاملنا مع الموت، نحتاج إلى تنبيه وتذكير، خصوصاً ونحن نتحدَّث عن الشَّهادة التي هي أرقى أنواع الموت، ولهذا يؤكِّد سماحة القائد على هذه المسألة في كلماته المختلفة، يقول في بعضها:

"الشَّهيد حيٌّ غير ميّت وكلُّ خوفِنا من الموت، القرآن الكريم يطمئن الشَّهيد بأنَّه ليس بميت، حيٌّ بحياة سعيدة، يشعر فيها بالشعور الكريم الآمن، ويرزق رزقاً حسناً من الله سبحانه وتعالى، وهي بداية حياة سعيدة كريمة ومن هنا فليعشقها العاشقون.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمران: ١٦٩)، **﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**(الملك: ٢). **فالبِرُّ هو الخير، وقيمة الإنسان هو ما يأتيه من خير، وإذا كانت الشَّهادة هي البرُّ الذي ليس فوقه برٌّ، فأنت يا شهيد من أحسن النَّاس عملاً، وكلّ اختبار الحياة وتحدياتها إنّما هو من أجل أن تتجلّى الذات الأحسن عملاً من غيرها.**

عن رسول الله ﷺ: «فوقَ كلِّ ذي برٍّ برٌّ حتَّى يُقتل الرَّجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ»[2]**، لا يوجد درجةٌ أرقى من هذا البِرّ، وقد تفرُّ النَّفس من الشَّهادة**

(١) لقاء الوفاق الرمضاني - ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ - الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م - مأتم سار - البحرين.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ص٣٤٨.

مخطئة بتصوُّر أنَّ فرارها من ساحات الشَّهادة أيّاماً تبقيها في هذه الحياة"(١).

والمفترض أنَّ المؤمنَ بعد إدراكِه لهذه الحقيقة ومعايشتها بقلبه وروحِه بعد عقلِه، لا معنى حينئذٍ لخوفِه من الجهاد وطريق الشَّهادة ما دامت الشَّهادة هي طريقه إلى الحياة الحقيقية التي تتناسب مع قيمته وسموِّ روحِه.

المحور الرابع: آثار ثقافة الشَّهادة والجهاد

بما تقدَّم من ذكر المنطلقات والأهداف للجهاد والشَّهادة تتبيَّن الآثار العظيمة التي تترتَّب على ثقافة الشَّهادة وعلى ما يبذله الشُّهداء من تضحيات، ونذكر هنا أثرين أحدها على نفس الشَّهيد والآخر على الأمَّة من بعده.

1. أثر ثقافة الشَّهادة على روح الشَّهيد

ونقصد بذلك أنَّ الشَّهيد حينما كان يحمل في روحِه ثقافة الشَّهادة والتَّضحية كيف كانت علاقة هذه الرُّوح متأثِّرة بهذا الجوِّ الطَّاهر، يبيِّن سماحة القائد روحيّة الشَّهيد قبل استشهاده –والتي ينبغي أن يعيشها كلُّ مؤمن يتوق إلى الشَّهادة– ويذكر حفظه الله في وصف الشُّهداء أثرين مهمين:

"**أ. أنساهم عُشقُهم للقاءِ اللهِ حُبَّ الدُّنيا.**

ب. ولم يجدوا أملاً يغريهم مثل الأمل في لقائِهِ ورضوانه"(٢).

فهؤلاء الشُّهداء كانوا يتميَّزون بهاتين الميزتين المهمَّتين حالَ حياتِهم، الأولى هي شوقهم إلى لقاء الله سبحانه، والأثر هو أنَّهم نسوا حبَّ الدُّنيا، والتَّعبير عظيم هنا، فالدُّنيا وزخارفها وملذَّاتها وشهواتها أمامَ نواظرهم فهم ليس فقط أعرضوا عنها بل «**نسوها**»

(١) لقاء مع عوائل الشُّهداء – ١٢ شهر رمضان١٤٣٢ه – الموافق ١٣/ ٨/ ٢٠١١ – مأتم سار – البحرين.

(٢) التأبين المركزي لشهداء البحرين (**الشُّهداء... مشاعل الثورة**)، الذي أقامه العلماء والحوزات العلميّة مساء الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٢م.

وإنَّمَا «**أنساهم شوقُهم**».. والنسيان إنما يكون للأمور غير المهمة في نظر الإنسان، فحب الدنيا الذي سيطر على غالبية نفوس الناس أصبح منسيا في نفوس وأرواح «**المشتاقين إلى لقاء الله**».

ويقول في مورد آخر: "**عن الإمام عليّ** عليه السلام: «**مَن رائح إلى الله كظمآن يرد الماء**»(١)، **من الذي يريد لقاء الله** عزّ وجلّ **من هذا الذي يفتّش عن لقاء مع حبيب مع الله؟ وهل ذهابه ذهاب عاديٍّ أو بصورة خاصّة؟ ومن هذا الذي يشتهي رحمة الله؟ ويود أن يقرب من عناية الله، ولطف الله، وأن يكون في حماه وأمنه ووقايته وبحبوة كرامته، أتعشق؟ أتحب؟ فيا طلّاب الجنّة فهي تحت أطراف العوالي، «اليوم تبلى الأخبار» وهي النفس التي هامت في حب الشَّهادة، واستولى حب الشَّهادة على كل أقطارها، نفس عليّ** عليه السلام **وأمثال عليّ** عليه السلام، **ويقسم ولا يقسم إلّا صادقاً، «والله لأنا إلى لقائهم أشوق منهم إلى ديارهم»(٢) الآخرون وقد توعّدهم الموت ورأوا شبح المنيّة يشتد شوقهم إلى الديار، أمّا عليّ** عليه السلام **فهو أشوق إلى لقائهم ليشتدّ في سبيل الله من شوقهم إلى ديارهم**"(٣).

والصفة الثانية وهي قريبة من الأولى، وهي «**قطع الأمل بما سوى الله**»، لقاء الله قد استولى على كيانهم وأرواحهم الطّاهرة بحيث لا يثقون في شيء آخر مهما عظم.

ج. من يستعدُّ لبذل النَّفس والدَّم في سبيلِ الله تعالى حتماً هو مستعدٌ أيضاً لبذل ما هو دون ذلك، وهي علامة الإخلاص، وعلامة الصِّدق في الاستعداد للبذل، يشير هنا القائد إلى ساحات الجهاد الأخرى غير الحرب العسكريّة بالنِّسبة لمن يحمل روح الشَّهادة بين جنبيه، يقول حفظه الله: "**أنت بايعت اللهَ على الجنَّة، المسلم يعدُّ عدةَ الحربِ بنفسِه، يربِّي**

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج١٥ ص٦١، نص الحديث « .... **وإنَّ الفار غير مزيد في عمره، ولا محجوب بينه وبين يومه، من رائح إلى الله كالظمآن يرد الماء الجنَّة تحت أطراف العوالي، اليوم تبلى الأخبار**...».

(٢) المصدر السابق.

(٣) لقاء مع عوائل الشُّهداء – ١٢ شهر رمضان١٤٣٢هـ – الموافق ١٣/ ٨/ ٢٠١١ –مأتم سار – البحرين.

فرسَه، ويشتري سهمَه، ويشتري السَّيف، ويشتري كلَّ العدة، ويخرج لقتال المشركين، عند نداء رسول الله ﷺ. أنت لا بدَّ أن تكون متأهباً دائماً، وفي الخطِّ الأمام دائماً، تسمع أوَّل نداءٍ لنشاط ثقافيّ إسلاميّ، أوَّل نداء بنشاط اقتصاديّ إسلاميّ، لخدمة اجتماعيّة على الخطِّ الإسلاميّ، فتتقدَّم فَرِحاً، أنت بايعت الله، بايعت رسول الله ﷺ، على أن يكون الثَّمن الجنَّة وليس الدِّينار! وليس التَّكريم الاجتماعي أيضاً"(١).

وهناك أثر رابع أشار إليه ضمن هذا الكلام المتقدِّم وهو الاستعداد والتهيؤ للبذل والتضحية والعمل.

3. أثر جهاد الشُّهداء على الأمَّة

إنَّ أثر جهاد الشُّهداء واسعٌ وشاملٌ لكلِّ الأمَّة بل لكلِّ النَّاس، وربما لا يمكن حصر الآثار في عدد معيَّن، لأنَّه يشمل كلَّ جوانب الحياة، ولكن نذكر منها:

أ ـ فتح طريق الهدى الذي أغلقه الظَّالمون:

يقول القائد بشأن الشُّهداء: **"رأوا أنَّ طريق النَّاسِ إلى اللهِ يقطعه عليهم الظَّالمون، فأخذوا على أنفسهم أن يفتحوا بشهادتهم هذا الطَّريق الذي لا هدى ولا حياة للنَّاسِ إلّا به، ومن غيرِهِ هم هالكون، أخذوا على أنفسهم ليدخل النَّاسُ في طاعةِ الله أفواجاً أفواجاً، ويجدوا طريقهم إلى رحمتِهِ وكرامتِهِ"**(٢).

وهنا توجيه البوصلة من الشَّيخ القائد إلى الوجهة الصَّحيحة في مواجهة الظَّالمين، فإنَّ الظَّالمين بظلمهم يقطعون (**الطَّريق إلى الله**)، وفتح هذا الطَّريق لا يكون إلا من خلال الجهاد وثقافة الشَّهادة.

(١) خطبة الجمعة (٣٤) ٧ رمضان ١٤٢٢هـ - ٢٣-١١-٢٠٠١ م.

(٢) التأبين المركزي لشهداء البحرين (**الشُّهداء... مشاعل الثورة**)، الذي أقامه العلماء والحوزات العلميّة مساء الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٢م.

ولولا أنَّ هناك جماعة أرخصت نفسها في هذا السبيل، لكن الضلال والفساد والظلم أكثر انتشارا في الأرض وأوسع تأثيراً.

ب ـ نور الشَّهيد ليس له زمان أو مكان محدود في التأثير:

في كلمة له ﴿حفظه الله﴾ يعبّر عن الشَّهيد بأنَّه "نور"، ثمَّ يصف هذا النُّور ومدى تأثيره، فيقول: **"الشَّهيد نورٌ يخترق الآفاق، الشَّهيد في زاوية صغيرة من الأرض لا يبقى حبيس هذه الزاوية، الشَّهيد للزمن كله، الشَّهيد للمكان كله، للعالم كله".**

ثمَّ يأخذ في بيان هذه الجملة نافياً المبالغة فيها، فيقول: **"ينبع صدق هذا الكلام من أنَّ الشَّهيد إنَّما سقط دمه على الأرض من أجل دين الله، ودين الله حاجة كل الأرض، حياة الأرض الماديّة، وحياة الأرض المعنويّة، إنسانية الإنسان، كل ذلك لا شيء بلا دين حقّ، والشَّهيد إنَّما سقط على الأرض صريعاً من أجل هذا الدِّين، الدِّين الذي به حياة النَّاس، الذي به حياة الأرض، الذي به إنسانية الإنسان، الذي به سموّ الإنسان"**[١].

وإنْ كان الأساس للجهاد هو إعلاء كلمة الدِّين، إلّا أنَّ هذا الأثر لا يقتصر على المتديّنين؛ لأنَّ إعلاء الدِّين فيه خيرٌ لكلِّ الإنسانية، وهذا ما يؤكِّد عليه سماحة الشَّيخ في كلماته المتفرِّقة.

"الشُّهداء لا يعرفون الحدود، ولأنَّهم لا يعرفون الحدود فيجب أن ينفتح عليهم جميع أهل الحدود. وهذه الأمَّة منبع شهداء، وخزين شهداء، وسيستمرُّ تدفُّق الشُّهداء، من أجل حفظ الأرض، حفظ دينِ الله، حفظِ إنسانية الإنسان"[٢].

ج ـ تعليمهم الأمَّة على الإقدام والتَّضحية:

(١) الحفل التأبينيّ (**بوابة الوصال**)- ١٢ يونيو ٢٠١٩، الذي أقيم في مدينة قم المقدّسة إحياءً لذكرى ١٢٨ شهيداً من شهداء الثورة الإسلاميّة وشهداء الدفاع عن الحرم المقدّس.

(٢) الحفل التأبينيّ (**بوابة الوصال**) – ١٢ يونيو ٢٠١٩، الذي أقيم في مدينة قم المقدّسة إحياءً لذكرى ١٢٨ شهيداً من شهداء الثورة الإسلاميّة وشهداء الدفاع عن الحرم المقدّس.

حين تعليقه على حديث أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «**أين أخواني الذين ركبوا الطَّريق ومضوا على الحقّ؟**»[١] يقول الشَّيخ القائد حفظه الله: "**يتأسَّف لهم لفراقهم، فقد خسرتهم الحياة، فمن استشهد في سبيل الله فليس أربح منه للحياة، ولكنّ الحياة خسرته، فلا بدَّ أن نأسف لشهدائنا من هذا المنطلق؛ لأنَّهم نماذج تعلمُنا الإقدام في سبيل الله، والجرأة في سبيل الله، وأن نسترخص النَّفس في سبيل الله، وأن لا يكون لنا اعتزاز بشيءٍ كما هو اعتزازنا بالدِّين وبالله تبارك وتعالى**"[٢].

نكتفي بهذا القدر من الكلام، مع وجود كلماتٍ كثيرةٍ جداً لسماحة الشَّيخ القائد(أطال الله في عمره، ومتعنا بطول بقائه)، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٢ص١٠٩.

(٢) لقاء الوفاق الرمضاني – ٩ شهر رمضان ١٤٣٤ه – الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م – مأتم سار – البحرين.

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

شرف الحُسْنَيَيْن... العلمُ والشَّهادة

(نظرة حول كتاب «شهداء الفضيلة» للعلّامة الأمينيّ)

الشَّيخ محمَّد عليّ الخاتم

الملخّص

تعرَّض الكاتب في مقالته إلى كتاب «**شهداء الفضيلة**» للعلّامة الشَّيخ عبد الحسين الأمينيِّ النَّجفيِّ رحمه الله، الذي يتعرَّض فيه للعلماء الذين نالوا شرف الشَّهادة، وقد قسَّم الكاتبُ مقالته إلى خمسة أقسام بلحاظ الأسباب التي كانت سبباً للشهادة، وذكر حدود أربعين عالماً مبيّناً بعض جوانب حياتهم باختصار من بين مائة وثلاثين ذكرهم الأمينيّ

المقّدمة

لا يخفى ما للعلم من انعكاسات على الفرد والمجتمع، لا سيَّما إذا كان تلقِّي العلم بجدٍّ واجتهاد وتأنٍّ وإخلاص. وبعد تلقّي العلم الصَّحيح من المنابع السَّليمة يكون الإنسانُ عالماً متقناً، فما عليه سوى أن يطبِّق ما تعلَّمه من علومٍ في سبيل هداية النَّاس بقدر وسعه، مساهماً في تقويّة إيمانهم وربطهم بدينهم، رافعاً شعار الدِّفاع عن الدِّين القويم وعن معتقدات المؤمنين، مبيِّناً التباسات الملتبسين ورافعاً لشبهات المشكِّكين.

هذا الصِّنف من العلماء هم من امتدحهم الشَّارع المقدَّس في روايات عديدة جدّاً؛ ففي بعضها يوصفون بالمرابطين في الثَّغر الَّذي يلي إبليس[١]، وأخرى بأنهَّم المنقذون لضعفاء عباد الله[٢]، وثالثة بأنهَّم الكافلون لأيتام آل محمَّد[٣]، وفي رابعة بيان لمقامهم في الآخرة وأنّهم في الرَّفيق الأعلى[٤]، أي: أنهَّم مع النَّبيِّين الَّذين يسكنون في الرّفيق

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «علماء شيعتنا مرابطون في الثّغر الَّذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته النَّواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممَّن جاهد الرّوم والتُّرك والخزر ألف ألف مرَّة، لأنّه يدفع عن أديان محبّينا، وذلك يدفع عن أبدانهم». انظر: الاحتجاج، الشَّيخ الطَّبرسيّ، ج٢، ص١٥٥.

(٢) عن الإمام علي بن محمَّد الهادي عليه السلام أنّه قال: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الدَّاعين إليه، والدَّالِّين عليه، والذَّابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النَّواصب، لما بقي أحدٌ إلَّا ارتدَّ عن عن دين الله، ولكنَّهم الَّذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشِّيعة كما يمسك صاحب السَّفينة سكانها، أوّلئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ». انظر: الاحتجاج، الشَّيخ الطَّبرسي، ج٢، ص٢٦٠.

(٣) عن الإمام الرِّضا عليه السلام: «يقال للعابد يوم القيامة، نعم الرَّجل كنتَ همَّتك ذات نفسك وكفيتَ النَّاس مؤنتك. فادخل الجنَّة. إلَّا أنّ الفقيه من أفاض على النَّاس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله وحصّل لهم رضوان الله تعالى، ويقال للفقيه: يا أيّها الكافل لأيتام آل محمَّد صلى الله عليه وآله الهادي لضعفاء محبِّيهم ومواليهم قف تشفَّع لكلِّ من أخذ عنك، أو تعلَّم منك. فيقف، فيُدخل الجنَّة معه فئاماً وفئاماً وفئاماً» انظر: عوالي اللئالئ، ابن أبي جمهور الإحسائي، ج١، ص١٩.

(٤) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أشدّ من يتم اليتيم الَّذي انقطع من أمّه وأبيه يُتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا

الأعلى، وفي خامسة يفضَّلون على العُبَّاد[١] بدرجات رفيعة ورتب عالية، بل في بعض الرِّوايات فيها تفضيل لهم على المجاهدين في سبيل الله ممَّن جاهد الرُّوم والتُّرك والخزر ألف ألف مرَّة[٢]... هذا كلُّه لمن نال فضيلة العلم وكان عاملًا بما يعلم، فما بالك بمن نال كلا الحسنين العلم والشَّهادة، بأن كان عالماً وفي ذات الوقت قد نال شرف الشَّهادة لا سيَّما أولئك العلماء الَّذين كانوا يسيرون في طريقها لنيل شرفها، ليكونوا بذلك قد عملوا بوظائفهم على أتمِّ وجهٍ حتَّى خرجوا من الدُّنيا شهداء مدافعين عن دين الله وأهله.

في هذه المقالة نستعرض نماذج من علمائنا الأعلام الَّذين نالوا شرف الحسنيين، مستفيدين من الكتاب القيِّم الموسوم باسم (شهداء الفضيلة) للشَّيخ عبد الحسين الأمينيِّ النَّجفيِّ قدس سره المُتوفَّى سنة ١٣٩٠هـ في يوم الجمعة في الثَّامن والعشرين من ربيع الأوَّل، وهو كتاب يتضمَّن تراجم شهدائنا الأعلام -ممَّن ظفر بتراجمتهم وعرفهم[٣]- من القرن الرَّابع الهجريِّ إلى القرن الرَّابع عشر وتعدادهم في الكتاب مائة وثلاثون شهيداً من العلماء، وفي ضمن ترجمة بعضهم كان يترجم لبعض الأعيان والسَّادة الشُّرفاء الَّذين نالوا شرف الشَّهادة من غير العلماء.

أمَّا عن سبب تركه العلماء الشَّهداء "في القرون الثَّلاث الأولى من الهجرة المقدَّسة؛ [لأنَّه]

الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى». انظر: عوالي اللئالئ، ابن أبي جمهور الإحسائي، ج١، ص١٦.

(١) عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**فقيه واحد ينقذ يتيماً واحداً من أيتامنا، المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشدّ على إبليس من ألف عابد؛ لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وأماءه، ينقذهم من يد إبليس ومردته فلذلك هو أفضل من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة**» انظر: عوالي اللئالئ، ابن أبي جمهور الإحسائي، ج١، ص١٦.

(٢) انظر حاشية رقم (١).

(٣) لا شكَّ في أنَّ هناك من العلماء الشُّهداء ممَّن لم يظفر بهم المصنّف؛ لقصور الأدوات آنذاك ولكثرة العلماء في البلاد، منهم الشَّيخ أيوب البوريّ البحرانيّ المستشهد في ١٠١٠هـ في مصر على يد عدد من الطَّائفيِّين. انظر: أعلام الثَّقافة الإسلاميَّة في البحرين، د. سالم النّويدي، ص١٧٤.

قد دوِّنت أخبارهم في المعاجم الكثيرة".

وسنسير في هذه المقالة على غير ترتيب المصنِّف في الكتاب في عرض الشَّخصيَّات؛ لأنَّا سننتخب من العلماء الأعلام الذين ذكرهم المصنِّف بتصنيف سبب شهادتهم ونوع الجهاد الَّذي كانوا يمارسونه، وعدد من انتخبناهم هو نيف وأربعون عالماً مع استعراض خلاصة لحياتهم المباركة، ووزَّعناهم على عناوين خمسة:

وسنبتدئ بالشَّهادة بالقتال في الجبهات.

ثمَّ الشَّهادة بسبب كلمة الحقّ.

ثمَّ الشَّهادة بسبب مناكفة الباطل.

ثمَّ الشَّهادة بسبب المعتقد الحقِّ والعداء المذهبيِّ.

ثمَّ الشَّهادة بسبب العلم والعمل به وبسط اليد.

الأوَّل: شهداء القتال في الجبهات

نصدِّر بهذا القسم؛ للالتفات إلى حضور العلماء في سوح القتال، وأنَّ حضورهم لم يكن يثنيهم عن العلم والاستمرار فيه وطلبه، كما أنَّ مقاماتهم العالية في العلم وتصدُّرهم الزَّعامة الدِّينية والمكانة الرَّفيعة لم تثنهم عن أن يخالطوا أهل الجبهات، فيحملوا السِّلاح إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، ومن العلماء من سلم من القتل في جبهات القتال، كأمثال آقا نور الدِّين العراقيّ حيث كان يكتب تفسيراً للقرآن وهو في جبهة القتال كما نقل عنه. ومنهم من استشهد فنال شرف الحسنين نذكر منهم:

العلَّامة السَّعيد المولى عليّ الزَّنجانيّ

استشهد سنة ١١٣٦هـ عند تهاجم العثمانيِّين على إيران وتواطئهم مع الرُّوس على

تقسيم بلادها، وكان قد حكَم علماءُ القسطنطينيَّة بكفر الشِّيعة، وأنَّ بلادهم بلاد حرب، فيجب قتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم... استشهد مدافعاً عن زنجان، وكان قائداً لأهل زنجان فدارت رحى الحرب حتَّى استشهد فيها.

العلم الحجَّة الشَّيخ زين بن الشَّيخ خليل الأنصاريّ الخزرجيّ العامليّ

من شيعة عاملة، رحل إلى النَّجف طلباً للعلم، وبقي فيها خمسة عشر سنة درس فيها على يد الميرزا علي كني والسَّيِّد بحر العلوم، حتَّى طلبه أهل عامل لإرشادهم، وشجَّعه أستاذُه السَّيِّد بحر العلوم على ذلك، فرجع واستقبله أهل عامل استقبالاً فخماً لم تشهد البلاد مثله... فكان يجلس في المسجد يوميَّاً للقضاء والفتيا وغير ذلك.. حتَّى قتله الجزَّار أحمد شاه سنة ١٢١١هـ، وأحرق جثَّته واستولى على مكتبته الَّتي تنيف مجلداتها على ٣٠٠٠ مجلَّد وأحرقها... بقي منها كتاب الذَّريعة.

العالم المجاهد الحاج المولى رضا الاستراباديّ

من أعاظم رؤساء الدِّين وأهل الفتوى.. كان يجاهد في تكمانستان حتَّى استشهد ببغيهم.

العالم الجليل السَّيِّد عبد الباقي

عالمٌ جليلٌ زاهدٌ ورع، كان محفله مجمع الفضلاء والأمراء.. تزعَّم المناصب العليا.. استشهد في واقعة محاربة ملك الرُّوم ٩٢٠هـ في أذربيجان.

الصَّدر الكبير الأمير السَّيِّد شريف عليّ بن الأمير تاج الدِّين

استراباديّ الأصل شيرازيّ المنشأ.. عُرف بنشر مبادئ الإماميَّة والدِّعاية إليها.. قُتل في معسكر السُّلطان شاه إسماعيل الصَّفويّ سنة ٩٢٠هـ، في معركة بين السُّلطان شاه إسماعيل الصَّفويّ وبين السُّلطان سليم ملك الرُّوم.

الفقيه المتكلِّم المولى عبد الصَّمد الهمدانيّ

نزيل كربلاء، وهو تلميذ المروِّج البهبهانيّ وصاحب الرِّياض، وهو متضلِّع في الفقه والأصول واللغة، استشهد في كربلاء بهجمة الوهَّابيِّين على كربلاء المشرَّفة، فأخرجوه بالحِيَل من داره يوم الغدير وقتلوه سنة ١٢١٦هـ.

العلَّامة الشَّيخ محمَّد حسين الأعسم(1)

عالمٌ فاضل... قُتل في حسكة تسمَّى اليوم بالدّغارة في يوم عاشوراء، وهو يقرأ مقتل الإمام سنة١٢٨٨هـ على يد أحد الجنود الأتراك ونقلت جنازته إلى النَّجف ودفن بها.

الثّاني: الاستشهاد بسبب كلمة الحقِّ

لقول الحقِّ فضلٌ كبير جدًّاً، والرِّوايات دافعة نحو قول الحقِّ من كلِّ أحد، والعلماء أبرز من يخاطب بذلك، لكونهم المتصدِّرين لقيادة المجتمع والمتصدِّرين للمواقع الحسَّاسة من القضاء والفتيا وإصلاح ما بين النَّاس.. وهذا كلُّه يتطلَّب منهم ألَّا يداهنوا أحداً في سبيل تطبيق الدِّين وإرشاد النَّاس إليه، وهذا يستلزم أن يقولوا الحقَّ في الرَّضا والغضب، والشِّدَّة والرَّخاء، وأمام الوضيع العزيز وغيرهم حتَّى لو كان قد يجلب بعض الضَّرر على القائل، كما لو كان أمام السُّلطان الظَّالم، وكلُّ ظرف يقدَّر بقدره.

العلَّامة الزَّعيم السَّيِّد عبد الله بن السَّيِّد إسماعيل

وُلد في النَّجف ١٢٦٢هـ ودرس فيها على يد المجدِّد الشِّيرازيّ والكوهكمريّ، قُتل في سنة ١٣٢٨هـ؛ لمحاولته تطبيق قوانين الدُّستور بالنَّواميس الدِّينيَّة.

العالم البارع الشَّيخ أبو تراب بن الشَّيخ حسين بن الشَّيخ سليمان البحرانيّ الماحوزيّ

(١) نسبة إلى عسمان وهم فخذ من حرب إحدى القبائل الحجازيَّة.

أخذ العلم في النَّجف لمدَّة ١٥ عاماً، ثمَّ هبط في بوشهر فعلى كعبُه فيها، وأقام الدِّين والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.. قُتل على يد خصم كان قد تحاكم عنده فقتله وقتل رضيعه وخصمه.

ومثله الشَّيخ الإمام شرف الإسلام زين الدِّين بن الإمام نور الدِّين عليّ بن أحمد المعروف بـ(الشَّهيد الثَّاني)

وُلد بشوال ٩١١هـ، هاجر إلى ميس سنة ٩٢٥هـ، ثمَّ إلى كرك سنة٩٤٤هـ، ثمَّ جبع سنة٩٣٤هـ، ثمَّ دمشق ٩٣٧، ثمَّ رجع إلى جبع بعد عام واحد، ثمَّ مصر ٩٤٢هـ، ثمَّ رجع إلى جبع ٩٤٤هـ ،ثمَّ بيت المقدس ٩٤٨هـ. وكلّ تنقلاته هذ كانت في سبيل طلب العلم في شتَّى المجالات والعلوم، هو أوَّل من صنَّف في دراسة الحديث من الإماميَّة.

وورد في سبب استشهاده أنَّه قُتل بسبب حكمه بين اثنين لم يرضَ المحكوم عليه، فذهب لأحد قضاة الدَّولة شاكياً مفترياً، ليصدر الأخير الأمر بالقبض عليه سنة ٩٦٥هـ ، وكان القبض عليه بالمسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر، وأخرجوه إلى بعض دور مكَّة وبقي محبوساً هناك شهراً وعشرة أيّام، ثمَّ ساروا به إلى طريق البحر إلى قسطنطينيَّة، وقتلوه بها في تلك السنة، وبقي مطروحاً ثلاثة أيَّام، ثمَّ ألقوا جسده الشَّريف في البحر قدَّس الله روحه.

العلَّامة الشَّيخ محمَّد تقي بن آقا باقر الهمدانيّ

عالم متضلّع.. وُلد ١٢٦٣هـ في همدان ودرس فيها، ثمَّ اتَّجه نحو أصفهان وتخَّرج بها مجتهداً مجازاً بالاجتهاد من المولى حسينعليّ التّوسكانيّ، ثمَّ زار النَّجف في عهد الشَّيخ الأنصاريّ، فبعد تردُّدٍ على مجلسه أعجب به وعزم على البقاء والاستفادة عنده، فمكث سنيناً حتَّى صار يقرِّر بحث الأنصاري للطُّلاب.. ثمَّ قفل راجعاً إلى همدان، حاملاً إجازة الاجتهاد من شيخه الأنصاريّ، حتَّى طلبه شيعة كردستان لتعليمهم، وبعد إلحاح منهم

ومن بعض أهل العلم عزم على الذَّهاب إليهم، فأقام عندهم ٢٩ عاماً علماً للمذهب حامياً للدِّين ذابّاً عن حمى الشَّريعة... حتَّى حسده غيرُ واحدٍ من الأضداد، وكانت نار الحقد تحتدم في صدورهم، حتَّى دارت رحى الفتن راح ضحيتها الشَّيخ سنة ١٣١٤هـ بعمر ٦٣ سنة ونهبت داره ومؤلفاته.

وكذا علَمُ العِلمِ وعيلَمُ الأدب الحسين مؤيّد الدِّين أبو إسماعيل بن عليّ بن محمَّد بن عبد الصَّمد الإصبهانيّ من أولاد أبي الأسود الدُّؤليّ. وهو ممَّن ارتوى الكلُّ من نمير أدبه السَّائغ واعترف الجميع بعلمه الغزير، فهو فاضلٌ عالمٌ صحيح المذهب قُتِل ظلماً، بعد أن وُشي عليه عند الوزير بأنَّه ملحد فقتل!

الثّالث: الاستشهاد بسبب مناكفة الباطل فراحوا قتلى على أيدي الملاحدة والتَّيّارات الباطلة

هذا الدَّور العظيم وهو الوقوف في وجه الانحراف، وكلِّ ما يمكن أن يفتَّ في عقيدة المجتمع، ويبعدهم عن المعتقد النَّاصع بنشر الشُّبهات والانحراف من التَّيارات، وإيجاد ما يحلِّل أخلاقهم ويحرفهم عن السُّلوك القويم.. فإذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمَه وإلَّا فعليه لعنة الله، وسلب نور الإيمان من قلبه... والوقوف أمام التَّيارات الباطلة والمنحرفة، يُعتبر واحداً من أهمِّ الأعمال الَّتي يقوم بها العلماء، ومنهم من يُفرِّغ نفسه في سبيل أن يقف على منافذ الشبهات ومواطن دخول الانحرافات الفكريَّة والسُّلوكيَّة، وهنا نشير إلى بعض النَّماذج العلمائيَّة الَّذين لم تأخذهم في الله لومة لائم، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

ممّن قتلهم أصحاب التيّارات الباطلة

علَّامة النَّحو والأدب أبو الحسين ثابت بن أسلم بن عبد الوهَّاب الحلبيّ

هو أحد نوابغ النَّحو والأدب، من علماء حلب الشِّيعة، كتب كتاباً حول الإسماعيليَّة

يكشف عوراتهم وابتذاء دعوتهم، فقالوا بأنَّه يفسد الدَّعوة، فحُمل إلى مصر فصلب سنة ٤٦٠هـ.

العلَّامة الورع المولى محمَّد تقي البرغانيّ القزوينيّ

مثالٌ للفقه والتُّقى، ولد في برغان إحدى قرى الرَّيّ، فدرس على علماء قزوين، ثمَّ اتَّجه نحو قم المشرَّفة، وحضر فيها بحث العلَّامة المحقِّق الميرزا القمِّيّ، ثمَّ هاجر لأصفهان، ثمَّ كربلاء وحضر بحث صاحب الرِّياض.

قضى ساجداً شهيداً في محراب المسجد على يد الفئة الضَّالة البابليَّة في قزوين، والسَّبب هو منابذته لهم والحكم بتكفيرهم، والرَّدّ على ضلالهم على رؤوس الأشهاد فلمَّا كان هذا يبهضهم عزموا على قتله.. فبينما كان يقرأ المناجاة الخمسة عشر طعنوه بالرُّمح على رقبته، وثنَّوه بطعنة أخرى، فرفع رأسه من السُّجود وهو يقول: لمَ تقتلوني؟!. فأتته طعنة ثالثة على فمه الشَّريف، فأثخنوه بجراحاتٍ ثمَّان، فبادر الخروج عن المسجد حذراً من تلويثه بالدَّم، فسقط مغشيَّاً عليه عند الباب، فحمل إلى داره ليقضي بعد يومين، فما كان يقدر على الكلام للجرح في فمِه، ولكنَّه كان يكثر من ذكر عطش الحسين ويبكي، حتَّى توفِّي ١٢٦٤هـ ودفن بجوار البقعة المعروفة بـ شاهزاده حسين.

العلَّامة السَّيِّد غلام رضا الخراسانيّ البيرجنديّ

أخذ العلم في شبابه بخراسان، ثمَّ أصفهان فرجع بعد أن بلغ غايته من العلم إلى مسقط رأسه، ثمَّ غادر إلى بيرجند حيث استقبله أهلها استقبالاً باهراً، فاشتغل فيها بالتَّدريس والقضاء والإمامة، حتَّى نهض بإقامة الحدود، إلى أن ظهرت فتنةٌ تحمَّلَ السَّيِّد إيضاح غوائلها.. حتَّى قُتل مسموماً سنة ١٢٧٠هـ على يد بعض البابيَّة.

العلم الحجَّة الحاج الشَّيخ فضل الله بن المولى عبَّاس النُّوريّ شهيد الانقلاب الدُّستوريّ بطهران

شيخ الإسلام وعلَمُ العِلْمِ والدِّين، وأكبر زعيم روحيّ بطهران، ولد سنة ١٢٥٨هـ، فهاجر إلى النَّجف وبقي فيها ردحاً من الزَّمن، ومن ثمَّ تحوَّل إلى سامرّاء سنة١٢٩٢هـ، وبعد سنين من حضوره درس المجدِّد الشِّيرازيّ رجع إلى طهران ليكون إماماً وقائداً روحيَّاً وزعيماً دينيَّاً.. حتَّى جابَهَ الإلحادَ والمنكرَ زمناً طويلاً، فمضى شهيداً بيد الظُّلم والعدوان ضحيَّة الدَّعوة إلى الله وضحيَّة الدِّين، ضحيَّة النَّهي عن المنكر.. سنة١٣٢٧هـ حيث حُكم بشنقه ودفن في قم. له (الصَّحيفة المهدويَّة).

ممَّن قتلتهم الملاحدة:

العلَّامة الحجَّة الشَّيخ عبد الكريم بن الحسن أبو زرعة بن عليّ بن إبراهيم بن عليّ بن أحمد الكرجيّ القزوينيّ

من علماء قزوين وكان من أئمَّة الفقه والحديث والأدب، له القدح الأعلى في المزايا الرُّوحيَّة، وهو ممَّن عاش سعيداً ومات شهيداً، قتلته الملاحدة سنة٤٩٨.

الشَّيخ المحدِّث الجليل الحسن بن عبد الكريم بن الحسن المعروف بأبي زرعة

هو ووالده من العلماء الأعلام ومن الشُّهداء الكرام. قتله الملاحدة بأبهر سنة٥٢٩هـ بعد ٣١سنة من شهادة والده.

الإمام العلَّامة أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمَّد الرّويانيّ الطَّبري

وُلد في ٤١٥أو ٤١٦هـ، واستشهد في ٥٠١أو ٥٠٢هـ، وهو أحد أئمَّة العلم والحديث... كان شديد التَّقيَّة، حتَّى حَسِب أهل العامّة أنّه منهم وكونه شافعيَّ المذهب.

هو من علماء حلب، ولمّا ذهب إلى قزوين أخذ يطعن في الطّائفة الباطنيّة، فقتلوه غيلة بآمل طبرستان؛ لأنَّه أوَّل من أفتى بإلحادهم وأمر النَّاس بالابتعاد والتَّجنُّب عنهم، وكان مقتله يوم الجمعة في الجامع عند ارتفاع النَّهار في الحادي عشر من المحرَّم، فقتل بسبب التَّعصُّب والجهل.

العالم الفاضل آقا حسين المسهَّديّ

توفِّي مقتولاً شهيداً سنة ١١١٠هـ، أراد قتله الحاكم لتركه الأكل في إناء الذّهب؛ حيث كان يفرِّغ الطَّعام منه على الخبز ثمَّ يأكله.

العلاَّمة الشَّيخ عبد الغنيّ البادكوبيّ

درس عند الفاضل الأيروانيّ والميرزا الرَّشتيّ حبيب الله في النَّجف، ثمَّ قفل إلى بادكوبه موطنه، فنشر العلم والدِّين فيها، رغم كون الغالب والسَّائد هي قوى الكفر، فقُتل في بادكوبه بعد سجنه لأربعة أشهر سنة ١٣٥٠هـ.

الرَّابع: الاستشهاد بسبب المعتقد الحقِّ والعداء المذهبيّ

لا شكَّ في أنَّ التَّعصُّب إلى الحقِّ أمرٌ محمود والتَّعصُّب إلى الباطل أمرٌ مذموم، ومن الممدوح التَّعصُّب إلى الدِّين النَّاشىء من العلم والمعرفة السَّليمة، بينما إذا كان التَّعصُّب ناشئاً عن الجهل والحقد فإنَّه يعمي عن الحقيقة، ويكون المتعصِّب مخالفاً لأبسط البديهيَّات العقليَّة والدِّينيَّة؛ ولذا قد يهتدي المتعصِّبون بالاستعانة بشياطينهم إلى الطُّرق المقبولة شرعاً وقانوناً؛ ليتحايلوا بها في سبيل إظهار نتائج عصبيَّتهم العمياء المقيتة، وقد لا يهتدون فيظهر تعصُّبهم وعنادهم؛ ليفضح زيف دعاويهم بالتزامهم بالشَّرع والعقل، وهنا نذكر بعض النَّماذج العلمائيَّة الَّتي راحت ضحيَّة التَّعصُّب المقيت:

العالم البارع الشَّيخ علي بن الشَّيخ عبد الله بن رمضان الإحسائيّ

قُتل شهيداً في الأحساء على يد الوهابيين.

العالم التَّقيّ الشَّيخ صالح العسيليّ

من علماء جبل عامل تلميذ بحر العلوم.. قتلَه الجزَّار أحمد شاه سنة١٢٠٨هـ؛ لما شهد عليه خمسون قسامة بأنَّه يسبُّ الشَّيخين.

الفقيه الصّالح الشَّيخ محمَّد الصّيمريّ النّعيميّ البلاديّ مولداً ومنشأً ومسكناً

فقيه عابد صالح توفِّي في القطيف سنة ١١٣٠هـ ؛ متأثِّراً بجراحات على أيدي الخوارج في البحرين؛ عندما قدم إليها؛ لضيق المعيشة في القطيف. وكان عالماً صالحاً ساعياً في حوائج إخوانه شديد الإنكار على الفاسقين.

العلَّامة الأمير زين العابدين الكاشيّ

نزيل مكة والشَّهيد بها، شرَّفه الله بأعظم الشَّرف، وهو إقامة شعار الإسلام وتشييد أرفع بناية يقدِّسها الدِّين وهو تأسيس البيت الحرام.. وكان هناك ممَّن يحقدون عليه؛ لولائه الخاصِّ لأهل بيت العصمة، حتَّى قتل في حرم الله وأمنه، ودفن في لحدٍ هيَّأه لنفسه بالمعلَّى، بمقربة من المولى أمين الاستراباديّ وميرزا محمَّد الاستراباديّ الرِّجالي والشَّيخ محمَّد حفيد الشَّهيد الثَّاني. وسبب قتله هو انتسابه للتَّشيُّع.

السَّيِّد العلَّامة محمَّد مؤمن ابن دوست

محمَّد الحسيني الاستراباديّ نزيل مكَّة الشَّهيد في الحرم سنة ١٠٨٨هـ.

سبوق في طلب العلم لا يُشقُّ غباره، عالمٌ وبحرُ علمٍ خضمٍّ، وهو من مشايخ صاحب البحار ويعبِّر عنه في البحار بـ السَّيِّد محمَّد... وقصّة استشهاده ترجع إلى الحقد الطَّائفيّ؛ حيث إنَّ ملحداً جاء ولوَّث البيت الشَّريف بغائط، فشاع الخبر ولم يظفروا بهذا الملحد، فاجتمع خاصَّة أهل مكَّة وفيهم قاضيها، فأوحى إليهم شيطانهم أن يقذفوا الشِّيعة الإماميَّة من نزلاء مكة بهذه التُّهمة، فاتَّفقوا على قتل كلِّ من يصادفوه من الشِّيعة، فدخلوا المسجد فوجدوا خمسة من الشِّيعة منهم السَّيِّد فقتلوه، وتعاهدوا قتل كلِّ من يجدوه من الشِّيعة، وكان صاحب الوسائل هناك في مكّة فخرج إلى اليمن حتَّى تهدأ فورتهم.

الشَّيخ الإمام علم الإسلام شمس الملّة والدِّين محمَّد بن الشَّيخ جمال الدِّين مكيّ بن محمَّد بن حامد بن أحمد العامليّ النّبطيّ(١)

استشهد سنة ٧٨٦هـ ونُعت بالشَّهيد الأوَّل والشَّهيد على الإطلاق. وهو أوّل من اشتهر بهذا اللقب وآثاره اليوم لا يمكن تجاوزها.

وُلد سنة ٧٣٤هـ واستشهد بعمر ٥٢ في سنة ٧٨٦هـ.

هو مع كثرة أسفاره ودقَّة مؤلفاته يعلم أنَّه ممَّن اختاره الله تعالى لتكميل عباده وعمارة بلاده، حتَّى استشهد في قلعة دمشق فقتل بالسَّيف، ثمَّ صُلب، ثمَّ رجُم، ثمَّ أُحرق بالنَّار بفتوى برهان الدِّين المالكيّ وعبّاد بن جماعة الشَّافعيّ، وتعصُّب جماعة كثيرة بعد أن حبس في القلعة الدِّمشقيَّة سنة كاملة.

وسبب حبسه وشاية مغرضة ناشئة من العصبيَّة، والغريب أنَّ هذه الوشاية حصلت على تأييد سبعين من أهل الجبل، عند الإدلاء بشهادتهم على الشَّهيد الأوَّل. وأثبت ذلك أيضاً كتابة ما يقرب من الألف من أهل السَّواحل، من رعاع النَّاس ممن أعماهم التَّعصُّب فانتهزوا كلَّ الفرص لإظهار حقدهم على الشَّهيد.

اتّهموا الشَّهيد بالعقائد الباطلة وإباحة الخمر الصرف وغيرها، وأبى الله إلّا أن تبقى كتبه شاهدة على إيمانه وإتقانه وعلمه وإخلاصه، كما أنّها شاهدة على ظلمهم وافترائهم عليه.

الشَّيخ الأجلّ السَّعيد أبو عليّ الفتال النَّيسابوريّ

صاحب كتاب روضة الواعظين، وهو من مشايخ ابن شهر آشوب. عرف بعلمه الغزير، وكان خطيباً مصقعاً واعظاً بأقواله وأفعاله، وقد حاز ثقة الكلّ، وله كتاب النُّوير في التَّفسير. قتله أبو المحاسن عبد الرَّزّاق رئيس نيسابور على التَّشيُّع بأمر من رئيس

(١) نسبة إلى بلاد النّبطيّة من بلاد عامل.

نيسابور.

العلَّامة الحبر الشَّيخ حسن بن سلمان بن الحبر الأستاذ أبو عليّ النافعيّ الأنطاكيّ المصريّ

عالمٌ فاضلٌ أديبٌ وشيخ القرّاء في مصر، أظهر رفضه فقتله الحاكم العبيديّ ٣٩٩هـ.

العلَّامة الشَّيخ أبو الفضل بن الشَّيخ المبارك بن الشَّيخ خضر

من مشاهير علماء القارَّة الهنديَّة من الشِّيعة، وإنْ انحدر عن آباء متصوِّفة، ولتشيُّعه كان ينافره المتعصِّبون ممَّن لم يكونوا على مذهبه.

وُلد في سنة ٩٥٧هـ حتَّى قُتل سنة ١٠١١هـ على التَّشيُّع؛ وذلك بنزال طُعِن فيه برمح وقُطع رأسه وأُهدي إلى بعض الحاقدين.

النَّحويّ الشّاعر محمَّد أبو القاسم أو أبو الحسن بن هاني الأندلسيّ

وُلد سنة ٣٦٦هـ وقُتل في سنة ٣٦٢هـ حيث وُجد مخنوقاً، وقيل بأنَّه قُتل في طريقه إلى المغرب، وكان من أمهر الشُّعراء في زمانه، حتَّى قيل فيه "**إن تكن فارساً فكن كعليٍّ أو تكن شاعراً فكن كابن هاني**" كان من المتجاهرين بالتَّشيُّع؛ فقُتل عليه وعلى ولائه الخالص.

أبو الحسن التُّهاميّ[1] عليّ بن محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن عبد العزيز العامليّ الشَّاميّ

كان من النَّاهضين لنشر الأدب، وله في العلم قُننٌ[2] راسية وقدم راسخة، غير أنَّ تعريف الأدباء إليه بأدبه الباهر غطَّى ذكرَه العلميّ. وصل إلى مصر متخفِّياً، فلمَّا انكشف حاله اعتقلوه وسجنوه في سجنٍ بالقاهرة سنة ٤١٦هـ، وقُتل على التَّشيُّع في سجنه سرّاً.

وهو القائل في رثاء ولده الصَّغير:

(١) تهامة اسم مكَّة، وهو منسوب إليها؛ ولذا كان يقال للنَّبيِّ التُّهاميّ؛ لأنَّه مكِّيّ.

(٢) قُنَّة الشيَّء أعلاه.

جــاورتُ أعــدائي وجــاور ربَّــه　　　شــتَّــان بــيــن جــواره وجــواري

وله القصيدة المعروفة:

حكم المـنيَّة في الـبريَّـة جـاري　　　مـا هـذه الـدُّنيا بـدار قـرار

وفيها

يا كــوكباً مــا كــان أقـصر عـمره　　　وكـذاك عـمر كـواكب الأسحـار

المولى الفقيه شهاب الدِّين التُّستريّ

سُمِّي بالشَّهيد الثَّالث، استشهد على التَّشيُّع والولاء سنة ٩٩٧هـ ببخارا وأُحرق جسده في ميدانها، وقد قُتل بالخناجر؛ نتيجة غلبته عليهم بالمناظرات، ولم يقدروا على مجابهته، فقالوا لا بدَّ من أن يُقتل من كان مخالفاً لمذهبنا، ويُجتنب عن مباحثته؛ لئلَّا يصير باعثاً لإخلال العوام، فقالوا بأنَّه رئيس الرَّافضة فقتلوه، مع أنَّه كفَّ نفسه عن مناظرتهم ومع ذلك لم ينجِّه ذلك.

الشَّيخ الجليل ملا أحمد الهنديّ التّهتهنيّ

من أعيان الشِّيعة في الهند. قتل على التَّشيُّع، فاغتيل ليلاً بالخناجر، فمات متأثِّراً بجراحاته بعد أيّامٍ سنة ٩٩٧هـ، والقاتل هو (فولادبرلاس) أحد قوَّاد أكبر شاه، فانتقم منه السُّلطان بأن أمر بشدِّه برجل الفيل فجُرَّ في الأزقَّة في (لاهور)، حتَّى هلك قبل الشَّهيد بثلاثة أيام، فوضع الحرس على قبر الشَّهيد؛ كي لا يُنبش، فلمّا خرج جيش السُّلطان عن لاهور أخرجته زبانية الأحقاد فأحرقوا جثَّته.

السَّيِّد الإمام العلَّامة ضياء الدِّين القاضيّ

هو صاحب كتاب إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل وكتاب مجالس المؤمنين، وُلد سنة

هو من أكابر علماء العهد الصَّفويّ ومن معاصري الشَّيخ البهائيّ. ٩٥٦هـ واستشهد في سنة ١٠١٩هـ، هبط بلاد الهند، فنشر فيها الدّعوة، وأقام الحدود،

درس في تُسْتَر، وقد دلَّ على علمه كتبه الثَّمينة وآثاره القيِّمة، كان قاضي القضاة في الهند وكان قد اشترط أن يقضي بمؤدَّى اجتهاده، على ألَّا يخرج عن المذاهب الأربعة، فلم يكن يرى انسداد باب الاجتهاد، فصار يقضي ويحكم حتَّى قضى السُّلطان نحبَه، ولمَّا قام ابنه مقامه وُشي عليه بعدم التزامه بأحد المذاهب، فالتمسوا الحيلة؛ لإثبات تشيُّعه حتَّى حكم بقتله..، فكان منهم أن رغَّبوا واحداً أن يتتلمذ عنده، ويظهر أمره الخفيّ فالتزمه مدَّة، حتَّى وقف على كتابه مجالس المؤمنين وأخذه بالإلحاح واستنسخه، وعرضه على أصحابه ووشوا به إلى السُّلطان، فلم يزل القتَّاتون ينحتون له كلَّ يوم ما يشين سمعته عند السُّلطان، حتَّى أحموا غضبه، وأثبتوا عنده استحقاقه الحدَّ كذباً وزوراً، وأنَّه يُضرب بالسِّياط كميّة معيّنة، ففوّض ذلك إليهم، فبادر علماء السُّوء إلى ذلك، حتَّى قضى المترجم تحت السِّياط شهيداً على التَّشيُّع في أكبر آباد في الهند...، وقبره شاهد في أكبرآباد يزاك.

الخامس: الاستشهاد بسبب العلم والعمل به وبسط اليد

العالم يعمل بعلمه، فمن عمل بما يعلم علَّمه اللهُ ما لا يعلم، ومن وظائف العالم أن يرشد النَّاس ويعلِّمهم؛ فهذه وظيفةٌ من الأنبياء والأوصياء موكولة إليه، فإذا ما قدر على أن يبسط رقعته وسعته؛ كي ينشر العلم ويرشد القدر الأكبر من النَّاس فإنَّ هذا لهو نورٌ على نورِ علمِه.. ومع أنَّه يمارس دوره كعالم؛ فإنَّ ذلك حتماً لا يروق للجهلة من النَّاس وأعداء العلم والحسَّاد، فما أن يروا عالماً يبزر بعلمه إلَّا كالوا له الحقد والحسد، وسعوا في إسقاطه، بدلاً من اتِّباعه والأخذ من علمه، وهنا نماذج من العلماء ممَّن عملوا ونشروا الدِّين ولم يقبل بذلك الجهلة والمغرضون:

الملك الصَّالح فارس المسلمين نصير الدِّين أبو الغارات طلائع

جمع الله له الدُّنيا والآخرة، فكان والياً على مصر، وكان ذلك بعد أن قتل الوزير واليها وهو نصر بن العبَّاس، استثارت نساءُ القصر طلائعَ لأخذ الثَّار بكتاب فيه طيَّة

شعورهنّ، فحشَّد طلائعُ النَّاس؛ انتقاماً من الوزير القاتل، فلمّا قرب من القاهرة كان الوزير قد فرَّ منها ودخل طلائعُ بسلام، فخلعت عليه خلع الوزارة، فصار يلقَّب بالملك الصَّالح وفارس المسلمين، فنشر الأمن، وأحسن السِّيرة، فقويت شوكته وعظم شأنه، ولم يرق ذلك لأهل القصر، فوقف رجال منهم في الدِّهليز، وضربوه بأسيافهم، حتَّى خرَّ على وجهه، فقضى من جراحاته في التَّاسع عشر من شهر رمضان سنة٥٥٦هـ ودفن في القاهرة.

كان في تلك الليلة قد ذكر ضربة أمير المؤمنين، وأمر بقراءة مقتله، ثمَّ اغتسل وصلَّى مائة وعشرين ركعة، أحيى بها الليل، ثمَّ خرج ليركب فسقط وسقطت عمامته، فاضطرب لذلك وجلس في دهليز دار الوزارة فأحضر من يلفُّ عمائم الخلفاء والوزراء؛ كي يصلح عمامته فكان ما جرى عليه.

الحافظ بديع الزَّمان أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمدانيّ

عالم أديب مفوَّه خطيبٌ مصقع.. حلَّ من البلاغة وسطاً، فردَّ شاردها وكبح جماحها، وتقدَّم في فنون لم يزل أبو عذرها، وله فضل السَّبق على مثل الحريريّ..، عُرف بالأدب الفائق والمقامات البديعة، فأخفى ذلك صيت علمه الغزير، وهو من الشِّيعة الإماميَّة كما نصَّ هو نفسه بذلك وغيره أيضاً.

صاحب حفظ قويٍّ، فينشد القصيدة الكبيرة الَّتي لم يسمعها قطُّ، فيحفظها من غير نقص..، وينظر في أوراق أربعة أو خمسة من كتاب نظرة خفيفة فيحفظها ويعيها...

وُلد في همدان ٣٥٣هـ فهاجر إلى نيسابور ٣٨٠هـ وأقام بها حتَّى استشهد مسموماً سنة٣٩٨هـ بعمر ٤٥ سنة.

علَمُ العلمِ وعيلَمُ الأدب الحسين مؤيَّد الدِّين أبو إسماعيل بن عليّ بن محمَّد بن عبد الصَّمد الأصبهانيّ، وهو من أولاد أبي الأسود الدُّؤليّ الشَّهير بالطَّغرانيّ

هو ممَّن ارتوى الكلُّ من نمير علمه السَّائغ، واعترف الجميع بعلمه الغزير، فهو فاضل عالم صحيح المذهب، قُتل مظلوماً؛ وذلك بعد أن وُشي عليه عند الوزير بأنَّه ملحد! فقُتل!!؛ وذلك لأنَّ السُّلطان كان معجباً به ويتقرَّب إليه، فعمدوا إلى التَّخلُّص منه بهذه الحيلة. وكان ذلك سنة ٥١٨هـ عن عمر ٧٥ سنة.

السَّيِّد الفاضل الأمير غياث الدِّين محمَّد الهرويّ الرَّازيّ

درس في هراة، ثمَّ تقلَّد منصب الصَّدارة والأمارة في بلدة خراسان. قُتل بوشاية من بعض من يبغي الفساد، فاستشهد سنة ٩٢٧هـ بعد أن كانت له الصَّدارة والأمر والنَّهي في جمع الأمور والمهمَّات الشَّرعيَّة..، وكان كلَّما ازداد نفوذه في تلك الدِّيار اضطرمت نار الحقد والعداء من قاتله أمير خان. وكان عمره عند استشهاده ٥٦سنة.

العلَّامة الخطيب المولى سلطان حسين بن المولى سلطان محمَّد الواعظ الاستراباديّ

عالم وخطيب مفوَّه وفقيه محدِّث، ومتكلِّم بارع، من تلامذة الشَّيخ البهائيّ، وُلد في ٩٩٥هـ واستشهد مذبوحاً سنة ١٠٧٨هـ، وسبب قتله هو علمه النَّاجح وتشيُّعه الظَّاهر وولاؤه الخالص وبيانه الشَّافي.

العلَّامة ميرزا محمَّد حسين بن ميرزا المشهور بيبر

كان ذا حسن ومهابة وجلال ونباهة، فهمَّ النَّادر بقتله؛ لما شاهد منه ذلك، وكان لا يتمكَّن من قتله وهو قاضٍ، فنزَّله إلى منصب رئاسة أصبهان، فقتله بعد سنة. وكان ذلك في عام ١١٥٩هـ.

هذا نزر يسير من علمائنا الأعلام، ممَّن حاز شرف العلم وشرف الشَّهادة، فلهم أعلى الدَّرجات في الدُّنيا والآخرة، ونسأل الباري عزَّ وجلَّ بأن يمنَّ علينا بالحُسْنَيَيْن كما منَّ عليهم، فهذه الأنفاس يوماً ستنقطع وتتوقَّف، فاجعلها اللهمَّ مختومة بأشرف ما تكرمنا به يا ربَّ العالمين.

الأثر التَّكوينيّ للدُّعاء

الشَّيخ محمود صادق النَّجّار

الملخّص:

تعرض الكاتب في مقالته إلى مسألة الالتزام بنصّ الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وعدم التغيير فيها، بعد أن بيَّن ما يدلّ على جواز إنشاء الدعاء إذا لم ينسب إليهم عليهم السلام، ثمَّ ذكر ما يدلُّ على الحثِّ على الالتزام الحرفيّ بنصِّ الأدعية، محاولاً استكشاف السِّر وراء ذلك، وذكر احتمالات مرجحاً أن يكون السَّبب الأساس هو ما لهذه الأدعية من أثرٍ تكويني يرتبط بسرّ التراكيب في اللغة وعلم الحروف الذي ورثه الأئمة عليهم السلام من جدهم صلى الله عليه وآله.

الحمد لله ربَّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمة للعالمين محمَّدٍ وآلِه الطَّيّبين الطَّاهرين.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه: ٢٥ -٢٨).

تصدير

يعيش العالم هذه الأيّام محنة الوباء المعروف بـ(كورونا)، وقد أرانا الله به عجائب صنعه وعظيم قدرته، حيث قلب كيان النَّاس -فيروس لا يُرى بالعين المجردة- فَعَطَّلَ الأعمال والأسواق والمصالح والمدارس وما سواها، وأبقى النَّاس في بيوتها خشية الإصابة بهذا المرض الفتَّاك، والهموم التي خيَّمت على النُّفوس وأذهبت البسمة من الشِّفاه، فصار النَّاس يتطلَّعُون إلى اليوم الذي يُرفع فيه هذا البلاء عن رؤوس العباد.

وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبادَه بالدُّعاء والتَّضرع والفزع إليه وضمِن لهم الإجابة، فقال تقدَّست أسماؤه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢)، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) إلى غيرها من الآيات مضافاً إلى الرِّوايات الدَّاعية إلى التَّوجه إلى الله بالدُّعاء والمناجاة.

شروط قبول الدُّعاء

ومع ذلك فقد لا يستجاب الدُّعاء ولا يُرى الأثر المرجو منه، وليس ذلك إلّا لفقد بعض شروطه أو لوجود المانع، وقد ذكر العلماء جملة من الشُّروط والمقتضيات والآداب المستفادة من هَدْي المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي من شأنها تعجيل استجابة الدُّعاء والتَّأثير في قبوله كمثل التَّوسُّل بالمعصومين، واختيار الأيّام والأماكن المقدَّسة، وتقديم

الصلاة والصوم، والصدقة، والتوبة وغيرها.

روى يونس بن عمّار قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام رجلاً كان يؤذيني، فقال: «**أدع عليه**»، فقلت: قد دعوت عليه، فقال: «**ليس هكذا، ولكن اقلِعْ عن الذُّنوب، وصُمْ وصَلِّ وتَصَدَّق، فإذا كان آخر الليل فأسبغ الوضوء، ثمَّ قُمْ فَصَلِّ ركعتين، ثمَّ قل وأنت ساجد..**»[١] إلى آخر الخبر.

فمتى ما تحقَّقت الشُّروط والمقتضيات، وارتفعت الموانع والعقبات تحقَّقت النَّتيجة؛ لعدم انفكاك الأثر عن المؤثِّر. نعم قد يظهر للدَّاعي أنَّه أتمَّ جميع المقدَّمات ورفع جميع الموانع، إلّا أنَّه تبقى هناك مساحة مجهولة لديه لا يعلمها إلّا الله عزّ وجلّ الذي هو أعلم بالمصالح والمفاسد، ولذلك فقد يُؤَجَّل الاستجابة له إلى حين تحقق المصلحة أو رفع المفسدة، وقد لا يُستَجَابُ له أصلاً؛ لأنَّ في ذلك صلاحه وخيره، ونحن في هذه الأسطر نحاول تسليط الضَّوء بشكلٍ مختصرٍ على أحد الأمور المؤثِّرة في استجابة الدُّعاء، وهو الالتزام بصيغة الدُّعاء كما ورد.

جواز الدُّعاء بما جاء على اللسان

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الدُّعاء بأيِّ شكلٍ كان ولو كان مخترعاً وممَّا جرى به اللسان جائز في نفسه؛ للأصل وللعمومات الحاثَّة على الدُّعاء، بل لصريح جملة من النُّصوص، فعن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القنوت وما يقال فيه، فقال: «**ما قضى الله على لسانك ولا أعلم له شيئاً موقتاً**»[٢].

وعنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عَمَّا أقول في وِتْري فقال: «**ما قضى الله على لسانك وقدَّره**»[٣].

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج١، ص ٥٥٩.

(٢) الكافي، الكلينيّ، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٢، ص ١٣٠.

وعن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عَلِّمْنِي دُعاءً، فقال: «**إنَّ أفضل الدُّعاء ما جرى على لسانك**»(١).

فهذه النُّصوص واضحة الدَّلالة في جواز الدُّعاء بما يجول في خاطر الدَّاعي، وبأي أسلوب كان، إلّا أنَّ الأمر لا يسلم دائماً من الشَّائبة، فقد يقع الدَّاعي من حيث لا يشعر في أخطاء ناتجة عن قُصُورِهِ المَعرفي بالمُخاطَب، أو قِصَرِ بَاعِه في اللُّغة وأدبِ الخطاب، ومن هنا يُفهَمُ النَّهي عن الاستعاضة بالدُّعاء المخترع عن التَّمسك بما ورد عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

فعن عبد الرحيم القصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إنِّي اخترعت دعاء قال: «**دعني من اختراعك! إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله** صلى الله عليه وآله، **وَصَلِّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله** صلى الله عليه وآله»، قلت: كيف أصنع؟ قال: «**تغتسل، وتصلي ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة، وتشهّد تشهُّدَ الفريضة، فإذا فرغت من التشهد وسلَّمت قلت: اللهمَّ أنت السَّلام، ومنك السَّلام، وإليك..**»(٢) إلى آخر الخبر.
ولا شَكَّ في أنَّ هذا النَّهي ليس إلزامياً؛ لصراحة الأدلَّة المجوِّزة، بل إرشادياً لما هو الأولى والأفضل.

وقوع أخطاء في الدُّعاء المخترع

من الطَّبيعي بمقتضى عدم عصمة الإنسان عروض الأخطاء الفعليّة والقوليّة عليه، بل إنَّ أحد دواعي الدُّعاء هو طلب الصَّفح والمغفرة من الله عزّ وجلّ تجاه ما يعتري الإنسان من تقصيرٍ في حقِّ الله أو حقِّ النَّاس أو حقِّ نفس الدَّاعي، ولذا كان من المُعيبِ والمُستهجَنِ أَنْ يُطلبَ غفران التَّقصير بخطابٍ يشوبه التَّقصير في الجنبة المعرفيّة أو اللغويّة. وهذا ما

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٧، ص ١٣٩.
(٢) الكافي، الكلينيّ، ج ٣ ص ٤٧٦.

يمكن أن يحصل كثيراً في الأدعية المخترعة.

فعن أبي عليّ القصَّاب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت: «**الحمد لله منتهى علمه**» **فقال: «لا تقلّ ذلك فإنَّه ليس لعلمه منتهى»**(١).

وعن صفوان عن الكاهليّ قال: كتبتُ إلى أبي الحسن موسى عليه السلام في دعاء "**الحمد لله منتهى علمه**"، فكتب إليَّ: «**لا تقولنَّ منتهى علمه؛ فليس لعلمه منتهى، ولكن قل منتهى رضاه**»(٢).

وعن بكر الأرقط، أو عن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام -في حديث- أنَّه قال له: ادع الله أن يغنيني عن خلقه، قال: «**إنَّ اللهَ قسَّم رزق من شاء على من يشاء، ولكن سل الله أن يغنيك عن الحاجة التي تضطرُّك إلى لئام خلقه**»(٣).

وسَمَعَ أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: اللّهُمَّ إنّي أعوذ بك من الفتنة، قال: «**أراك تتعوَّذ من مالك وولدك، يقول الله تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** (الأنفال:٢٨)، **ولكن قل: اللّهم إنّي أعوذ بك من مضلّات الفِتَن**»(٤).

وَوَرَدَ في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**لا يقولنَّ أحدُكم: اللّهمَّ إنّي أعوذ بك من الفتنة، لأنَّه ليس من أحدٍ إلا وهو مشتملٌ على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلَّات الفتن، فإنَّ الله يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾**(الأنفال: ٢٨)»(٥).

فهذه وأمثالها أمثلةٌ على وقوع الأخطاء في الخطاب النَّاتجة عن القصور المعرفيّ من

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٤، ص ١١٦٩.
(٢) الكافي، الكلينيّ، ج ١، ص ١٠٧.
(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٧، ص ١٣٨.
(٤) الأمالي، الشيخ الطوسيّ، ص ٥٨٠.
(٥) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٧، ص ١٣٧.

المخاطِب -بالكسر- نحو المخاطَب -بالفتح-، وهي نتائج طبيعية بعد أن كانت معرفة الذات المُقَدَّسة من الأمور المستعصية على الأذهان، وكان الدُّعاء مرتكزاً على التزلُّف إلى الله عزّ وجلّ بذكر صفاتِه وعظيم آلائه وتنزيهه عمّا لا يليق بقدسه، قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾(الزمر: ٦٧)، ولذلك ورد النَّهي عن التفكُّر في ذات الله عزّ وجلّ؛ لأنَّه بحرٌ عميق يغرقُ فيه من يلجه.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**تكلَّموا في خلق الله ولا تتكلَّموا في الله، فإنَّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيُّراً**»(١)، وفي رواية أخرى عن حريز قال: «**تكلَّموا في كلِّ شيء ولا تتكلَّموا في ذات الله**»(٢)، وعن محمَّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إياكم والتفكُّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه**»(٣).

هذا إضافة إلى ما يعتري الدُّعاء المخترع من أخطاءٍ لغوية وإنشائية في كثير من الأحيان، ومن الواضح أنَّ الذِّهن العرفيّ يدرك أنَّ الخطاب من الدَّاني إلى العالي يجب أن يكون في أبهى صورة وأجمل حلَّة، خالياً من جميع الثَّغرات التي يمكن أَنْ تُؤْخَذَ عليه، فالنَّاس في خطاباتهم الرَّسمية إلى الدَّوائر والمؤسَّسات -مثلاً- يسعون جاهدين أن يكونَ خطابهم وفق الأدبيات المعروفة ويراجعون في ذلك أهلَ الاختصاص من الكُتّابِ والمحامين ليكون خطابهم خطاباً رسمياً بعيداً عن اللغو والحشو، مستخدمين في ذلك العبارات المعهودة والمعروفة لدى الجهة التي يُرفَعُ لها الخطاب.

ولذلك ورد الحثُّ على تَعَلُّم اللُّغة العربية التي هي لغة الخطاب مع الله عزّ وجلّ، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**تعلَّموا القرآن بعربيّته**»(٤). وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

---

(١) الكافي، الكلينيّ، ج ١، ص ٩٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٣.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٣٤٤.

«تعلَّموا العربيّة، فإنَّها كلام الله الذي يكلِّم به خلقَه»[١].

بل ورد أنَّ الدُّعاء الملحون -أي الذي يحوي أخطاءً لغوية- لا يصعد إلى السَّماء، فعن أبي جعفر الجواد عليه السلام قال: **«ما استوى رجلان في حسَب ودين قطّ إلا كان أفضلهما عند الله عزَّ وجل آدَبهُما»**، قال الرَّاوي: قلت: قد علمت فضله عند النَّاس في النادي والمجلس، فما فضله عند الله؟ قال: **«بقراءة القرآن كما أُنزل، ودعائه من حيث لا يلحن، وذلك الدُّعاء الملحون لا يصعد إلى الله»**[٢].

وعدم صعود الدُّعاء ليس بمعنى عدم قبوله، فإنَّ الله تبارك وتعالى أَجَلُّ وأَرحَمُ من أن يَرُدَّ دعوة عبده لأجل ذلك، وخصوصاً إنْ كان اللَّحن ناتجاً عن القُصور لا التَّقصير، بل المعنى أنَّه لا يصعد بصورته الملحونة ويتم رفعه بصورته الصَّحيحة، ويشهد لذلك ما ورد عن النَّبي صلى الله عليه وآله: **«إنَّ الرَّجل الأعجميّ من أمتي ليقرأ القرآن بعجميّة فترفعه الملائكة على عربيّته»**[٣].

لكن مع ذلك يفهم من هذه الرِّوايات وأضرابها أنَّ تعلُّم اللغة العربيّة مطلوب في الجملة؛ ليتأدَّى بها الخطاب الصَّحيح مع الله عزّ وجلّ. نعم، ليس المقصودُ بذلك هو الاستغراق في اللغة بحيث يطغى على الجانب الرُّوحي والتَّوجه القلبيّ كما أُبتُلي مجتمعنا ببعض المتشدّقين بها؛ بحيث يظنُّون أنَّ كلَّ من لا ينطق بالحروف بالصورة التي ينطقون فعمله فاسد غير مجزٍ ولا مبرئ للذِّمة! فعن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: **«من انهمك في طلب النَّحو سُلِب الخشوع»**[٤]. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«تجد الرَّجل لا يخطئ بلامٍ ولا واوٍ خطيباً مصقعاً، ولَقلبه أشدُّ ظلمةً من**

---

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج ١، ص ٢١٢.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٦، ص ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٢١.

(٤) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٧، ص ٣٢٩.

الليل المظلم، وتجد الرَّجل لا يستطيع يعبِّر عمَّا في قلبه بلسانه، وقلبُه يزهرُ كما يزهر المصباح»(١).

الدُّعاء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ النَّاظر في تراث أهل البيت عليهم السلام يجده مشحوناً بالأدعية والمناجيات والأوراد والأحراز وما إلى ذلك في أبهى صورةٍ وأجمل تعبير، فهم أهلُ البلاغة واللغة، وكلامهم كما يشهد بذلك كلُّ مَن جال فيه أنَّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، فدونكم نهجُ بلاغةِ سيِّد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو تالي القرآن في العظمة وسحر البيان، وهاكم صحيفة سيِّد السَّاجدين وزين العابدين عليه السلام زبور آل محمّد وإنجيلهم، فكلماتهم وأدعيتهم تطفح بالبلاغة والبيان والبديع حتى صار العلماء يميِّزون بين أدعيتهم وأدعية من سواهم بسبك العبارات، وقوَّة التَّعبير، وجزالة الألفاظ، وتوافقها مع الأصول والأسس الدِّينيّة، وليس ذلك إلّا لأنَّهم زُقُّوا العلمَ زقًّا، معصومون مطهَّرون، ومنزَّهون عن العيب والخطأ والشَّائبة، مضافاً إلى أنَّهم أعلم بلغة الخطاب مع الله عزّ وجلّ عمّن سواهم، ففعلهم معصوم، وقولهم معصوم، ودعاؤهم معصوم، يقرؤه الدَّاعي متلذِّذاً بمضامينه، مترقيّاً بمراقيه، متعلِّماً من مفاهيمه، فهو ليس كأيِّ دعاء يخطر على ذهن الدَّاعي، بل يمكن أن يقال إنَّ أدعيتهم عليهم السلام مدرسة متكاملة الفصول، متنوّعة الدُّروس، يَرِدُ زلالها الظمآن فيرجع رَوِيّاً من معارفها العذبة، وعلومها العالية، ومفاهيمها الرَّاقية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا إنَّ اللسان بضعة من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النُّطق إذا اتسع، وإنَّا لأمراء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدَّلت غصونه، واعلموا رحمكم الله أنَّكم في زمانٍ القائل فيه بالحقِّ قليل، واللِّسان عن الصِّدق كليل، واللازم للحقِّ ذليل**»(٢).

---

(١) الكافّي، الكلينيّ، ج ٢، ص ٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٨، ص ٢٩٢.

الالتزام بالدُّعاء المأثور

ومن الأمور التي تُلاحَظُ في كلماتِهم عليهم السلام حرصهم على الالتزام بصيغ الدُّعاء كما ورد عنهم عليهم السلام بلا زيادة ولا نقيصة ولا تبديل، وهذا ما نرمي الإشارة إليه في هذه المقالة.

لا شَكَّ في أنَّ الزِّيادة والنَّقيصة والتَّبديل في عبارات الدُّعاء ليس بحرامٍ ما لم يُنسب ذلك إليهم عليهم السلام، فَيَحْرُمُ مِنْ باب الكذب عليهم، ومع ذلك فقد وَرَدَ في جملةٍ من النُّصوص النَّهي عن الزِّيادة والنَّقيصة، وتبديل فقرات الدُّعاء، مع أنَّه لا يظهر منها إرادة نسبة هذا التَّغيير إليهم عليهم السلام، فما هو السَّبب في ذلك؟

لنَستَعرِض بعض هذه النصوص ثُمَّ نرجع للإجابة على السُّؤال المطروح.

عن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ (طه: ١٣٠) فقال: «**فريضة على كلِّ مسلم أن يقول قبل طلوع الشَّمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: «لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلِّ شيء قدير**»، قال: فقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، ويُميت ويُحيي فقال: «**يا هذا؛ لا شكَّ في أنَّ الله يُحيي ويُميت، ويُميت ويُحيي، ولكن قل كما أقول**»(١).

وعن العلاء بن كامل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**واذكر ربَّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول عند المساء لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت، ويميت ويحيي وهو كلِّ شيء قدير**». قال: قلت: بيده الخير، قال: «**إنَّ بيده الخير، ولكن قل كما أقول لك عشر مرات، وأعوذ بالله السَّميع العليم حين تطلع الشَّمس وحين تغرب عشر مرات**»(٢).

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٤٥٢.

(٢) الكافي، الكلينيّ، ج ٢، ص ٥٢٧.

وعن عبد الله ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ستصيبكم شُبهة، فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق**»، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: «**تقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك**»، فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار ثَبِّت قلبي على دينك، فقال: «**إنَّ الله عزّ وجلّ مقلِّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يا مقلِّب القلوب، ثَبِّت قلبي على دينك**»(١).

فما هو سرُّ اهتمامهم عليهم السلام بالحفاظ على صيغة الدُّعاء كما هو بلا أيِّ تبديلٍ حتى على مستوى الكلمة الواحدة؟

قد يقال: إنَّ السَّبَبَ هو إرادةُ عدمِ وقوع التَّحريف في كلامهم عليهم السلام، فإذا سمح المعصوم بتبديل كلمة في الدُّعاء إلى مرادفها أو ما في معناها فإنَّه لا يُؤْمَن من تغير تركيب الدُّعاء ككلّ على مرور الأزمنة المتطاولة.

فَتَشَدُّدُهم في حفظ الدُّعاء كما ورد عنهم عليهم السلام غَرَضُهُ حِفظ الدُّعاء من التغيّر والتبدّل، لكن يبقى السُّؤال عن عِلَّة هذا الغرض، فما هو الضَّير في نقل الدُّعاء بالمعنى كما سمحوا بذلك في رواياتهم الأخرى؟

جواز نقل الرِّوايات بالمعنى

فعن ابن المختار أو غيره رفعه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك، فَلَعَلِّي لا أرويه كما سمعته فقال: «**إذا أصبتَ الصلب منه فلا بأس، إنَّما هو بمنزلة تعال، وهلمَّ، واقعد، واجلس**»(٢).

وعن عبد الله السَّياري عن بعض أصحابنا يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا أصبت**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٢، ص ١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٢٧، ص ١٠٥.

معنى حديثنا فأعرب عنه بما شئت»[١].

وعن محمَّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص؟ قال: «**إنْ كنت تريد معانيه فلا بأس**»[٢].

وعن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أسمع الكلام منك فأريد أن أرويه كما سمعته منك فلا يجيء، قال: «**فتعمد ذلك؟**» قلت: لا، فقال: «**تريد المعاني؟**» قلت: نعم، قال: «**فلا بأس**»[٣].

سرّ الالتزام بنصّ الدُّعاء

يمكن أن يقال: إنَّ السرَّ في ذلك هو أنَّ الدُّعاء الوارد عنهم عليهم السلام أشبه بالوصفة الطبيّة أو الخطَّة العلاجيّة التي متى ما تغيَّر فيها شيء تغيَّرت النتيجة المرجوَّة. فعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ الدُّعاء يردُّ القضاء، وقد نزل من السَّماء وقد أُبرمَ إبراماً**»[٤]. وعنه عليه السلام أنَّه قال: «**الدُّعاء يرد القضاء بعد ما أُبرم إبراماً، فأكثر من الدُّعاء فإنَّه مفتاح كلِّ رحمة، ونجاح كلِّ حاجة، ولا ينال ما عند الله عزّ وجلّ إلّا بالدُّعاء**»[٥].

فالدُّعاء القادر على رَدِّ القَضاءِ وقد أُبرِمَ إبراماً، والذي تُنال به كلَّ حاجة، لا شَكَّ في أنَّ له نحو تأثير تكوينيٍّ في الأمور بعد أن تَتَحقَّقَ شرائطُه وترتَفِع موانعُه كما مرَّ. وبملاحظة أنّهم عليهم السلام مستودع الأسرار الإلهية ومجمع الفضائل الرَّبانية، قد أَطْلَعَهم الله عزّ وجلّ على ما لم يُطْلِعْ عليه أحداً سواهم، وأنَّ من أحد هذه المعارف والعلوم التي بين يديهم علم الحروف والتراكيب اللغويّة التي يُمكن من خلالها وبصياغة خاصَّة أن تتحقّق

(١) المصدر نفسه.

(٢) الكافي، الكلينيّ، ج ١، ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٠.

نتائج لا تتيسر بالطرق الاعتياديّة؛ يُعلم سرُّ إصرارهم على عدم تبديل صيغة الدُّعاء.

نقل القندوزيّ في ينابيع المودَّة عن الشيخ عبد الرحمن بن محمَّد بن عليّ بن أحمد البسطاميّ قوله:

"ثم إنَّ الإمام علياً ورث علم أسرار الحروف من سيدنا ومولانا محمَّد رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وإليه الإشارة بقوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، وهو أوَّل من وضع وفق مائة في مائة في الإسلام، ثمَّ الإمامان الحسن والحسين ورثا علم أسرار الحروف من أبيهما، ثمَّ ابنه الإمام زين العابدين ورث من أبيه علم أسرار الحروف، ثمَّ ابنه الإمام محمَّد الباقر، ثم ابنه الإمام جعفر الصادق، وهو الذي حلَّ معاقد رموزه، وفكَّ طلاسم كنوزه. وقال الإمام جعفر الصادق: «عِلْمنا غابر ومزبور، وكتاب مسطور، في رقٍّ منشور، ونكت في القلوب، ومفاتيح أسرار الغيوب، ونقر في الأسماع، ولا تنفر منه الطِّباع، وعندنا الجفر الأبيض، والجفر الأحمر، والجفر الأكبر، والجفر الأصغر، والجامعة، والصَّحيفة، وكتاب عليٍّ»"(١).

وفي حديث مناظرة الإمام الرِّضا عَلَيْهِالسَّلَامُ مع عمران الصَّابي قال: «**وكان أوَّل إبداعِه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلاً لكلِّ شيء، ودليلاً على كلِّ مدرك، وفاصلاً لكلِّ مشكل، وبتلك الحروف تفريق كلِّ شيء من اسم حقٍ وباطلٍ، أو فعل، أو مفعول، أو معنى، أو غير معنى، وعليها اجتمعت الأمور كلُّها**»(٢).

الحرص على عدم حصول الأعداء على الدُّعاء

فَيُحْتَمَلُ على هذا أن يكونَ السَّبب هو حفظ هذه التَّراكيب والعبارات عن التحريف كي تتحقَّق النتائج المرجوة منها، وقد يَشْهَدُ لذلك ما ورد عنهم عَلَيْهِمُالسَّلَامُ من حرصهم على ألّا تقع أدعيتهم بأيدي أعدائهم فيسيئوا الاستفادة منها لما لها من أثر تكويني كما يستفاد.

---

(١) ينابيع المودّة لذوي القربى، القندوزيّ، ج ٣، ص ١٩٨.

(٢) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٥٤.

فقد ورد عن متوكل بن هارون أنَّه لقي يحيى بن زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو متوجِّهٌ إلى خراسان، فدار بينهما كلام كان من ضمنه أنَّ يحيى سأل المتوكل إنْ كان كتب شيئاً من العلم عن الإمام الصادق عليه السلام، فأخرج له وجوهاً من العلم كان من ضمنها نسخة من الصَّحيفة السَّجادية. فأخرج يحيى نسخة أخرى من الصحيفة من حفظ أبيه زيد عن الإمام السجاد وقال: إنَّ أبي أوصاني بصونها، ومنعها غير أهلها. ثمَّ دفع نسخة المتوكل إلى غلام كان معه، وقال: اكتب هذا الدُّعاء بخط بيِّنٍ حسنٍ، وأعرضه عليَّ لعلي أحفظه، (فإنّي كنت أطلبه من جعفر حفظه الله فيمنعنيه).

ثمَّ بعد أن علم أنَّه يُقتل كأبيه زيد كما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام، قال للمتوكِّل: والله يا متوكل، لولا ما ذكرت من قول ابن عمّي إنَّني أُقتَل وأصلب لما دفعتها إليك، ولكنتُ بها ضنِّينا، ولكنَّي أعلم أنَّ قوله حقٌّ أخذه عن آبائه، وأنَّه سيصح، (فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أمية فيكتموه ويدَّخروه في خزائنهم لأنفسهم)، فاقبضها واكفنيها وتربَّص بها، فإذا قضى اللهّ من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابنَي عمِّي محمَّد وإبراهيم ابنَي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، فإنَّهما القائمان في هذا الأمر بعدي، قال المتوكِّل: فقبضت الصَّحيفة، فلمّا قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فحدثته الحديث عن يحيى، فبكى واشتدَّ وجدُه به، وقال: «**رحم الله ابن عمِّي وألحقه بآبائه وأجداده، واللّه يا متوكِّل، ما منعني من دفع الدُّعاء إليه إلّا الذي خافه على صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟**» فقلت: ها هي. ففتحها، قال: «**هذا والله خطُّ عمِّي زيد، ودعاء جدِّي عليّ بن الحسين عليه السلام**»، ثمَّ قال لابنه: «**قم يا إسماعيل، فأتني بالدُّعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه**». ثمَّ وجَّه الإمام عليه السلام إلى محمَّد وإبراهيم فجاءا. فقال: «**هذا ميراث ابن عمّكما يحيى من أبيه، قد خصّكما به دون إخوته، ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً**». فقالا: رحمك الله، قل فقولك المقبول، فقال: «**لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة**». قالا: ولم ذاك؟ قال: «إنَّ

ابن عمّكما خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكما». قالا: «**إنَّما خاف عليها حين علم أنَّه يُقتل**»، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**وأنتما فلا تأمنا، فواللّه إنّي لأعلم أنَّكما ستخرجان كما خرج، وستقتلان كما قتل**»(١).

ورُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام في شأن دعاء السِّمات أنَّه قال: «**إنَّ يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام لما حارب العماليق وكانوا في صور هائلة، ضعفت نفوس بني إسرائيل عنهم، فشكوا إلى الله عز وجل، فأمر اللّه تعالى يوشع عليه السلام أن يأمر الخواصّ من بني إسرائيل أن يأخذ كلُّ واحدٍ منهم جرَّة من الخزف فارغة على كتفه الأيسر باسم عمليق، ويأخذ بيمينه قرناً مثقوباً من قرون الغنم، ويقرأ كلُّ واحد منهم في القرن هذا الدُّعاء -يعني دعاء السمات- (لئلا يسترق السمع بعض شياطين الجنِّ والإنس فيتعلَّموه)**»(٢).

سبب آخر

ولقائلٍ أن يقول: إنَّ حرصهم عليهم السلام على عدم وقوع أدعيتهم بأيدي أعدائهم ليس من أجل هذا السَّبب، وإنَّما لأنَّ ذلك داخل في إذاعة سرِّهم إلى غير أهله التي قد وردت في حرمته روايات كثيرة.

فعن أبي سعيد المدائني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**اقرء موالينا السَّلام، وأعلمهم أن يجعلوا حديثنا في حصون حصينة، وصدور فقيهة، وأحلام رزينة، والذي فلق الحبَّة وبرأ النّسمة، ما الشاتم لنا عرضاً والنَّاصب لنا حرباً أشدُّ مؤونة من المذيع علينا حديثنا عند من لا يحتمله**»(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «**من أذاع علينا حديثنا هو بمنزلة من جحدنا حقنا**»(٤).

(١) راجع الصَّحيفة السَّجَّاديّة، ص ٦١٩.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٣، ص ٣٧٢.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٧٩.
(٤) المصدر نفسه.

وقال عليه السلام: «**ليس منَّا من أذاع حديثنا، فإنَّه قتَلَنا قتل عمد لا قتل خطأ**»(١).

وباعتبار أنَّ أدعيتهم عليهم السلام مشحونة ببيان مقام النبيِّ الأعظم وأهل بيته عليهم السلام عند الله، وما يستوجبونه من الاحترام والتَّقدير والانقياد والطَّاعة من الأمَّة نحوهم، إلى غير ذلك من المعارف الحقَّة التي يسلِّم بها كلُّ من وصلت إلى مسامعه؛ كان إذاعة ذلك وإشاعته بين أعداءهم الحاقدين الذين يأخذونهم بالتُّهمة والظنة ممَّا يجلب لهم ولشيعتهم المضرَّة والحرج، فحرصوا على ألّا تقع بأيدي أعداءهم وأن تُتداول بين محبيهم وشيعتهم عليهم السلام.

وقد نُسب للإمام زين العابدين عليه السلام قوله:

إنِّي لأكتمُ من علمي جواهرَه ... كيلا يرى الحقَّ ذو جهلٍ فيفتتنا
وقد تقدَّم في هذا أبو حسنٍ ... إلى الحسينِ ووصَّى قبلَه الحسنا
وربَّ جوهرِ علمٍ لو أبوحُ به ... لقيل لي أنتَ ممَّن يعبدُ الوَثنا
ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي ... يرون أقبحَ ما يأتونَه حَسنا(٢)

عوداً على الاحتمال الأول

أقول: هذا احتمال وارد وصحيح، لولا وجود بعض النُّصوص التي تساعد الاحتمال الأوَّل.

فعن صفوان الجمّال قال: حملت أبا عبد الله عليه السلام الحملة الثَّانية إلى الكوفة وأبو جعفر المنصور بها فلمّا أشرف على الهاشميّة مدينة أبي جعفر أخرج رجله من غرز الرجل، ثمَّ نزل ودعى ببغلة شهباء، ولبس ثياباً بيضاً وكمَّة بيضاء، فلمّا دخل عليه قال له أبو جعفر: لقد تشبَّهت بالأنبياء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**وأنَّى تبعدني من أبناء الأنبياء؟**» فقال: لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها ويسبي ذريتها، فقال: «**ولم ذلك يا أمير**

(١) المصدر نفسه.

(٢) الوافي، الفيض الكاشاني، ج ١، ص ١١.

المؤمنين؟» فقال: رفع إليَّ أنَّ مولاك المعلَّى بن خُنيس يدعو إليك ويجمع لك الأموال، فقال: «**والله ما كان**»، فقال: لست أرضى منك إلّا بالطَّلاق والعتاق والهدي والمشي، فقال: «**أبِالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف؟ إنَّه من لم يرض باللّه فليس من اللّه في شيء**»، فقال: أتتفقَّه عليَّ؟ فقال: «**وأنَّى تبعدني من الفقه وأنا ابن رسول الله** صلى الله عليه وآله **؟!**» فقال: فإنِّي أجمع بينك وبين من سعى بك، قال: «**فافعل**»، فجاء الرجل الذي سعى به، فقال له أبو عبد الله: «**يا هذا**»، فقال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشَّهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «**ويلك، تمجِّد اللّهَ فيستحيي من تعذيبك، ولكن قل: برئت من حول الله وقوته، وألجئت إلى حولي وقوتي**»، فحلَفَ بها الرَّجل، فلم يستتمَّها حتى وقع ميتاً، فقال له أبو جعفر: لا أصدق بعدها عليك أبداً، وأحسن جائزته وردَّه[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحلِفوا الظَّالم إذا أردتم يمينه بأنَّه بريءٌ من حول الله وقوَّتِه، فإنَّه إذا حلَف بها كاذباً عُوجِل، وإذا حلَف باللّه الذي لا إله إلّا هو لم يُعاجَل؛ لأنَّه قدْ وحَّد الله سبحانه**»[2].

وعن الإمام الرِّضا عن أبيه عليه السلام: «**إنَّ رجلاً وشى إلى المنصور أنَّ جعفر بن محمَّد** عليه السلام يأخذ البيعة لنفسه على النَّاس ليخرج عليهم، فأحضره المنصور فقال الصادق عليه السلام: «**ما فعلت شيئاً من ذلك**»، فقال المنصور لحاجبه: حلِّف هذا الرَّجل على ما حكاه عن هذا -يعني الصَّادق عليه السلام- فقال الحاجب: قل والله الذي لا إله إلا هو، -وجعل يغلِّظ عليه اليمين- فقال الصَّادق عليه السلام: «**لا تحلِّفه هكذا، فإنِّي سمعتُ أبي يذكر عن جدِّي رسول الله** صلى الله عليه وآله **أنَّه قال: إنَّ مِن النَّاس من يحلف بالله كاذباً، فيعظِّم اللّه في يمينه ويصفه بصفاته الحسنى فيأتي تعظيمه للّه على إثم كذبه ويمينه، ولكن**

---

(١) الكافي، الكليني، ج ٦، ص ٤٤٦.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٢٣، ص ٢٧٠.

دعني أُحلِّفه باليمين التي حدثني أبي عن رسول الله ﷺ أنَّه لا يحلف بها حالف إلّا باء بإثمه»، فقال المنصور: فحلفه إذاً يا جعفر، فقال الصادق عليه السلام للرجل قل: «**إن كنتُ كاذباً عليك، فبرئت من حول الله وقوته ولجأت إلى حولي وقوتي**»، فقالها الرَّجل، فقال الصَّادق عليه السلام: «**اللّهم إن كان كاذباً فأمته**»، فما استتمَّ كلامه حتى سقط الرَّجل ميِّتاً، واحتمل، ومُضي به[1].

فيتَّضح من ذلك أنَّ للدُّعاء تأثيرٌ ولو وقع من الظَّلَمة وهو ما أسميناه بالأثر التكوينيّ للدعاء، مضافاً إلى أنَّه قد ورد المنع من بذله حتى لغير أعدائهم عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في وصف دعاء السمات أنَّه قال: «**هذا من عميق مكنون العلم ومخزونه، فادعوا به، ولا تبذلوه للنِّساء السُّفهاء، والصُّبيان، والظَّالمين والمنافقين**»[2].

وقد عَلَّقَ صاحب رياض السالكين السيد عليّ خان المدنيّ رحمه الله على هذه الرِّواية بقوله: «**وإنَّما أمر بمنعها هؤلاء لئلا يستعملون الدُّعاء بها فيما لا يحلّ سفهاً أو ظلماً**»[3].

الخلاصة

على جميع الاحتمالات المتصوَّرة في الغرضِ من حفظ الدُّعاء كما ورد، والتي منها احتمالية الأثر التَّكوينيّ للدُّعاء وإنْ كنَّا لا نجزم بذلك؛ لا شكَّ في أنّ الالتزام بالأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام هو الأولى والأفضل والأسرع للنتيجة، من جهة أنَّهم الأقرب والأعرف بلغة الخطاب مع الله عزّ وجلّ.

ولذلك فإنَّا نأمل من قرَّاء الأدعية المحترمين -زادهم الله توفيقاً ورضا- الالتزام بما ورد عنهم عليهم السلام في الأدعية المأثورة، بلا زيادة ولا نقيصة، ولا تبديل؛ لأجل حصول

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٢٣، ص ٢٧١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٧، ص ١٠٢.

(٣) رياض السالكين، سيد علّي خان المدني، ج ١، ص ١٠٢.

الغاية المنشودة من الدُّعاء.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينظر إلينا بعين اللُّطف والرَّحمة، وأن يوفِّقنا لما يقربنا من رضاه، وأن يرفع هذا الوباء والبلاء عن رؤوس عباده الضُّعفاء بجاه نبيّه الأعظم وآله الميامين.

شخصنة الدِّين وجدليَّة العاطفة

الشيخ عليّ أحمد الجفيريّ

الملخّص:

تعرَّض الكاتب إلى مسألة شخصنة الدين والمقصود منها ربط الدِّين بالأشخاص، فبعد أن ذكر ما يدلُّ ضرورة شخصنة الدِّين بشكلٍ إجمالي، ذكر ثلاثة آراء حول ذلك، مناقشاً للرَّأيين الأوَّلين وهما الرفض المطلق والقبول المطلق للشَّخصنة، واختار الرَّأي الثَّالث والذي يذهب إلى أنَّه لا بدَّ من شخصنة الدِّين، أي ربطه مع غير المعصوم في زمن الغيبة، ولكن ضمن قيود ضوابط معينة، مستعيناً في بيان ذلك بروايات أهل البيت عليهم السلام.

مقدمة

ورد عن سيِّدنا ومولانا الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «**مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّين بِالرِّجَالِ أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجَالُ كَمَا أَدْخَلُوهُ فِيهِ ومَنْ دَخَلَ فِيهِ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ زَالَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ**»[(١)].

يُعدُّ ربط الدِّين بالأشخاص جدليَّة واسعة على المستوى النَّظري، وآثاره ممتدَّة على المستوى التَّطبيقيّ، منها ما هو سلبيّ، ومنها ما هو إيجابيّ، ومن أجل تبيُّن حقيقة الأمر، وما ينبغي فيه، فلنتناول هذا الموضوع -على سعتِه- مختصرينه في أربع نقاط:

النَّقطة الأولى: تحليل جذور (شخصنة الدِّين)

وهنا أمورٌ تبيِّن موقع الشَّخصنة في معادلة التَّديُّن:

١. إنَّ التديُّن مسألة فطريَّة، جُبل عليها كلُّ النَّاس، وهي موجودة في أعماقهم من أصل خلقتهم.

٢. يتفرَّع على الأمر الأوَّل أنَّ النَّاس كلَّهم على دين، إلّا ما ندر ممَّن شذَّ عن هذه الفطرة ادِّعاءً، وهو رغم ذلك لو رجع إلى أعماقه لوجد نفسه متعلِّقة بدينٍ، وبربٍّ، فهذه المسألة الفطريَّة أوجبت أن تكون مسألة التَّديُّن مسألة عامَّة.

٣. إنَّ تحقيق التديُّن -فكراً وسلوكاً- لا يمكن أن يحصل عادةً إلّا بالأخذ عن أحد، فالدِّين -أيُّ دين- يحتاج إلى قيِّم؛ ولذا نجد أصحاب الأديان يرجعون في نهاية الأمر إلى رؤوسٍ وقادةٍ، تُؤخذ عنهم معالم الدِّين وتوجيهاته، أنبياء كانوا، أو أوصياء، أو رهباناً، أو أحباراً، أو علماء، وهكذا، فالدِّين في جهة الأخذ مآله إلى رأس يُؤخذ عنه.

٤. من هنا تنبثق مسألة الارتباط العاطفيّ بهذا الرَّأس؛ إذ أنَّه متفضِّل -في الواقع،

---

(١) الغيبة للنعماني، ص: ٢٢.

أو في نظر المتديِّن على الأقل- على المتديِّن، بإرشاده إلى ما ينبغي، وما لا ينبغي، فتتكوَّن على إثر ذلك رابطة عاطفيَّة قد تفوق الرَّابطة العاطفيَّة النَّسبيَّة، فيُعشَق القائدُ الدِّينيّ أكثر حتى من عشق الأب، والأمِّ، والأخ، والصَّديق.

٥. لا شكَّ في أنَّ هذه الرَّابطة العاطفيَّة هي الرافد الذي لا غنى عنه، الذي يضمن استمرار عمليَّة الأخذ، وإلّا فإنَّ النَّاس ليست مجبورة على الأخذ من شخصيَّة منبوذة ومكروهة لديهم، ومن هنا ورد عن الباقر عليه السلام: «**الدِّين هُوَ الْحُبُّ وَالْحُبُّ هُوَ الدِّين**»(١)، فإنَّ الرَّابطة العاطفيَّة بأرباب الدِّين وقادته ركنٌ أساسٌ في إشباع حاجات عمليَّة التَّديُّن.

٦. في الوقت نفسه الذي تكون فيه الرَّابطة العاطفيَّة برؤوس الدِّين ركناً أساساً في تلقِّي الدِّين والعمل به، إلّا أنَّها من الخطورة بمكان، بحيث قد تنقلب على صاحبها بآثار عكسيَّة خطيرة جداً، حين يُخطئ المتديِّن تحديدَ مصداقِ هذا الرَّأس، فيُخطئ بذلك ما أراد طلبَه من دِينٍ، ومن هنا جاءت فكرة ضرورة الارتباط بالمعصوم وحده؛ لأنَّه لا ضمانة حقيقية لأخذ الدِّين كما نزل من دون أيِّ إضافة أو نقيصة أهوائيَّة أو ذوقيَّة، إلا بالأخذ عن خصوص المعصوم وحده، وحينها سيكون هذا الارتباط العاطفيّ مُنتجاً ثمرته المرجوَّة، وإلّا كان خطراً داهماً.

من هنا ورد عنهم عليهم السلام هذا المعنى مستفيضاً، فعن الثُّماليّ قال: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عزّ وجلّ ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ**﴾، قَالَ: «**عَنَى اللهُ بِهَا مَنِ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ مِنْ غَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى**»(٢)، وعنه عليه السلام: «**مَنْ دَانَ اللهَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ عَنْ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللهُ الْبَتَّةَ [التيه] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣)، وعنه عليه السلام: «**أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ وَلَا صَوَابٌ إِلَّا شَيْءٌ أَخَذُوهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْضِي**

(١) المحاسن للبرقي، ج١، ص: ٢٦٣.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، محمد بن الحسن الصفار، ج١، ص: ١٣.

(٣) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، محمد بن الحسن الصفار، ج١، ص: ١٤.

بِحَقٍّ ولَا عَدْلٍ إِلَّا ومِفْتَاحُ ذَلِكَ الْقَضَاءِ وبَابُهُ وأَوَّلُهُ وسُنَنُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَإِذَا اشْتُبِهَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ كَانَ الْخَطَأُ مِنْ قِبَلِهِمْ إِذَا أَخْطَئُوا، والصَّوَابُ مِنْ قِبَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِذَا أَصَابُوا»(١)، وعنه عليه السلام: «كُلَّمَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ»(٢)، وهذا شاملٌ لما خرج شيء منه من هذا البيت، واختلط بغيره، فإنَّه ككلٍّ ليس من هذا البيت عليهم السلام.

وعن الصَّادق عليه السلام: «كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا وهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا»(٣)، وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «إِنَّ الْحَكَمَ بْنَ عُتَيْبَةَ مِمَّنْ قَالَ اللهُ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فَلْيُشَرِّقِ الْحَكَمُ ولْيُغَرِّبْ، أَمَا واللهِ لَا يُصِيبُ الْعِلْمَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَبْرَئِيلُ عليه السلام»(٤).

إذن: الأصلُ في الأخذ أن يكون عن المعصوم لا غير، وأيُّ أخذٍ أو اتصالٍ بغيرِ المعصوم فليس بحجَّة، ولا قيمة له في نظر أهل البيت عليهم السلام.

٧. يبقى الكلامُ في أنَّ هذا الأخذ المباشر عن المعصوم إذا كان غير متاح -كما هو الأمر في زماننا، بل حتى في زمانهم عليهم السلام في كثير من الحالات- فما هو العمل؟ مع ضمِّ الرُّؤية السَّابقة إلى ما تفرضه الظُّروف -التي تفرض عدم إمكان الاتِّصال بالمعصوم دوماً حتى في عصر ظهوره فضلاً عن عصر غيابه- فقد جرت السِّيرة المُمضاة من أهل البيت عليهم السلام على الأخذ من صدور الرِّجال الذين يُعدُّون الأقرب إلى المعصوم قدر الإمكان، مع العلم بالفارق الكبير بينهما، ولذا جاءت السلسلة كالتالي: الأصل، وهو الله تعالى، ثمَّ فروعه مُمثَّلة في النَّبي(ص)، والأئمة الأطهار عليهم السلام، ثمَّ الفقهاء العدول، ثمَّ العلماء العاملون،

(١) الأمالي (للمفيد)، ص: ٩٦.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، محمد بن الحسن الصفار، ج١، ص: ٥١١.

(٣) صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، ص: ٣.

(٤) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، محمد بن الحسن الصفار، ج١، ص: ٩.

فهو خطٌ واحدٌ، وسلسلةٌ واحدةٌ، مع حفظ الفارق بين المعصوم وغيره.

٨. مع انتهاء السِّلسة تنزُّلاً بغير المعصوم اضطراراً، نشأت عندنا مسألة في غاية الأهميّة، وهي مسألة شخصنة الدِّين، أي ربطه بالشَّخصيات غير المعصومة، وإعمال عاطفة الحبِّ في هذا الارتباط في أوجها، بحيث يكون التعلُّق مطلقاً بغير المعصوم، فانفتح الباب وفقاً لذلك إلى إدخال الفساد، وخلط الغثِّ بالسَّمين؛ حيث لا يُؤمَن من نفس الصَّالح المأخوذ عنه ألَّا يقع في الخطأ كونه غير معصوم، هذا من جهةٍ، ومن جهة أخرى لا يُؤمَن ألَّا يُؤخَذ عن النَّموذج المرتضى عندهم عليهم السلام؛ حيث قد يشتبه المؤمن في تحديد مصداق من يأخذ عنه، فيقع بين يدَيْ دجَّالٍ يدَّعي القِّيادة الدِّينية بأيِّ شكلٍ من أشكالها، فيكون ضحيتَه عقيدةً وسلوكاً من حيث يعلم أو لا يعلم.

والسُّؤال المهمِّ هنا: كيف نعالج هذه المشكلة الواردة؟! فمن جهة: لا بدَّ من شخصنة الدِّين ولو بمقدار؛ حيث اتَّضحت أهميّة ربط الدِّين بالأشخاص في تحقيق عمليّة التديُّن، وتلبية متطلباتها، ومن جهة أخرى: قد نكون بذلك في وارد نسبة ما ليس في الدِّين إلى الدِّين، فتفسد العقيدة، ويفسد السُّلوك، ويضيع الهدف من الشَّخصنة حينئذٍ!

النُّقطة الثَّانية: الآراء حول (شخصنة الدِّين)

وهنا تأتي عدَّة نظريّات، فإنَّ ربط الدِّين بالأشخاص في هذا العصر -بعد الفراغ من ضرورة ربطِه بالمعصومين عليهم السلام، وأخذه عنهم- فيه آراء متعدِّدة:

الرَّأي الأوَّل: الرَّفض المطلق لشخصنة الدِّين في غير المعصوم

بمعنى عدم جواز الأخذ من غير المعصوم، إلّا أن يكون راوياً عنهم، فالأخذ حقيقة عن المعصوم فقط، وما الرَّاوي إلّا واسطة للتوصّل إليهم عليهم السلام، وكأنَّ أصحابَ هذا الرَّأي يرون التمحُّض في النَّظر إلى هذه الواسطة بعين الطَّريقيَّة.

وتختلف دوافعُ هؤلاء، فهم صنفان:

١. (المُحدَثون): وهم من يرى أنَّ الفُقَهاء ما هم إلا قطَّاع طُرق، ومتمصلحون، يتاجرون بفقاهتهم، ويطلبون الدُّنيا، والوجاهة، ومن هنا يُنظِّرون إلى ضرورة الانفكاك عن خطِّ الفُقَهاء، وإلغاء التبعيَّة لهم، والتَّعامل المباشر مع الموروث الرِّوائيّ لأخذ الدِّين عنه دون واسطة، اعتماداً على العقل.

٢. (المُحدِّثون): وهم من يرى ضرورة الرُّجوع إلى الفقهاء، ولكن بمعنى أنَّهم رواةٌ، ونقَّادٌ للأخبار، متخصصِّون فيها، فقط يحددِّون ما يمكن أخذُه منها، وما لا يمكن الاعتماد عليه منها، وليس لهم أن يجتهدوا بابتداع الآراء من خلال استنطاق النُّصوص برؤيةٍ تجديديَّةٍ، أو تحليليَّةٍ، أو موضوعيَّة، بل عليهم أن ينظروا في الأخبار بنحو نمطيٍّ تقليديٍّ؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام خاطَبوا النَّاس بهذا النَّمط التقليديِّ، فلا وجهَ حينئذٍ لإعطاء هذه النُّصوص مداليل ظنيَّة لا تحتملها ألفاظها.

وربَّما استندوا في ذلك إلى مفاد عديدٍ من الرِّوايات، منها ما عن الصَّادق عليه السلام: «اعرِفُوا مَنَازِلَ الرِّجَالِ مِنَّا عَلَى قَدْرِ رِوَايَاتِهِمْ عَنَّا»(١)؛ فإنَّ ظاهرها أنَّ منازل الفقهاء عندهم عليهم السلام بقدر روايتهم، وبحسب خبرتهم في ما يتطلَّبه علم الرِّواية، وأمَّا الدِّراية، فلم تُؤخَذ موضوعاً في الحكم بقرب منزلتهم منهم عليهم السلام.

وكذا ما جاء من روايات في بيانِ بطلان الرَّأي، والاستحسان، والاجتهاد، طريقاً لكشفٍ واقعيٍّ للأحكام، ممَّا يُفهم منه ضرورة الاقتصار على ظواهر ما جاء عنهم عليهم السلام، دون محاولة تعميقِه بما لا يحتمله لفظه، ثمَّ نسبته إليهم عليهم السلام دون وجه حق.

الرأي الثاني:القبول المطلق لشخصنة الدِّين

بمعنى ضرورة الذَّوبان في الأشخاص؛ استعاضةً بذلك عن غياب المعصوم؛ فإنَّ

(١) رجال الكشي – اختيار معرفة الرجال، ص: ٣.

حالة الذَّوبان في القائد الدِّينيّ حالة فطريَّة، ومطلوبة، لتحقيق التَّديُّن الصَّحيح، وعلى هذا فإنَّ هؤلاء الأشخاص واسطةٌ في أصل الموضوع، ولكنّ هذه الواسطة لها موضوعيَّة، وليست منظورة فقط على نحو الطريقيَّة، والتَّعبير الأوضح المُعبِّر عن هذه الحالة: أنَّ الذي يُؤخذ عنه تُنظر وساطتُه بمنظارٍ بعيدٍ؛ لحفظ أصل الأخذ عنهم عليهم السلام، إلّا أنَّ المطلوب الواقعيّ في هذه النَّظريَّة هو النَّظر إلى المأخوذ عنه الدِّين بنظر الموضوعيَّة؛ تغليباً لها على ملاحظة الطَّريقيَّة فيه، فيُحصر الإسلام فيه مطلقاً، ويُنوَّه على تقدُّمه، وفضله، واستحقاقه لهذا التَّقديم دونَ غيرِه، ويُتعامل معه -في كثيرٍ من الأحيان- كالمعصوم تماماً، إلّا في مساحات ضيِّقة يضَّطر أصحاب هذه الرُّؤية إلى التَّنويه عليها؛ حفظاً لأصل نظريَّة العصمة.

الرَّأي الثَّالث: القبول المقيَّد لشخصنة الدِّين

إنَّ الشَّخصنة عند هؤلاء أمرٌ بيْن أمرين، فالشَّخص الذي يُؤخذ عنه يُلحظ بلحاظ الطريقيَّة، وبلحاظ الموضوعيَّة أيضاً في الوقت نفسه، أمَّا اللحاظ الأوَّل؛ فلأنَّ المطلوب الأساس منه أن يوصِل لرأي أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ رأي أهل البيت عليهم السلام عليه المدار حقيقة، ولا خصوصيَّة للرَّأي المستقلّ عنهم، مهما بلغت مداركه من خبرة، وتجربة، وسداد، إلّا بمقدار ما يعبِّر عنه كلُّ ذلك من الأخذ عنهم عليهم السلام على وجه الخصوص، وأمَّا اللحاظ الثَّاني؛ فلأنَّ الواسطة يُطلب فيها مجموعة من الخصال الدقيقة، التي متى اختلَّ بعضُها فإنَّ الطريقيَّة تختلُّ، فلا بدَّ من توفُّر الواسطة على أمور يُنظر إليها بلحاظ الموضوعيَّة في الشَّخص الواسطة.

وهذه الآراء تحتاجُ إلى مناقشةٍ من أجل أن يتبيُّن الصَّحيح من بينها، فأيُّ هذه الآراء هو الصَّحيح؟ هذا ما نذكره في النقطة التالية:

النُّقطة الثَّالثة: مناقشة الآراء الثلاثة

مناقشة الرَّأي الأول

مناقشة الصنف الأوَّل (المُحدَثين):

أوّلاً: إنَّ إلغاء دور العلماء والمتخصِّصين خلاف الإملاءات الفطريَّة والعقلائيَّة كما اتَّضح ممَّا سبق، وهو يفتح باب الفوضى الفكريَّة، والتَّضارب في الآراء المُحمَّلة على النُّصوص من دون حجَّة.

ثانياً: إنَّ الدَّعوة إلى قطع العلاقة مع العلماء بتعميم بعض الحالات من الدَّجل الواقع في ادعاء المناصب الدِّينية على كلِّ من شغل هذه المواقع، تُعدُّ دعوى بعيدةً عن الموضوعيَّة، والواقعيَّة، والإنصاف.

ثالثاً: هذا الرَّأي خلاف ما أرشد إليه أهل البيت عليهم السلام أنفسهم من ضرورة اتباع العالم بالشُّروط التي ستتَّضح فيما يأتي إنْ شاء الله، ففكرة هؤلاء تنقض نفسها بنفسها؛ إذ أنَّها تدعِّي ضرورة الأخذ عن أهل البيت عليهم السلام بالسُّنة المحكيَّة مباشرة، وما دور الفقهاء إلّا الرِّواية، ولا شغل لنا بدرايتهم البتَّة، فالحجَّة عندهم هو نفس هذه الرِّوايات، ثمَّ إنَّ نفسَ هذه الرِّوايات ترشِدُ بتظافر واستفاضة حجةٍ إلى ضرورة الأخذ عن خصوص العالم، وعدم الانفصال عنه في فهمِ الدِّين، فكان الطَّريق الذي ارتضوه في اتباع الدِّين بنفسه مبطلاً لحجتهم في بطلان اتباع العلماء.

ومن ذلك ما ورد عن الصادق عليه السلام: «**مَنْ دَانَ اللهَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ مِنْ عَالِمٍ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللهُ التِّيهَ إِلَى الْعَنَاءِ...**». [1]

(١) الغيبة للنعماني، النصّ، ص: ١٣٤

مناقشة الصنف الثَّاني (المُحدِّثين):

أوّلاً: إنَّ فتح باب الدِّراية للجميع والاقتصار في التَّواصل مع الفقهاء على أنَّهم مجرَّد وسائط ورواة فقط، يعني جعل حديثهم عليهم السلام شرعة لكلِّ وارد، ويلزم منه أن يفتي كلُّ غير ذي علم بجهله في الدِّين؛ لأنَّه عثر على رواية هنا، أو على حديث هناك، ويلزم منه أن يُنسب إلى الشَّارع ما ليس فيه، وفتح باب البدعة، والإفتاء بغير علم، والتَّوهين من الدِّين، والاستنقاص من حديثهم، وتحكيم الهوى والاستحسان، والخبط في معالجة ما روي عنهم إذا كان متضارباً في ظاهره، والنَّظر إلى مطلق مع إغفال مقيِّده، والإفتاء وفقاً لعام مع إلغاء مخصِّصه، وعدم التفريق بين الناسخ ومنسوخه، وما ورد من خبر تقيّة، وما ورد منه جدّاً، وغير ذلك من مستلزمات الصنعة التي لا يقدر عليها حتى العالم إن لم يكن فقيهاً مجتهداً، فضلاً عن عامة النَّاس، فكيف يُتعاطى حينها مع الفقيه كناقل فقط؟! ومن الذي سيميِّز السُّنة المحكيَّة عن السُّنة الواقعيَّة بنحو الحجة؟! ومن الذي سيتمكَّن من ترتيب الأثر؟!

وقد ورد ما دلَّ على أنَّ الرِّواية وحدها لا تكفي، وأنَّها حين تذكر مجرَّدة عن ملاحظة الدِّراية، فإنَّها تأتي بمعنى إرادة اللازم بذكر الملزوم، فالرِّواية ملزوم، والدِّراية هي اللازم، وهي المراد أساساً، والقيمة لها، وما قيمة الرِّواية إلّا بقيمة درايتها. جاء عن الصَّادق عليه السلام: **«اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا عِنْدَنَا عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ عَنَّا وفَهْمِهِمْ مِنَّا»**[١]، وعنه عليه السلام: **«اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا بِقَدْرِ مَا يُحْسِنُونَ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ عَنَّا، فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الْفَقِيهَ مِنْهُمْ فَقِيهاً حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثاً»**، فَقِيلَ لَهُ: أَويَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثاً؟ قَالَ: **«يَكُونُ مُفَهَّماً، والْمُفَهَّمُ مُحْدَّثٌ»**[٢].

ثانياً: إنَّ الملحوظ أنَّهم عليهم السلام أعطوا كلَّ واحد بمقدار استعداده، فمن جهة اقتصروا في بعض الأحاديث على المستوى الواضح في الفهم العرفيِّ النمطيِّ المتعارف، مخاطبين به

(١) الغيبة للنعماني، النص، ص: ٢٢.

(٢) رجال الكشي – اختيار معرفة الرِّجال، ص: ٣.

النَّاس العاديّين، ومن جهة أخرى أفاضوا الكثير من خزائن علومهم على من كان يمتلك استعداداً لتلقِّيها من أصحابهم الخلَّص رضي الله عنهم، فحصر ما أُثر عنهم في النَّمط الأوَّل بلا وجهٍ، ويدلُّ على ذلك طوائف من رواياتهم عليهم السلام، منها:

١. ما دلَّ على أنَّ حديثهم صعب مستصعب(١).

٢. ما دلَّ على أنَّ في حديثهم محكماً ومتشابهاً(٢).

٣. ما تحدَّث فعلاً وفقاً للنمط الثاني الذي لبَّى حاجة الخُلَّص، فتعمَّق في بيان خزائن علومهم عليهم السلام.

إذن: لا شكَّ في أنَّ أحاديثهم عليهم السلام لم تكن على نسق واحد محصور في المخاطبات السطحيَّة العرفيَّة، فلا بدَّ من الشَّخصنة إذن، بمعنى الرُّجوع إلى غير المعصوم لفهم ذلك كلِّه، وعدم الاستقلال بفهمه بلا حجَّة ظاهرة.

ثالثاً: إنَّ التتبُّع يقضي بأنَّ من الرِّوايات ما لوحظ فيه خصوص الرَّاوي بالنِّسبة إلى تحديد مناط الأخذ عنه، بغض النَّظر عن المرويّ، ومنها ما لوحظ فيه خصوص المروي، بغض النَّظر عن الرَّاوي، ومقتضى الجمع بين الأمرين هو: أنَّ الشَّارع قد اهتمَّ بالأمرين معاً، وهذا ما يلزمنا بنتيجة مفادها: أنَّ التوصُّل إلى رأي أهل البيت عليهم السلام لا يمكن إلّا بملاحظة الرَّاوي والمرويّ معاً، ممَّا يعني حتميَّة شخصنة الدِّين في غير المعصوم، بسبب انحصار الطَّريق -في التوصُّل إلى دين المعصوم- بهذا الطَّريق العقلائيّ الذي يلحظ خصوصيات الرَّاوي، ولكن بشروط بيَّنوها عليهم السلام، متى ما اتُّبعت، أخذنا بأقربها احتمالاً

(١) منها ما عن الإمام الباقر عليه السلام: «**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله: **إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لاَ يُؤْمِنُ بِهِ إِلاَّ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ..**» بصائر الدرجات، الصفار، ج١، ص: ٢١.

(٢) منها ما عَنْ أَبِي حَيُّونٍ مَوْلَى الرِّضَا [عن الرضا] عليه السلام قَالَ: «**مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ ومُحْكَماً كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا ولَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوا**» عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشَّيخ الصَّدوق، ج١، ص: ٢٩٠.

لإصابة دينهم عليهم السلام، ومتى ما أُخلَّ بها، فإنَّ نتيجة ذلك هي الابتعاد عن منهجهم، وعن دينهم عليهم السلام.

والنَّتيجة: أنَّ ربط الدِّين بأشخاص أهل البيت عليهم السلام في هذا العصر، لا يمكن أن يكون إلّا بربطه بوسائط وأشخاص من غير المعصومين عليهم السلام، وهذا هو الطريق العرفيُّ، والفطريُّ، والعقلائيُّ المُمضى من عندهم عليهم السلام، وبهذا يتَّضح بطلان الرأي الأول، وأنَّ النَّظر إلى الفقهاء بعين الطريقية البحتة أمرٌ مخالف للفطرة، والسِّيرة العقلائيَّة، والسيرة المتشرعيَّة، فنبقى حينئذٍ بين أمرين: أن ننظر إليهم بعين الموضوعيَّة فقط. أو أن ننظر إليهم بعين جامعة بين الأمرين.

مناقشة الرَّأي الثَّاني (القبول المطلق لشخصنة الدِّين)

وأكتفي هنا بمناقشتين:

المناقشة العُقلائيَّة:

إنَّ حالة الذَّوبان في غير المعصوم ما لم تكن مستندة إلى ضوابط، فإنَّها ستكون أمام محكٍّ خطير جداً، قد يؤدِّي إلى عكس النَّتائج المرجوَّة من اتِّباع قادة الدِّين ومرجعياته، ولا ضمانة حينئذٍ من الانحراف، وعلى ذلك شواهد كثيرة، دلَّت على أنَّ الارتباط العاطفيَّ غير الموزون، والذي لا يتَّكئ على ضوابط علميَّة وعمليَّة واضحة، يجعل الإنسان بمثابة الأعمى، ويجعله مستعداً لضرب الثَّوابت -فضلاً عن غيرها- للمحافظة على الصُّورة التي حملها تجاه محبوبه، فكم من الضَّلالات التي وقعت، والبدع التي انتشرت، كان أساسها الارتباط بأشخاص مرضى، يتخضَّعون، ويتخشَّعون، ويتلاعبون بالكلام والمصطلحات،، فيُغوون، ويُضلُّون، يُؤخذ عنهم الدِّين مختلَطاً، فمن هذا ضغث، ومن هذا ضغث، وتكون النتيجة فكراً هجيناً، وعاطفة مختلَّة، وعقيدة فاسدة، وادعاءً لمظلوميات لا واقع لها، فانظر بالتعمُّق والتحليل إلى أساس دعاوى السَّفارة، ودعاوى

المرجعيَّة الفاسدة، ستجد أنَّ أساسها هو الارتباط العاطفيُّ غير الموزون بالشخصيات غير المعصومة، وحينها تتَّضح خطورة شخصنة الدِّين مع هذا الرأي..

وقد ورد عن النَّبي صلى الله عليه وآله **«أخوف ما أخاف على أمّتي كلَّ منافق عليم اللسان»**[1].

لا يُقال: إنَّ مثل هذه الشَّخصنة هي التي حفظت الدِّين، وأنتجت ما أنتجت من مجتمعات مستميتة في فهم الدِّين الحقِّ، مضحيَّة في سبيله.

لأنَّا نقول: إنَّ صحَّة المصداق في بعض الأحيان، ما لم يكن موزوناً ومضبوطاً بفكرة علميّة ثابتة، ظنٌّ لا يُغني من الحقِّ شيئاً، فإنَّ الذي وصل إلى المصداق الصَّحيح اليوم، قد يصل إلى غيره غداً، فالتَّعويل الحقُّ على الميزان العلميّ، لا على الظُّنون، والرَّجم بالغيب، والفرصة التي قد تُتاح، وقد لا تتاح.

المناقشة الرِّوائيَّة:

نهى أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن هكذا ارتباط ما لم يكن مضبوطاً بميزان علميّ وأسس واضحة، فممَّا ورد في ذلك:

١. عن النَّبي صلى الله عليه وآله: **«غَرِيبَتَانِ: كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفِيهٍ فَاقْبَلُوهَا، وكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكِيمٍ فَاغْفِرُوهَا»**[2]، وعن الصادق عليه السلام: **«إِنَّ الْحِكْمَةَ لتكُونُ فِي قَلْبِ الْمُنَافِقِ فَتَجَلْجَلُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى يُخْرِجَهَا فَيُوعِيهَا الْمُؤْمِنُ، وتَكُونُ كَلِمَةُ الْمُنَافِقِ فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ فَتَجَلْجَلُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى يُخْرِجَهَا فَيَعِيهَا الْمُنَافِقُ»**[3]، هذان الحديثان يبيِّنان واقع حال غير المعصوم، فربما صدرت الحكمة عن صدر منافق، نتيجة رجوعه لفطرته السليمة القابعة في أعماقه، فأثَّر بها على قلب المؤمن، وربما صدرت كلمة النِّفاق عن صدر المؤمن، لمحلِّ عدم عصمته، فأثَّرت في قلب المنافق، فعزَّ التمحُّض في الإيمان أو في النِّفاق عند

(١) نهج الفصاحة، ص: ١٧٤.
(٢) المحاسن للبرقي، ج١، ص: ٢٣٠.
(٣) بحار الأنوار (ط – بيروت)، ج٢، ص: ٩٤.

عاديِّ النَّاس، والقاعدة العامّة التي توجب الحذر من كلِّ أحد هي هذه، فالأصل أنَّ غير المعصوم هذا هو حاله، إلّا ما خرج بدليل ممَّن قذف الله تعالى حبَّهم في قلوب المؤمنين لصفاء سريرتهم المدلول عليه بكثرة التَّجربة وتكرارها، والتي يُبرزها لنا ظاهرهم الحسن بنحو مستمِّر يصعب ثباته لو كانت صفة الإيمان عندهم مستودعاً لا مستقراً.

فما دلَّ على توصيف واقعِ المأخوذ منه ما دام غير معصوم، يستدعي طريقة تعامل حذرة دائماً في عملية الأخذ، فالمأخوذ منه على صلاحه، لا يسلم من الخطأ والزَّلل ما لم يكن معصوماً، فلا بدَّ حينئذٍ من التَّعامل مع هذا الواقع -منطقيّاً- بحسبه، فلا تُغمَض العين في الأخذ منه دون تحكيم دائم للعمومات والثَّوابت.

٢. عن الثُّماليّ عن الصادق عليه السلام: «**إِيَّاكَ والرِّئَاسَةَ، وإِيَّاكَ أَنْ تَطَأَ أَعْقَابَ الرِّجَالِ**» قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَمَّا الرِّئَاسَةُ فَقَدْ عَرَفْتُهَا، وأَمَّا أَنْ أَطَأَ أَعْقَابَ الرِّجَالِ فَمَا ثُلُثَا مَا فِي يَدِي إِلَّا مِمَّا وَطِئْتُ أَعْقَابَ الرِّجَالِ، فَقَالَ لِي: «**لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِيَّاكَ أَنْ تَنْصِبَ رَجُلاً دُونَ الْحُجَّةِ فَتُصَدِّقَهُ فِي كُلِّ مَا قَالَ**»(١).

قال العلّامة المجلسيّ: "**بيان: ظنَّ السَّائل أنَّ مراده عليه السلام بوطئ أعقاب الرِّجال مطلق أخذ العلم عن النَّاس، فقال** عليه السلام: **المراد أن تنصب رجلا غير الحجَّة فتصدِّقه في كلِّ ما يقول برأيه من غير أن يسند ذلك إلى المعصوم** عليه السلام، **فأمَّا من يروي عن المعصوم أو يفسر ما فهمه من كلامه لمن ليس له صلاحيّة فهم كلامه من غير تلقين، فالأخذ عنه كالأخذ عن المعصوم، ويجب على من لا يعلم الرُّجوع إليه ليعرف أحكام الله تعالى**"(٢).

٣. ورد عن الأمير عليه السلام: «..**إِنَّ دِينَ اللهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ**..»(٣)، وظاهر هذا الحديث التنبيه على خطورة الارتباط بالرِّجال غير المعصومين بحيث يُؤخذ الدِّين

(١) الكافي للشيخ الكليني (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ٢٩٨.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٢، ص: ٨٣.

(٣) الأمالي (للمفيد)، ص: ٥.

عنهم بلا تمحيص وتدقيق فيما يصدر عنهم، وبالتَّسليم المطلق لما يقولون، بحيث يُتعامل معهم كالتَّعامل مع المعصوم.

والنَّتيجة: أنَّ الرأي الثَّاني ليس صحيحاً، كما هو الأمر في الرأي الأوّل، ومع ملاحظة ذلك كلِّه، تتَّضح صحة النَّظرية الثالثة فحسب، وهي: أنَّ التَّوصل إلى الدِّين كما أنَّه يحتاج إلى شخصنة في غير المعصوم، وكما أنَّه يحتاج إلى ارتباط عاطفي بالمأخوذ عنه ولو لم يكن معصوماً، فهو في نفس الوقت يحتاج إلى تحرِّي الضوابط الدقيقة وتطبيقها في هذا الشخص الذي سيؤخذ عنه دين الله تعالى.

ومن هنا يأتي السُّؤال: ما هي تلك الضَّوابط التي حدَّدها أهل البيت عليهم السلام لتكوين هذه الرَّابطة العاطفيَّة مع غير المعصومين، لتحقيق هدف الوصول إلى المعصومين، ورأيهم، وهديهم؟ هذا ما سيبحث في النُّقطة التَّالية إن شاء الله تعالى.

النُّقطة الرَّابعة: الضَّوابط الملحوظة لحفظ التَّطبيق الصَّحيح لـ(شخصنة الدِّين)

أولاً: الضَّوابط الملحوظة في المأخوذ عنه:

١. تمحُّض المأخوذ عنه في الأخذ عن أهل البيت عليهم السلام: أي أن يكون من يُؤخذ عنه يأخذ من نبع صافٍ، أمَّا من لا يأخذ عن أهل البيت عليهم السلام، أو يأخذ عنهم وعن غيرهم بحيث يصدِّر فكراً هجيناً منبهراً بما لدى غير المعصومين عليهم السلام، فهو ليس أهلاً لأن يتموضع في هذا الموضع الحسَّاس، وقد نقلنا سابقاً عن الباقر عليه السلام: «**فَلْيُشَرِّقِ الْحَكَمُ وَلْيُغَرِّبْ، أَمَا واللهِ لَا يُصِيبُ الْعِلْمَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَبْرَئِيلُ** عليه السلام»[1].

٢. أن ينعكس العلم بقيَمه في سلوك المأخوذ عنه: ورد أنَّه من وصية ذي القرنين: «**لَا**

---

(١) بصائر الدرجات، الصفار، ج١، ص: ٩.

تَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ مِمَّنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ لَا يَنْفَعُكَ»[١]، وهذه الوصية ناظرة إلى ضرورة ملاحظة السمت الأخلاقي للمأخوذ عنه، دون الاكتفاء بقدرته على الكلام والإقناع في حدِّ ذاتها، فالعالم ينبغي أن يكون متهذِّباً بما يعلم، وإلَّا كان قاطع طريق، وهذه واحدة من أهمِّ العلامات التي ينبغي أن يتحرَّاها المؤمن في من يأخذ عنه دينه، فليس العلم كلَّ شيء، بل انعكاسات ذلك العلم في القول والفعل دليلٌ على صدق ذلك العلم، ونقائه، وصفائه

بل يُفهم من الرِّوايات أنَّ المعلومات والاصطلاحات التي يستعملها مدَّعي العلم، إذا لم تجد أثرها في سلوكه، فإنَّ ذلك لا يصحُّ أن يُسمَّى علماً من الأساس، فمن يقول ما لا يفعل، ويعلم ما لا يعمل به، فلا يُؤمَن أن يكون وجهاً يُقصد لأخذ معالم الدِّين؛ إذ أنَّ نفسه الأمَّارة حينئذٍ ستكون ذات أثر في عملية تبليغ الدِّين، فهذه علامة، من كان معتدّاً بنفسه، منفعلاً بخلق الغرور والتكبر، مترِّفعاً على الآخرين، غير متأدِّب مع أقرانه من العلماء، همُّه تسقيطهم، واتّهامهم بالجهل، أو بالتغرير بالنَّاس، فلا يرعوي في سبيل ذلك أن يكذب عليهم، أو أن يقتطع، أو أن يلتقط في فكره الهجين، وينسب ذلك كلَّه إلى نفسه، ويسرق جهود الآخرين، فإنَّ ما بُني على باطل لا ينتج إلّا باطلاً، وما خبث لا يخرج إلّا نكداً، فاعلم حينها أنَّ صاحب هذه الدَّعوى باطل، وقوله باطل، وفعله باطل، فلا يؤخذ عنه الدِّين؛ لأنَّه ينطق عن الشَّيطان، لا عن الله تعالى.

وهنا مسألة، وهي أنَّ بعض الأحاديث تدعو لأخذ الحكمة ولو من منافق، وبعضها يأمر بأخذ الدِّين من خصوص العالم التَّقيّ، ويلزم بضرورة النَّظر إلى من يأخذ عنه، فهل هناك تهافت؟!

الجواب: إنَّ الطَّائفة الأولى ناظرة إلى حالة ضرورة استتباع الحكمة بغض النَّظر عن طريقها، أو ناظرة إلى الأخذ العابر بعد الفراغ من متانة الأصول التي يبني عليها الآخذ

(١) الدعوات (للراوندي)، ص: ٦٣.

في تقييم ما يأخذه، وأنَّه من الحكمة لا من الباطل، وأمَّا الطَّائفة الثَّانية فهي ناظرة إلى الأصول، وإلى مرحلة البناء، ففي هذه المرحلة لا يجوز الأخذ إلّا ممن فُرِغ من كونه ممَّن يُؤخذ عنه بتوفر الشروط فيه.

ثانياً: الضَّوابط الملحوظة في الآخذ:

١. ضرورة تحصيل البصيرة: عن الأمير عليه السلام: «**أَوْ مُنْقَاداً لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ**»(١).

٢. إنَّ ملاحظة حسن السمت وثباته علامة مقرِّبة لتحقيق الاطمئنان بصفاء من يُؤخذ عنه، ورد في البحار: قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام: فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مِنَ الْيَهُودِ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ إِلَّا بِمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ فَكَيْفَ ذَمَّهُمْ بِتَقْلِيدِهِمْ وَالْقَبُولِ مِنْ عُلَمَائِهِمْ؟ وَهَلْ عَوَامُّ الْيَهُودِ إِلَّا كَعَوَامِّنَا يُقَلِّدُونَ عُلَمَاءَهُمْ؟! فَإِنْ لَمْ يَجُزْ لِأُولَئِكَ الْقَبُولُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ لَمْ يَجُزْ لِهَؤُلَاءِ الْقَبُولُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ! فَقَالَ عليه السلام: «**بَيْنَ عَوَامِّنَا وَعُلَمَائِنَا وَبَيْنَ عَوَامِّ الْيَهُودِ وَعُلَمَائِهِمْ فَرْقٌ مِنْ جِهَةٍ وَتَسْوِيَةٌ مِنْ جِهَةٍ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ اسْتَوَوْا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ ذَمَّ عَوَامَّنَا بِتَقْلِيدِهِمْ عُلَمَاءَهُمْ كَمَا ذَمَّ عَوَامَّهُمْ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ افْتَرَقُوا فَلَا**» قَالَ بَيِّنْ لِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ قَالَ عليه السلام: «**إِنَّ عَوَامَّ الْيَهُودِ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عُلَمَاءَهُمْ بِالْكَذِبِ الصَّرِيحِ، وَبِأَكْلِ الْحَرَامِ، وَالرِّشَاءِ، وَبِتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ عَنْ وَاجِبِهَا بِالشَّفَاعَاتِ وَالْعِنَايَاتِ وَالْمُصَانَعَاتِ، وَعَرَفُوهُمْ بِالتَّعَصُّبِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُفَارِقُونَ بِهِ أَدْيَانَهُمْ، وَأَنَّهُمْ إِذَا تَعَصَّبُوا أَزَالُوا حُقُوقَ مَنْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ، وَأَعْطَوْا مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِ غَيْرِهِمْ، وَظَلَمُوهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ، وَعَرَفُوهُمْ يُقَارِفُونَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَاضْطُرُّوا بِمَعَارِفِ قُلُوبِهِمْ إِلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا يَفْعَلُونَهُ فَهُوَ فَاسِقٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَدَّقَ عَلَى اللهِ، وَلَا عَلَى الْوَسَائِطِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ اللهِ، فَلِذَلِكَ ذَمَّهُمْ لِمَا قَلَّدُوا مَنْ قَدْ عَرَفُوا، وَمَنْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَبُولُ خَبَرِهِ، وَلَا تَصْدِيقُهُ فِي حِكَايَاتِهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِمْ عَمَّنْ لَمْ يُشَاهِدُوهُ، وَوَجَبَ**

(١) الغيبة للنعماني، ص: ٢١.

عَلَيْهِمُ النَّظَرُ بِأَنْفُسِهِمْ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِذْ كَانَتْ دَلَائِلُهُ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ تَخْفَى، وَأَشْهَرَ مِنْ أَنْ لَا تَظْهَرَ لَهُمْ، وكَذَلِكَ عَوَامُّ أُمَّتِنَا إِذَا عَرَفُوا مِنْ فُقَهَائِهِمُ الْفِسْقَ الظَّاهِرَ، والْعَصَبِيَّةَ الشَّدِيدَةَ، والتَّكَالُبَ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا وحَرَامِهَا، وإِهْلَاكِ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ، وإِنْ كَانَ لِإِصْلَاحِ أَمْرِهِ مُسْتَحِقّاً، والتَّرَفْرُفِ بِالْبِرِّ والْإِحْسَانِ عَلَى مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ، وإِنْ كَانَ لِلْإِذْلَالِ والْإِهَانَةِ مُسْتَحِقّاً، فَمَنْ قَلَّدَ مِنْ عَوَامِّنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءِ فَهُمْ مِثْلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالتَّقْلِيدِ لِفَسَقَةِ فُقَهَائِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِناً لِنَفْسِهِ حَافِظاً لِدِينِهِ مُخَالِفاً عَلَى هَوَاهُ مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ، وذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْضَ فُقَهَاءِ الشِّيعَةِ لَا جَمِيعَهُمْ، فَأَمَّا مَنْ رَكِبَ مِنَ الْقَبَائِحِ والْفَوَاحِشِ مَرَاكِبَ فَسَقَةِ فُقَهَاءِ الْعَامَّةِ فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ عَنَّا شَيْئاً ولَا كَرَامَةَ، وإِنَّمَا كَثُرَ التَّخْلِيطُ فِيمَا يُتَحَمَّلُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ لِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْفَسَقَةَ يَتَحَمَّلُونَ عَنَّا فَيُحَرِّفُونَهُ بِأَسْرِهِ لِجَهْلِهِمْ، ويَضَعُونَ الْأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ وُجُوهِهَا لِقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ، وآخَرِينَ يَتَعَمَّدُونَ الْكَذِبَ عَلَيْنَا، لِيَجُرُّوا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا مَا هُوَ زَادُهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، ومِنْهُمْ قَوْمٌ نُصَّابٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْقَدْحِ فِينَا، فَيَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِنَا الصَّحِيحَةِ، فَيَتَوَجَّهُونَ بِهِ عِنْدَ شِيعَتِنَا، ويَنْتَقِصُونَ بِنَا عِنْدَ نُصَّابِنَا، ثُمَّ يُضِيفُونَ إِلَيْهِ أَضْعَافَهُ، وأَضْعَافَ أَضْعَافِهِ مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَيْنَا، الَّتِي نَحْنُ بُرَآءُ مِنْهَا، فَيَقْبَلُهُ الْمُسْتَسْلِمُونَ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عُلُومِنَا، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا، وهُمْ أَضَرُّ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ(عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ) عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وأَصْحَابِهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْلُبُونَهُمُ الْأَرْوَاحَ، والْأَمْوَالَ، وهَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ السَّوْءِ النَّاصِبُونَ الْمُتَشَبِّهُونَ بِأَنَّهُمْ لَنَا مُوَالُونَ، ولِأَعْدَائِنَا مُعَادُونَ، يُدْخِلُونَ الشَّكَّ والشُّبْهَةَ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، فَيُضِلُّونَهُمْ، ويَمْنَعُونَهُمْ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ الْمُصِيبِ»(١).

٣. رغم ضرورة ملاحظة حسن السمت لاستقراب صلاح المأخوذ منه، فإنَّ التَّحصين ضدَّ سهولة الانخداع، والتَّدقيق في المصداق جيداً، وعدم التَّسرع في الانقياد إلى كلِّ من

(١) بحار الأنوار (ط – بيروت)، العلامة المجلسي، ج٢، ص: ٨٧–٨٨.

ادعى فضلاً، وعلماً، وصلاحاً، يُعدُّ أمراً ضرورياً أيضاً، فلا بدَّ من هذه الموازنة.

فعن السَّجاد عليه السلام: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ حَسُنَ سَمْتُهُ وهَدْيُهُ، وتَمَاوَتَ فِي مَنْطِقِهِ، وتَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ، فَرُوَيْداً لَا يَغُرَّنَّكُمْ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُعْجِزُهُ تَنَاوُلُ الدُّنْيَا، ورُكُوبُ الْمَحَارِمِ مِنْهَا، لِضَعْفِ بُنْيَتِهِ ومَهَانَتِهِ، وجُبْنِ قَلْبِهِ فَنَصَبَ الدِّين فَخّاً لَهَا، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَخْتِلُ النَّاسَ بِظَاهِرِهِ، فَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ حَرَامٍ اقْتَحَمَهُ.

فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ مِنَ الْمَالِ الْحَرَامِ، فَرُوَيْداً لَا يَغُرَّنَّكُمْ، فَإِنَّ شَهَوَاتِ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَنْبُو عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ وإِنْ كَثُرَ، ويَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءَ قَبِيحَةٍ، فَيَأْتِي مِنْهَا مُحَرَّماً.

فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ عَنْ ذَلِكَ، فَرُوَيْداً لَا يَغُرَّنَّكُمْ، حَتَّى تَنْظُرُوا مَا عُقْدَةُ عَقْلِهِ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَى عَقْلٍ مَتِينٍ، فَيَكُونُ مَا يُفْسِدُهُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ بِعَقْلِهِ.

فَإِذَا وَجَدْتُمْ عَقْلَهُ مَتِيناً فَرُوَيْداً لَا يَغُرَّنَّكُمْ، حَتَّى تَنْظُرُوا مَعَ هَوَاهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ أَوْ يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هَوَاهُ، وكَيْفَ مَحَبَّتُهُ لِلرِّئَاسَاتِ الْبَاطِلَةِ، وزُهْدُهُ فِيهَا، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا والْآخِرَةَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، ويَرَى أَنَّ لَذَّةَ الرِّئَاسَةِ الْبَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ الْأَمْوَالِ، والنِّعَمِ الْمُبَاحَةِ الْمُحَلَّلَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلَباً لِلرِّئَاسَةِ، حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ: (اتَّقِ اللهَ، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ولَبِئْسَ الْمِهادُ)

فَهُوَ يَخْبِطُ [خَبْطَ] عَشْوَاءَ، يَقُودُهُ أَوَّلُ بَاطِلٍ إِلَى أَبْعَدِ غَايَاتِ الْخَسَارَةِ، ويَمُدُّ يَدَهُ بَعْدَ طَلَبِهِ لِمَا لَا يَقْدِرُ [عَلَيْهِ] فِي طُغْيَانِهِ، فَهُوَ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللهُ، ويُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَا يُبَالِي مَا فَاتَ مِنْ دِينِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ رِئَاسَتُهُ الَّتِي قَدْ شَقِيَ مِنْ أَجْلِهَا.

فَأُولَئِكَ [مَعَ] الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، ولَعَنَهُمْ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً، ولَكِنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ، نِعْمَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ هَوَاهُ تَبَعاً لِأَمْرِ اللهِ، وقُوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَاءِ اللهِ

تَعَالَى، يَرَى الذُّلَّ مَعَ الْحَقِّ أَقْرَبَ إِلَى عِزِّ الْأَبَدِ مِنَ الْعِزِّ فِي الْبَاطِلِ، ويَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَرَّائِهَا يُؤَدِّيهِ إِلَى دَوَامِ النِّعَمِ فِي دَارٍ لَا تَبِيدُ ولَا تَنْفَدُ، وإِنَّ كَثِيرَ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ سَرَّائِهَا إِنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يُؤَدِّيهِ إِلَى عَذَابٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ ولَا زَوَالَ.

فَذَلِكُمُ الرَّجُلُ نِعْمَ الرَّجُلُ، فَبِهِ فَتَمَسَّكُوا، وبِسُنَّتِهِ فَاقْتَدُوا، وإِلَى رَبِّكُمْ فَبِهِ فَتَوَسَّلُوا، فَإِنَّهُ لا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ، ولَا تُخَيَّبُ لَهُ طَلِبَةٌ»[1].

٤. ضرورة القدرة على الفصل بين العالِم والمدَّعي، فإنَّ العالم الحقّ يحافظ على صفاء المنقول، بينما المدَّعي الذي لا ينفعل بما ينقل، فإنَّه ينقله بكدر وشوائب نفسيَّة قد تحرف المنقول عن مساره الصَّحيح، فيُنسب إلى الدِّين زوراً وبهتاناً، فالوعاء الكدر ليس كالوعاء النَّظيف، ومعرفة أنَّ في الواقع ما يعبِّر عن الاثنين، يستدعي حذراً في الأخذ، تحرّياً للتمييز بينهما، جاء عن الباقر عليه السلام: «**إِنَّ لَنَا أَوْعِيَةً نَمْلَؤُهَا عِلْماً وحُكْماً ولَيْسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ، فَمَا نَمْلَؤُهَا إِلَّا لِتُنْقَلَ إِلَى شِيعَتِنَا، فَانْظُرُوا إِلَى مَا فِي الْأَوْعِيَةِ فَخُذُوهَا، ثُمَّ صَفُّوهَا مِنَ الْكُدُورَةِ تَأْخُذُونَهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً صَافِيَةً، وإِيَّاكُمْ والْأَوْعِيَةَ فَإِنَّهَا وِعَاءُ سَوْءٍ فَتَنَكَّبُوهَا**»[2]، ويبينِّ هذا الحديث الشَّريف أنهَّم عليهم السلام مضطرون للتعامل مع حملة العلم لتحقيق عملية النقل والتناقل، وأنَّ بعض أوعية العلم ليست صافية في كلِّ حين، باعتبار عدم عصمتها، فلا بدَّ أن يُتعامل معها بحذر، وبعين التَّدقيق، من أجل التوصُّل إلى فصل ما مِن عندهم، عن ما مِن عند أهل البيت عليهم السلام، فلا يُغتشُّ بالخليط.

وجاء عن الصادق عليه السلام: «**اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِ الْعِلْمِ، وإِيَّاكُمْ والْوَلَائِجَ، فِيهِمُ الصَّدَّادُونَ عَنِ اللهِ**»، ثُمَّ قَالَ «**ذَهَبَ الْعِلْمُ، وبَقِيَ غُبَّرَاتُ الْعِلْمِ فِي أَوْعِيَةِ سَوْءٍ، فَاحْذَرُوا بَاطِنَهَا؛ فَإِنَّ فِي بَاطِنِهَا الْهَلَاكَ، وعَلَيْكُمْ بِظَاهِرِهَا فَإِنَّ فِي ظَاهِرِهَا النَّجَاةَ**»[3]، قال العلاّمة

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص: ٥٣-٥٥.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، العلامة المجلسي، ج٢، ص: ٩٣.

(٣) المصدر السابق.

المجلسيّ في شرح هذا الحديث: "**لعلَّ المراد بتصفيتها تخليصها من آرائهم الفاسدة، أو من أخبارهم التي هم متهمون فيها لموافقتها لعقائدهم، والمراد بباطنها عقائدها الفاسدة، أو فسوقها التي يخفونها عن الخلق**"(١).

٥. يُفهم من بعض الأحاديث أنَّ التقوى والتوكُّل على الله تعالى، والاعتماد عليه يعدُّ عاملاً مساعداً للتوفيق في اختيار المأخوذ عنه ومنه، فعن الباقر عليه السلام: «**إِنَّ الْقُرْآنَ شَاهِدُ الْحَقِّ، ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله لِذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ، فَمَنِ اتَّخَذَ سَبَباً إِلَى سَبَبِ اللهِ لَمْ يُقْطَعْ بِهِ الْأَسْبَابُ، وَمَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ سَبَباً مَعَ كُلِّ كَذَّابٍ، فَاتَّقُوا اللهَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ أَعْلَامَ دِينِكُمْ، ومَنَارَ هُدَاكُمْ، فَلَا تَأْخُذُوا أَمْرَكُمْ بِالْوَهْنِ، ولَا أَدْيَانَكُمْ هُزُؤاً فَتَدْحَضَ أَعْمَالُكُمْ، وتُخْطِئُوا سَبِيلَكُمْ، ولَا تَكُونُوا أَطَعْتُمُ اللهَ رَبَّكُمْ، اثْبُتُوا عَلَى الْقُرْآنِ الثَّابِتِ، وكُونُوا فِي حِزْبِ اللهِ تَهْتَدُوا، ولَا تَكُونُوا فِي حِزْبِ الشَّيْطَانِ فَتَضِلُّوا، يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ، ويَحْيَا مَنْ حَيَّ، وعَلَى اللهِ الْبَيَانُ؛ بَيَّنَ لَكُمْ فَاهْتَدُوا، وبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ فَانْتَفِعُوا، والسَّبِيلُ فِي ذَلِكَ إِلَى اللهِ، فَمَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً**»(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «**[لَا جَرَمَ] أَنَّ مَنْ عَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ -مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَوَامِّ- أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا صِيَانَةَ دِينِهِ وتَعْظِيمَ وَلِيِّهِ، لَمْ يَتْرُكْهُ فِي يَدِ هَذَا الْمُلَبِّسِ الْكَافِرِ، ولَكِنَّهُ يُقَيِّضُ لَهُ مُؤْمِناً يَقِفُ بِهِ عَلَى الصَّوَابِ، ثُمَّ يُوَفِّقُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْقَبُولِ مِنْهُ، فَيَجْمَعُ لَهُ بِذَلِكَ خَيْرَ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، ويَجْمَعُ عَلَى مَنْ أَضَلَّهُ لَعْنَ الدُّنْيَا وعَذَابَ الْآخِرَةِ**»(٣).

٦. ضرورة تحديد الضَّوابط العلميّة في الأخذ، والابتعاد عن الاقتصار على العاطفة في الاتباع، فمهما بلغ المأخوذ عنه من حسن في السمت، والهيئة، فإنَّ الارتباط به عاطفياً بنحو لا أساس علميّ واضح له -بل مجرد ارتباط بالشَّخص أكثر من كونه ارتباطاً بالدِّين

(١) المصدر السابق.

(٢) المحاسن، ج١، ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص: ٣٠١.

نفسه- لا محالة يؤدِّي إلى الخروج من الدِّين كما دخل المرء فيه من بوابة العاطفة المجرَّدة عن التَّحقيق والتثبُّت.

ورد عن الصادق عليه السلام: «**مَنْ عَرَفَ دِينَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ زَالَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ، ومَنْ دَخَلَ فِي أَمْرٍ بِجَهْلٍ خَرَجَ مِنْهُ بِجَهْلٍ**»[١]، وعنه عليه السلام: «**مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّين بِالرِّجَالِ أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجَالُ كَمَا أَدْخَلُوهُ فِيهِ، ومَنْ دَخَلَ فِيهِ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ زَالَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ**»[٢].

والنتيجة: إنَّ التَّعامل مع الشَّخص غير المعصوم على أنَّه الدِّين نفسه ليس صحيحاً، بل هو أخطر ما يكون على دين المرء، وأمَّا أخذ الدِّين عن غير المعصوم إذا كان مُعبِّراً -وفق الموازين العلمية- عن المعصوم، بانحفاظ الضَّوابط العلمية والعمليّة فيه، فلا يُعدُّ أمراً حسناً فحسب، بل هو أمر ضروريّ، حيث لا طريق لأخذ الدِّين حينئذٍ غير هذا الطريق، إلّا أن يكون رجوعاً إلى هوىً والعياذ بالله.

---

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، العلامة المجلسي، ج٢٣، ص: ١٠٣.

(٢) الغيبة للنعماني، ص: ٢٢.

علم الإنسان ما لم يعلم

زواج السَّيِّدة المعصومة(عليها السلام)

الشيخ منصور إبراهيم الجبيليّ

الملخّص:

تعرَّض الكاتب في مقالته إلى مسألة زواج السَّيِّدة المعصومة عليها السلام، فذكر أربع مقدِّمات؛ لِما لها من مدخليَّة في اختيار رأيه، ثمَّ بيَّن آراءً ستَّةً في مسألة زواجها، وناقشها واحداً واحداً، ثمَّ خلُص إلى رأيه ونتيجته، وهي أنَّها تزوَّجت، وأبقى احتمال عدم زواجها، وردَّ ما يمكن أن يرد على الاحتمالين.

المقدِّمة

من الشَّخصيّات العظيمة في الإسلام، ومذهب التَّشيُّع على الخصوص شخصيَّة السَّيِّدة المعصومة عليها السلام، ويكفي لإدراك بعض عظمتها النَّظر فيما جاء في حقِّها من بعض الأحاديث، والتَّأمل في زيارتها، والتَّي تكشف عن مكانتها لدى أهل بيت العصمة والطَّهارة عليهم السلام. وهي وإن لم تكن معدودة من المعصومين الأربعة عشر إلَّا أنَّها ذات مكانة وشأن عظيمين، إن لم نقل بعصمتها؛ إذ لا دليل واضح على حصر المعصومين بالأربعة عشر؛ كيف؟ والأنبياء كلُّهم معصومون.

وعادة ما تكون الشَّخصيات العظيمة مورداً لتسليط الضَّوء عليها من قبل المؤالِف والمخالف، فالمؤالِف والمحبّ لها؛ ليتَّخذها قدوةً له في حياته، والمخالف لها قد يتصيَّد في الماء العكر. ولكن قد يحكي التَّاريخ عن صفة أو فعل لشخصيَّة عظيمة، هذه الصِّفة قد تكون مثار استغراب عند بعض النَّاس؛ بحكم ما يبنيه من رؤى وأفكار وصفات لا بدَّ من أن تكون في تلك الشَّخصيّة القدوة له.

وقد أُثيرت بعض الأسئلة حول شخصيَّة السَّيِّدة المعصومة، والتي وقع جوابها محلًّا للخلاف والأخذ والرَّدِّ، والإشكاليَّة تحديداً هي: بما أنَّ الإسلام من جانب يحثُّ على الزَّواج، وأنَّه نقل عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ تَزَوَّجَ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ**»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي النِّصْفِ الْآخَرِ أَوِ الْبَاقِي**»(١)، وغيرها من الرِّوايات التي تحثُّ على الزَّواج، فهنا ينشأ عند بعض النَّاس سؤالٌ، وحاصله: أنَّه ما دام الإسلام يحثُّ على الزَّواج، فحريٌّ بعظماء هذا الدِّين التَّحلِّي والالتزام بأوامر الدِّين ونواهيه قبل غيرهم؛ إذ عدم الالتزام بذلك خلاف العظمة والمكانة التي هم فيها، والحال أنَّ عظماءَ الدِّين كالسَّيِّدة المعصومة لا تلتزم بذلك في مسألة الزَّواج؟! وهذا يرجع لأحد

(١) الكافي (ط- الإسلاميّة)، ج٥، ص٣٢٩، باب كراهة العزبة.

أمرين؛ إمَّا أنَّ روايات الحثِّ على الزَّواج قاصرة؛ ولذا لم تلتزم بها السِّيِّدة، وإمَّا أنَّ السِّيِّدة خالفت تلك الرِّوايات -والعياذ بالله-!

أربع مقدِّمات لا بدَّ منها

هكذا قد يقال من فهم هذه المسألة، وهذا البحث معقود لبيان أمورٍ قد تخفى على البعض، ولكي توضع النُّقاط على الحروف، ورفع الغموض وبيان حقيقة الأمر، وهذا ما يحتاج إلى بيان مقدِّمات قبل الوصول إلى الآراء في المسألة والنَّظر فيها، ثمَّ ذكر النِّتيجة النِّهائيِّة إن شاء الله تعالى.

المقدِّمة الأولى: بيان الحكم الشَّرعيّ في الزَّواج

الزَّواج مستحبٌّ في حدِّ نفسِه -وإلّا فتجري فيه الأحكام الأربعة-، بالإجماع بقسميه عند الخاصَّة والعامَّة، والكتاب والسُّنَّة المستفيضة أو المتواترة[١].

فأمَّا من القرآن فقوله تعالى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(النور:٣٢).

بتقريبِ أنَّ الأمرَ بإنكاح العُزَّاب الأحرار الصَّالحين منهم وغيرهم، والعبيد الصَّالحين منهم، والحثِّ والتَّرغيب فيه ليس واجباً بعنوان أوّليّ، فهذا يكشف عن فضيلة نفس النِّكاح ورجحانه ومطلوبيّته بنحو من الأنحاء، ويحمل الأمر على الاستحباب.

وأمَّا من السُّنَّة الشَّريفة فقد نُقل عن الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: قال الأمير عليه السلام أنَّه قال: «**تزوّجوا؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أحبَّ أن يتّبع سنّتي فإنَّ من سنّتي التّزويج**»[٢]. وغيرها من الرّوايات.

---

(١) موسوعة السّيّد الخوئي، ج٣٢، ص٣.

(٢) الكافي (ط - الإسلاميّة) / ج٥ / ٣٢٩ / باب كراهة العزبة ..... ص : ٣٢٨.

والنِّكاح عنوانٌ تعرض عليه العناوين الخمسة؛ فهو مستحبٌّ في نفسه وبالعنوان الأوّليّ، ولكن قد يعرض عنوان ثانويّ عليه فيكون واجباً بالنَّذر أو العهد أو اليمين أو عند كونه مقدِّمة لواجب على رأي أو عندما يكون تركه موجباً للوقوع في الحرام أو الضَّرر.

وقد يكون محرَّماً كما لو أدَّى إلى الإخلال بواجب أو ترك حقٍّ من الحقوق أو الزِّيادة على الأربع نساء بزواجٍ دائمٍ.

وقد يكون مكروهاً، ذاتاً: كالتَّزوج بمن نشأت في منبت السّوء. وعرضاً قابلاً للزّوال: كنكاح المجنونة أو الّتي لا تطيع زوجها. وعرضاً ليس قابلاً للزّوال: كنكاح العقيم.

وقد يتساوى ملاك الفعل وملاك التّرك فيكون مباحاً.

والنَّتيجة المهمَّة من هذه المقدِّمة هي أنَّ الزَّواج عنوانٌ وموضوعٌ قد تعرضه الأحكام الخمسة، ككثيرٍ من المواضيع، فالمكلَّف في المواضيع التي تخصُّ شأنه في كثير من الأحيان -إن لم نقل دائماً- هو من يشخِّص التّكليف المتوجِّه إليه، فقد يتحقّق موضوع الوجوب فيجب عليه، وقد يتحقّق موضوع الحرمة فيكون الحكم الحرمة في حقِّه، وقد يتحقَّق موضوع الاستحباب فيكون الحكم مستحبّاً في حقّه، وهكذا الكراهة والإباحة.

المقدِّمة الثَّانية: معنى الكمال

وهنا لا بدَّ من بيان أمور:

١. الكمال على قسمين: حقيقيٌّ وغير حقيقيٍّ

الكمال الحقيقيّ هو الّذي يرفع الإنسان ومقامه في الحقيقة والواقع وعند خالقه، وذلك بأن يسلك ما يتقرَّب إلى الخالق عن طريق الطَّاعات الواجب منها والمستحبّ، والابتعاد عن معصية الخالق؛ شكراً لله على ما أعطاه وأغدق عليه من النِّعم التي لا تعدُّ ولا تحصى.

فكلُّ خطوةٍ يخطوها الإنسان وكلُّ فعل يفعله، وكلُّ إقدامٍ في شيء أو إحجام وإعراض عن شيء إذا لم يكن لله فهو لا يسير في طريق تكامله الحقيقيّ؛ فإنَّ ذلك يرجع إلى كمال موهوم كما سيتَّضح.

والكمال غير الحقيقيّ هو الّذي لا يرتقي بالإنسان ولا يقرِّبه بل قد يبعِّده، وذلك بأن يعتقد إنسان أنَّ الثروة والمال الكثير هو الكمال، أو أنَّ الجاه والمنصب هو الكمال، أو أن يكون الشَّخص مشهوراً ومعروفاً، وغيرها من العناوين الشّيطانيّة، الّتي تجعل أعمال الإنسان تذهب هباء منثوراً.

نعم يمكن أن يجعل الإنسان الدُّنيا وما فيها قنطرةً وطريقاً ومزرعة للآخرة، إلّا أنّه في الحقيقة قد شخَّص الكمال الحقيقيّ حينئذٍ.

٢. الكمال في الاختيار

من الجدير بالذِّكر أنَّ وصف الكمال عندما يتَّصف به الشَّخص، إنَّما يكون الشّخص المتّصف به ذا فضيلةٍ ومنقبةٍ إذا كان مختاراً، وكان قد وصل إلى ذلك المقام من الكمال باختياره ومجاهدته لنفسه.

فالصَّفات الحسنة، هي الّتي جعلها الله في اختيار الإنسان وتحت يده وتصرّفه، وله أن يفعلها وله ألّا يفعلها، وهي الّتي يرتقي بها الإنسان إلى الكمال الحقيقيّ، ففضيلة الكرم أو الخلق الحسن أو الصدق أو غيرها إنما تبرز كمالاً لو كانت باختيار الإنسان، لا ما إذا لم تكن باختياره.

وأمَّا اتِّصاف الإنسان بصفات هي خارج اختياره، فليس الحائز عليها تدلّ بالضّرورة على كماله، فلَونُ بشرة الإنسان ليس بيده أو طوله وقصره وفصيلة دمه أو محلّ مولده، هذه ليست في اختيار الإنسان، ولذا من الخطأ المباهاة بها؛ إذ إنَّها ليست فضيلة له وليست من فعله، بل فعل الله تعالى وتصرّفه، فجعلُها معياراً للمفاضلة ليس صحيحاً.

كما أنَّه لا يلام الإنسان أو يعاتَب أو يحاسب على أمر ليس باختياره، نعم قد يعاتب على بعض المقدِّمات الّتي فرَّط فيها متعمِّداً.

وهناك صفات قد تدخل تحت تصرّف الإنسان تارة وأخرى لا تدخل، مثل وصف الزّوجيّة. فالتّصرّف والاختيار بالنّسبة للرّجل قد يكون واضحاً في مجتمعاتنا الإسلاميّة؛ إذ إنّ الرّجل هو الّذي يتقدّم ويطلب يد المرأة، فله أن يعقد عليها وله ألّا يعقد عليها.

وأمَّا المرأة يمكن أن تكون مختارة في قبولها للمتقدِّم لها أو عدم قبوله، ولكن عند عدم تقدّم أحد لها أو عدم تقدم الكفؤ لها فبقاؤها دون زواج يكون بغير اختيارها.

فالزَّواج مشروع حياة وطريق إلى طاعة الله، ولا يمكن أن تقبل المرأة بغير الكفؤ الّذي يبعّدها عن طاعة الله؛ إذ هو خلاف تشريع الزّواج الّذي هو للتّقرّب إلى الله. فالزّواج بما هو زواج من غير لحاظ القرب الإلهيّ لا قيمة له، فما لم يكن الزّواج لأجل القرب من الله وطاعته وعبادته، لا فائدة ولا ثمرة أخرويّة فيه.

والمرأة مثلاً إذا فاتها قطار الزَّواج -كما يعبِّرون- ولم يكن باختيارها، فلا تلام وتحاسَب أو يقال فاتها كمال من الكمالات أو أنَّها لم تسعَ للكمال.

المقدِّمة الثَّالثة: عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

وهذه قاعدة منطقيّة مفادها أنَّه إذا لم تجد شيئاً فلا يدلُّ ذلك على عدم وجوده؛ لأنَّ الإنسان محدود، وعقلُه بحسب الخلقة قاصر عن إدراك ما وراء إدراكاته، فما أكثر ما تخفى عليه من أمور كثيرة، فليس من الصَّحيح عند عدم حصولي على أمر أن أحكم بنحو الجزم بعدم وجوده، وخصوصاً الأمور الّتي يصعب الجزم بعدم حصولها، كالأمور التَّاريخيّة الّتي تدخَّلت فيها حيثيّات كثيرة، تجعلها غير واصلة أو غير نقيَّة الوصول، من طغاةٍ ظلمة، ورواةٍ كذبة، وأقلامٍ مأجورة.

ومن هنا قد يقال بأنَّه ليس من الصّحيح الجزم بعدم وقوع بعض الأحداث المنقولة في كتب التّأريخ مثل بعض أحداث واقعة كربلاء وما جرى فيها من المآسي، بحجّة عدم الوجود.

على أنَّه في كثيرٍ من الأحيان يخفي الإنسان بعضَ أمورِه الشَّخصيَّة عن الآخرين، كالصَّدقة في السِّرّ أو إعانة المحتاجين وغيرها، فيعتقد الآخرون أنَّه لا يفعل الخير وغيره، وما ذلك إلّا لعدم اطّلاعهم وعلمهم وعدم وجدانهم، ولا يدلُّ ذلك على عدم تصدِّقه وفعله للخير أبداً.

المقدِّمة الرَّابعة: التَّأدُّب في محضر العظماء

من مواطن ظهور الأخلاق وبروز الآداب الحسنة، هي عند ذكر العظماء أو عندما تكون في محضرهم، وأعظم عظماء البشر على الإطلاق هم محمّد وآل محمّد عليهم السلام، وبعدهم الأنبياء والعلماء والصُّلحاء.

ففي محضر هؤلاء العظماء على الإنسان أن يحسن أدبه معهم، وأن يحترمهم بما لهم منزلة عند الله وشأن عظيم، فلا يناسب في محضرهم أن تتكلَّم بكلام غير لائقٍ بمقامهم ومنزلتهم، سواء ذلك في محضرهم أو غيابهم.

يحدثنا التَّأريخ عن حسن التَّعامل معهم من قبل بعض الأصحاب، وكذلك يحدّثنا في المقابل بالتّعامل غير الحسن من قبل بعضهم، الكاشف عن عدم احترام وتأدّب، فمن النّماذج السّيّئة ذاك الشّقيّ الّذي يخاطب الأمير عليه السلام: كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟![(١)]، أو ذاك الأحمق الّذي سأل الإمام الباقر عليه السلام: فيسرّك أنّ نساءك فعلْنَ ذلك -المتعة-؟[(٢)].

ونحن كلامنا في مسألة زواج السّيّدة المعصومة روحي فداها، فينبغي أن نقف وقفة

(١) بحار الأنوار، للمجلسّي، ج٤٤، ص٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٤٦، ص٣٥٦.

إجلال وإعظام لها والتّأدّب في محضرها، واختيار الكلمات المنتقاة، ونلحظ كل ذلك عند الجواب عن سؤال البحث.

سؤال البحث: زواج السيّدة المعصومة عليها السلام

مع حثِّ الرِّوايات على الزَّواج وراجحيَّته واستحبابه، وما للمتزوِّج من ثوابٍ عظيمٍ ويضاعف الثَّواب له في صلاته، إلّا أنَّه نجد أنَّ مثل السِّيَّدة المعصومة عليها السلام لم نسمع أنّها تزوّجت، فهل أنّها مستثناة من الرّوايات؟ أم أنَّ الرّواياتِ ليست مطلقةً؟ أم ماذا؟

توجد عدّة إجابات وآراء حول هذه المسألة، منها:

الرَّأي الأوّل: لم تتزوج بسبب الضروف الماديّة الصعبة

فهي لم تتزوَّج بسبب الظّروف الماديّة الصّعبة والضّائقة الماليّة، الّتي كانت تعيشها مع أبيها الإمام الكاظم عليه السلام؛ اعتماداً على بعض النُّصوص، من قبيل ما دار بين الإمام الكاظم عليه السلام وهارون الرّشيد عليه لعائن الله في المدينة من حديث، فقال هارون للإمام: .. يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟ فقال: «**يزيدون على الخمسمائة**» قال: أولاد كلّهم؟ قال: «**لا، أكثرهم موالي وحشم: أمّا الولد فلي نيف وثلاثون: والذّكران منهم كذا والنُّسوان منهم كذا**»، قال: فلمَ لا تُزوِّج النُّسوان من بني عمومتهنّ وأكفائهنّ؟ قال: «**اليد تقصر عن ذلك**» قال: فما حال الضّيعة؟ قال: «**تُعطى في وقت وتمنع في آخر**»، قال: فهل عليك دَين؟ قال: «**نعم**»، قال: كم؟ قال: «**نحو عشرة آلاف دينار**»، فقال الرّشيد: يا بن العم أنا أعطيك من المال، ما تُزوِّج الذُّكران والنّسوان، وتقضي الدَين وتعمر الضّياع..[1].

فيُفهم من هذه الرّواية ما كان يمرّ به الإمام من ضائقة، ولذا لم تتزوّج السّيّدة المعصومة.

---

(١) عيون أخبار الرّضا، للشّيخ الصّدوق، ج٢، ص٨٥.

وفيه:

أوّلاً: لو سلّمنا أنَّ المعصوم يمرّ بما ذكر من ضائقة ماليّة، إلّا أنّه في أمر كالزّواج لا نحتمل أن يرى المعصوم بعض المؤمنين يريد الزّواج ولا يعينه، فضلاً عمّا إذا كان من أهل بيته، كيف وقد حثّونا كما في بعض الرّوايات على الإنفاق على العيال ومساعدتهم، فهل يُعقل منهم مساعدة النّاس وعدم مساعدتهم لأهل بيتهم؟!

ثانياً: هناك شواهد تاريخية على أنَّ الإمام لم يكن في ضائقة ماليّة محتاجاً إلى المال؛ لكيلا يستطيع تزويج بناته.

منها: رَوَى أَبُو الْفَرَجِ فِي مُقَاتِلِ الطَّالِبِينَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: " **كَانَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍعليه السلام إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ مَا يَكْرَهُ بَعَثَ إِلَيْهِ بِصُرَّةِ دَنَانِيرَ، وَكَانَتْ صراره [صُرَرُهُ] مَا بَيْنَ الثَّلَاثِمِائَةِ إِلَى المائتين [الْمِائَتَيْ] دِينَارٍ فَكَانَتْ صرار [صُرَرُ] مُوسَى مَثَلاً**". (١)

ومنها: ما رُوي عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: جَاءَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وقَدِ اعْتَمَرْنَا عُمْرَةَ رَجَبٍ ونَحْنُ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ: يَا عَمِّ، إِنِّي أُرِيدُ بَغْدَادَ، وقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُوَدِّعَ عَمِّي أَبَا الْحَسَنِ -يَعْنِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍعليه السلام-، وأَحْبَبْتُ أَنْ تَذْهَبَ مَعِي إِلَيْهِ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ نَحْوَ أَخِي وهُوَ فِي دَارِهِ الَّتِي بِالْحَوْبَةِ، وذَلِكَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بِقَلِيلٍ، فَضَرَبْتُ الْبَابَ، فَأَجَابَنِي أَخِي فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا**»، فَقُلْتُ: عَلِيٌّ، فَقَالَ: «**هُوَ ذَا أَخْرُجُ**»، وكَانَ بَطِيءَ الْوُضُوءِ، فَقُلْتُ: الْعَجَلَ، قَالَ: «**وأَعْجَلُ**»، فَخَرَجَ وعَلَيْهِ إِزَارٌ مُمَشَّقٌ قَدْ عَقَدَهُ فِي عُنُقِهِ، حَتَّى قَعَدَ تَحْتَ عَتَبَةِ الْبَابِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ: فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، وقُلْتُ: قَدْ جِئْتُكَ فِي أَمْرٍ إِنْ تَرَهُ صَوَاباً فَاللَّهُ وَفَّقَ لَهُ، وإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَمَا أَكْثَرَ مَا نُخْطِئُ، قَالَ: «**ومَا هُوَ؟**»، قُلْتُ: هَذَا ابْنُ أَخِيكَ يُرِيدُ أَنْ يُوَدِّعَكَ ويَخْرُجَ إِلَى بَغْدَادَ، فَقَالَ لِيَ: «**ادْعُهُ**»، فَدَعَوْتُهُ، وكَانَ مُتَنَحِّياً، فَدَنَا مِنْهُ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَوْصِنِي، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي دَمِي**»،

(١) بحار الأنوار (ط – بيروت)، المجلسي، ج٤٨، ص١٠٤

فَقَالَ مُجِيباً لَهُ: مَنْ أَرَادَكَ بِسُوءٍ فَعَلَ اللهُ بِهِ، وجَعَلَ يَدْعُو عَلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِسُوءٍ، ثُمَّ عَادَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا عَمِّ أَوْصِنِي، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي دَمِي**»، فَقَالَ: مَنْ أَرَادَكَ بِسُوءٍ فَعَلَ اللهُ بِهِ وفَعَلَ، ثُمَّ عَادَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَمِّ، أَوْصِنِي، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي دَمِي**»، فَدَعَا عَلَى مَنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ ومَضَيْتُ مَعَهُ، فَقَالَ لِي أَخِي: «**يَا عَلِيُّ، مَكَانَكَ**»، فَقُمْتُ مَكَانِي فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، ثُمَّ دَعَانِي فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَتَنَاوَلَ صُرَّةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ فَأَعْطَانِيهَا، وقَالَ: «**قُلْ لِابْنِ أَخِيكَ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى سَفَرِهِ**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَأَخَذْتُهَا فَأَدْرَجْتُهَا فِي حَاشِيَةِ رِدَائِي، ثُمَّ نَاوَلَنِي مِائَةً أُخْرَى وقَالَ: «**أَعْطِهِ أَيْضاً**»، ثُمَّ نَاوَلَنِي صُرَّةً أُخْرَى، وقَالَ: «**أَعْطِهِ أَيْضاً**»، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِذَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ مِثْلَ الَّذِي ذَكَرْتَ فَلِمَ تُعِينُهُ عَلَى نَفْسِكَ، فَقَالَ: «**إِذَا وَصَلْتُهُ وقَطَعَنِي قَطَعَ اللهُ أَجَلَهُ**»، ثُمَّ تَنَاوَلَ مِخَدَّةَ أَدَمٍ فِيهَا ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَضَحٍ وقَالَ: «**أَعْطِهِ هَذِهِ أَيْضاً**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَأَعْطَيْتُهُ الْمِائَةَ الْأُولَى فَفَرِحَ بِهَا فَرَحاً شَدِيداً ودَعَا لِعَمِّهِ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ الثَّانِيَةَ والثَّالِثَةَ فَفَرِحَ بِهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَرْجِعُ ولَا يَخْرُجُ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ الثَّلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ فَمَضَى عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَتَيْنِ حَتَّى رَأَيْتُ عَمِّي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَأَرْسَلَ هَارُونُ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَرَمَاهُ اللهُ بِالذُّبَحَةِ فَمَا نَظَرَ مِنْهَا إِلَى دِرْهَمٍ ولَا مَسَّهُ(١).

ومنها: ما في كشف الغمّة في ذكر مناقب الإمام الكاظم عليه السلام: "**.. وكَانَ أَوْصَلَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ ورَحِمِهِ وكَانَ يَتَفَقَّدُ فُقَرَاءَ الْمَدِينَةِ فِي اللَّيْلِ فَيَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الْعَيْنَ والْوَرِقَ والدَّقِيقَ والتَّمْرَ فَيُوصِلُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ ولَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ هُوَ**"(٢).

يتبيّن من هذه الشّواهد عدم تماميّة هذا الرّأي، وأنّه لم يكن الإمام الكاظم عليه السلام في ضائقة ماليّة بحيث جعلته لا يستطيع تزويج السّيّدة المعصومة -كما ذكر صاحب هذا

(١) الكافي (ط – الإسلاميّة)، الكلينيّ، ج١، ص٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة (ط – القديمة)،بهاء الدين الإربلي، ج٢، ص: ٢٢٨.

الرّأي-، بل الشّواهد على خلاف ذلك وأنّ الإمام هو الّذي يعطي ويُعين الآخرين.

الرَّأي الثَّاني: وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام بعدم زواج بناته

وذلك استناداً لما نُقل: "**وأوصى موسى بن جعفر عليه السلام ألّا تتزوّج بناته، فلم تتزوّج واحدة منهنّ إلّا أم سلمة، فإنّها تزوّجت بمصر، تزوّجها القاسم بن محمّد بن جعفر بن محمّد، فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد، حتّى حلف أنّه ما كشف لها كنفاً، وأنّه ما أراد إلّا أن يحجّ بها**"(١).

فإذا كان كذلك فقد عملت السّيّدة المعصومة بوصيّة أبيها ولم تتزوّج.

وفيه:

أوّلاً: مناقشة سنديّة؛ فما ينقله اليعقوبيّ ليس بحجّة؛ إذ إنَّ في تاريخه الغثّ والسّمين؛ لأنَّه يروي عن المتّهمين بالكذب مثل: وهب بن وهب أكذب البريّة، وهو قاضي المدينة المُولّى من قبل الرّشيد، بل قد روى عمّن لم يدركهم، ولا يبالي عمّن روى وكيف روى، فلا يُطمأن بما ينقله، خصوصاً إذا انفرد به وكان ما انفرد به أمراً عقديّاً.

ثانياً: لا نسلّم أنّه أوصى بناته بعدم الزّواج وهو الإمام المفترض الطّاعة، ومحطّ أنظار الشّيعة وقدوتهم، وبالتّالي قد يتصوّر كثير من النّاس أنَّ ما فعله دليل على عدم راجحيّة النّكاح، والقول -بأنَّ فعله أعمّ من كونه دالًّا على عدم المرجوحيّة فهو دقّة عقليّة وفهم غير عرفيّ- لا يُصغى إليه.

ثالثاً: هو معارض بما رواه الكلينيّ في الكافي الشّريف عن الإمام الكاظم عليه السلام في وصيّته: «**... وإِنِّي قَدْ أَوْصَيْتُ إِلَى عَلِيٍّ... وإِنْ أَرَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ -أولاد الإمام الكاظم عليه السلام- أَنْ يُزَوِّجَ أُخْتَهُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ-الإمام الرّضا عليه السلام وأَمْرِهِ**

(١) تاريخ اليعقوبي، أبو العبّاس اليعقوبي، ج٢، ص٤١٤.

فَإِنَّهُ أَعْرَفُ بِمَنَاكِحِ قَوْمِه...». [١]

وبما في عيون أخبار الرّضا من وصية الإمام الكاظم عليه السلام؛ فقد جاء ما مضمونه: أنّه من تتزوّج من بناته فليس لها حظّ من صدقة كان قد جعلها للمساكين من ولده، فإن عادت بغير زوج فإنّها تأخذ من تلك الصّدقة أيضاً[٢].

رابعاً: يمكن أن يقال -بعد التّسليم بما ذكره اليعقوبيّ-: إنّ الوصيّة بعدم الزّواج مطلقة، ورواية الكافي خصّصتها بالإمام الرّضا عليه السلام فيمكن الجمع بينهما.

أو يقال - كما ذكره بعض العلماء-: بأنّ السّبب في وصيّة الإمام هو أن يتأكّد من تزويجهنّ بالأكفأ؛ فتزويجهنّ بغير الأكفأ قد يترتّب عليه مفاسد خطيرة.

الرّأي الثّالث: الظروف والأوضاع السياسيّة

والّتي كان يعيشها أهل البيت عليهم السلام آنذاك، خصوصاً زمان الإمام الكاظم عليه السلام، وما كان يعيشه من اضطهاد ومضايقة، **"حيث إنَّ الخوف والحصار الّذي أثارته سلطة هارون كان نوعاً من التّضييق؛ فلم يكن لأيِّ شخص الاتّصال بتلك الأسرة أو الدّخول إلّا متستّراً ومتنكّراً، كيف والحال هذه أن تكون لديهم الجرأة على خُطبة بنات الكاظم عليه السلام ومصاهرته؟!؛ لأنَّ من يقدم على ذلك سيعرّض نفسه للمضايقات وغضب السّلطة في ظلِّ حكم الطّاغوت"**[٣].

وفيه:

أوّلاً: يلزم منه أنَّ كثيراً من أبناء المعصومين والصّلحاء لا يتزوّجون؛ إذ إنَّ هذا الاحتمال موجود في أغلب مراحل حياتهم كما نشاهده بالوجدان.

---

(١) الكافي (ط - الإسلاميّة)، الكلينيّ، ج١، ص٣١٦، ٣١٧.

(٢) عيون أخبار الرّضا، ج١، ص٣٧.

(٣) حياة كريمة أهل البيت (بالفارسي)، لمحمّد مهدي اشتهاري، ص١٥٤.

ثانياً: لو سلّم، فإنَّه يتمُّ في فترة حياة الإمام الكاظم عليه السلام، وأمَّا بعد استشهاد الكاظم عليه السلام فإنَّ التَّاريخ يحدِّثنا بأنَّ العبّاسيِّين كانوا في صراع على الحكم، ولذا أظهر الإمام الرِّضا عليه السلام إمامته علانيّة، وهو ما كان يخفيه الإمام الكاظم عليه السلام، كما في الرّواية الّتي ينقلها الشّيخ المفيد في إرشاده: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: لَمَّا مَضَى أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وتَكَلَّمَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، خِفْنَا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ قَدْ أَظْهَرْتَ أَمْراً عَظِيماً، وإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ هَذَا الطَّاغِيَةَ، فَقَالَ: «**لِيَجْهَدْ جَهْدَهُ فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيَّ**»(١).

الرَّأي الرَّابع: عدم الكفؤ

فالمكانة السَّامية الرَّفيعة الّتي تتمتَّع بها السّيّدة الجليلة فرضت عدم وجود زوج يكون كفواً لها، "**إنَّ بنات الكاظم عليه السلام، وخاصّة السّيّدة المعصومة عليها السلام في مستوى الكمال؛ حيث لا يتوفَّر من هو كفؤ؛ ليكون زوجاً لها، وقد أوصى الإمام الكاظم عليه السلام، بأنَّ الزّواج بيد الإمام الرّضا عليه السلام وقبوله في حال أردن الزّواج، كما وتدلُّ الوصية دلالة أخرى، بأنَّه يجب توفُّر الزَّوج المناسب والكفؤ لهنَّ، حيث قال الإمام الصّادق عليه السلام فيما يخصُّ الزَّهراء عليها السلام: «لولا أنَّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين، لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه»**(٢)"(٣).

وفيه: إنَّ السّيّدة الجليلة وإن كان لا كفو لها بمستواها من الكمال في ذلك الزّمان بلا شكٍّ ولا ريب، إلّا أنَّه لا يلزم أنّها لا تتزوّج، وإلّا فالإشكال جارٍ في معظم المعصومين، فلا يتزوجون بسبب عدم الكفؤ، فلا دليل على أنّها لم تتزوَّج بسبب عدم الكفؤ، بل الدليل

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشّيخ المفيد، ج٢، ص٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣، ص١٠٧.

(٣) انوار براكنده(فارسي)، لمحمّد مهدي فقيه محمّدي جلالّي، ج١،ص١٤٤.

قائم على حصول الزواج من غير الكفؤ؛ فنحن نرى بعض المعصومين قد تزوّجوا بمن هو ليس بكفؤ لهم، مع قطع النَّظر عن مسألة ملاك المصالح والمفاسد في زواجهم، فأربع من نساء الأنبياء واثنتان من أزواج الأئمَّة -كما يحدّثنا التّاريخ- خير شاهد على ذلك.

الرَّأي الخامس: قصر حياتها عليها السلام

ولأنَّها عالمة بذلك فلم تتزوّج، "**إنّها وأباها وأخاها يعلمون أنّ عمرها قصير، وهذا الأمر لم يرغّبها في الزّواج**"[1].

وفيه:

أوّلاً: علمها وعلم أبيها وأخيها عليهم السلام لا يمنعها من الزّواج، ولا يلازم خلق حالة عدم الرّغبة عندها، وإلّا كان على المعصومين الّذين يعلمون بقصر حياتهم ألّا يرغبوا في الطّاعات؛ وذلك لأنَّ الزّواج من المستحبّات الأكيدة، ومصداق واضح من مصاديق الطّاعات، فإذا قلنا بأنَّ السّيّدة الجليلة لأجل علمها بقصر عمرها لم ترغب في هذا المستحبّ الأكيد والطّاعة، يلزم منه أن يكون المعصومون كذلك، واللازم باطل؛ وذلك لأنَّ بعض المعصومين رغم علمهم بقصر حياتهم، إلّا أنَّ ذلك لم يثنهم عن فعل الطّاعات والتّقرّب من الله تعالى.

فالملزوم -وهو أنَّ السّيّدة لم ترغب في الزّواج لعلمها بقصر عمرها- مثل اللازم في البطلان.

ثانياً: لا يوجد دليل ونصٌّ على أنَّها لم تتزوَّج بسبب علمها بقرب أجلها، بل توجد بعض الشّواهد في حياة بعض المعصومين تدلُّ على خلاف ذلك؛ فإنَّ السّيّدة الزّهراء عليها السلام تزوّجت مبكراً، مع علمها بوقت استشهادها، ومع ذلك لم يمنعها من الزّواج، ومقامنا أولى؛ حيث إنَّ السّيّدة الجليلة -على بعض النّقولات- توفيت في عمر الثّامنة والعشرين،

(١) نفحات من حياة السّيّدة المعصومة عليها السلام، المرزوق، ص٥٤.

والسّيّدة الزهراء عليها السلام -على القول المعروف- كان عمرها ثمانية عشر عاماً يوم استشهادها.

ثالثاً: أهل بيت العصمة والطّهارة لا يحرّكهم إلّا رضا الله وغضبه، لا الأهواء النّفسيّة والرّغبات، فما يرون لله فيه رضا وخالف رغبتهم أقدموا عليه ولا تأخذهم في الله لومة لائم، وما رأوا فيه غضب الله وكانت النّفس الإنسانيّة ترغب فيه اجتنبوه وابتعدوا عنه.

الرّأي السّادس: الظروف السيّئة التي عاشها العلويّون آنذاك

ألقت الظروف آنذاك بظلالها على حياة السّيّدة الجليلة، فعانت ما عانت من الويلات والمصائب مع أهلها، من تقتيل وتشريد وسجن وإقصاء وتنكيل، فكانوا يتخفّون عن أنظار النّاس ويخفون نسبهم؛ حذراً من استهدافهم من قبل أجهزة السّلطة العبّاسيّة آنذاك، فكانوا في تقيّة شديدة بحيث لا يظهرون عقيدتهم، وهذا ما دعاها لأن تعزف عن الزّواج. هذا القول لأحد الباحثين قال: "... **لما شاهدته ورأته من أهوال وكروب جرت على أبيها وبني عمومتها من قتل وتشريد وسجن، كلّ هذا جعلها تعزف عن التّفكير في الزّواج**"(١).

وفيه:

أوّلاً: الظّروف السّيّئة والمحاربة والتّضييق والتّشريد أصبح أشبه بالأصل، والغالب في سيرة المعصومين والمصلحين والشّيعة، فهل قلَّ الأمر على العلويّين والشّيعة في زمن الخلفاء؟ أم في دولة بني أميّة؟ أم بني مروان؟ أم بني العبّاس؟ أم الدولة العثمانيّة؟ أم الدّول الظّالمة الآن؟

فما ذكر من مانع لا يعتبر مانعاً عن زواج السّيّدة الجليلة.

ثانياً: لا يوجد دليل على هذا التّحليل المذكور، بل يوجد ما هو مخالف لما ذكر، فما جرى في كربلاء من مأساة هل هناك فاجعة أعظم منها؟ فهل منعت نساء بني هاشم من

(١) نفس المصدر.

الزّواج؟ كلّا، لم يمنعهم ذلك.

الرأي المختار:

بعد اتّضاح المقدِّمات السّابقة وعدم تماميّة الآراء السّتّة في الاستدلال على عدم زواجها عليها السلام، يمكن القول بأنّها تزوّجت، ولكن لم ينقل التّاريخ ذلك، فليس كلُّ شيءٍ نقله لنا التّاريخ، ولعلَّ ما تعرّض له العلويّون من التّضييق وغيره -الّذي جعله بعضهم مانعاً من زواجها-، يمكن أن يكون المانع من إظهار زواجها، لا أنّه منعها من الزّواج، وقاعدة لو كان لبان لا تأتي هنا؛ لأنَّه من الواضح عدم وصول كلّ الأحداث التّاريخية بل الواصل منها ربّما -بل محتمل جدّاً- دخلت فيه أيادي الجور والعدوان من أعداء أهل البيت عليهم السلام، فمسألة زواجها وعدم وصول ذلك إلينا ليس ببعيد.

فلا داعي أن نتكلّف ونختلق أعذاراً لعدم زواجها، وأن ننسب إليها ما لا يناسب شأنها، من اتّباعها لرغبتها أو غير ذلك -والعياذ بالله-.

نعم، يمكن أن يقال: بأنَّه يحتمل عدم زواجها، فإنَّ ما ورد في أنَّ الزَّواج نصف الدّين وغيره..، قد يقال بأنه في غير أهل البيت عليهم السلام؛ فإنَّ الكامل في دينه لا يحتاج أن يكمل دينه، وأمَّا أنّها خالفت المستحبّ بذلك فليس معلوماً؛ إذ يمكن القول بأنَّ ملاك عدم الزّواج في ظرفها أعلى من ملاك الزّواج، ولو باحتمال حفظ الدّين والمذهب والشّيعة، لا أنَّه لعدم رغبتها الشّخصيّة -والعياذ بالله-؛ وذلك أنَّها من أهل بيتٍ رضا الله رضاهم وغضب الله غضبهم.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآلِه الطَّاهرين واللعن الدّائم على أعدائهم أجمعين.

نزول القرآن بين الدَّفعيّ والنُّجوميّ

الشَّيخ أحمد محمَّد الشَّيخ

الملخّص:

تعرَّض الكاتب في مقالته إلى مسألة نزول القرآن الكريم دفعياً وتدريجياً، حيث يدل على كل منهما طائفة من الآيات والرِّوايات، فذكر مبحثين تعرض في الأوّل إلى سبعة آراء تتضمن كيفيّة الجمع بين النزول الدفعيّ والتَّدريجيّ للقرآن الكريم، ثمَّ في المبحث الثاني ذكر ما يرد على تلك الآراء مع تقوية الرأي السابع، مع عدم استبعاد بعض الآراء الأخرى.

المقدِّمة

القرآن الكريم خاتمة الكتب السماويَّة، كتاب الله الذي أنزله على رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله، وهو لا شكَّ أشرف الكتب السماويَّة حيثُ أنَّه المعجزة الخالدة لأشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، فالبحثُ فيه وفي تفسيرِه وعلومه والوقوف على دقائق معانيه وما وراء ألفاظه بالتبع؛ لكونه أشرف الكتب، وبالنَّظر لكونه كلام الله تعالى يكون أشرف البحوث، ومن المباحث المهمَّة المرتبطة بعلوم القرآن، والتي تحضى على اهتمام الباحث في علوم القرآن مسألة نزول القرآن؛ من حيث ارتباطها من جهة بمسألة البعثة النبويَّة المباركة، ومن جهات أخرى بمسائل عديدة، وقد بُحثت هذه المسألة من جهات شتَّى، وهنا الكلام بالتَّحديد فيها من جهة كيفيَّة نزوله عليه صلى الله عليه وآله، ولقد بذل علماءُ التَّفسير وعلماء علوم القرآن قصارى جهدهم في الوصول إلى نتيجة فيها؛ فمنهم من ذهب إلى كون القرآن نزلَ أولاً دفعةً وثانياً تدريجاً في مدَّة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة، ومنهم من ذهب إلى كونِه نزلَ تدريجاً في مدَّة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة فقط، ومن هنا يتبيَّن أنَّ مدار البحث على كونه هل نزل تدريجاً فقط في مدَّة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة أم دفعة فقط أم كليهما؟! وعلى ماذا استند كلِّ قائل بقول منهم.

معنى النُّزول لغةً

نزل: النُّزول في الأصل هو انحطاط من علوٍ، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، حطَّ رحله فيه، وأنزله غيره، قال: ﴿**أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين**﴾ ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمَه ونقمه على الخلق وإعطاؤهم إيّاها، وذلك إمَّا بإنزال الشَّيء نفسه؛ كإنزال القرآن، وإمَّا بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس، ونحو ذلك[1].

الآيات

(١) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، مفردات القرآن،ص٤٨٨.

١. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٣٨).

٢. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢).

٣. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان: ٣).

٤. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)

٥. ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ (الإسراء: ١٠٦).

٦. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣).

الرِّوايات

من مصادرنا:

١. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمَّد بن القاسم، عن محمَّد بن سليمان عن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته، عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾، وإنَّما أنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: «**نزل القرآن جملةً واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمَّ نزلَ في طول عشرين سنة**»، ثمَّ قال: «**قال النَّبي صلى الله عليه وآله: نزلت صحف إبراهيم في أوَّل ليلةٍ من شهر رمضان، وأُنزلت التَّوراة لستٍّ مضين من شهر رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلةٍ خلت من شهر رمضان، وأُنزل الزَّبور لثمانِ عشرٍ خلون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ثلاثٍ وعشرين من شهر رمضان**»."(١)

٢. قال ابن عبَّاس: أنزل الله القرآن جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السَّماء الدنيا في ليلة القدر، ثمَّ كان ينزله جبريل عليه السلام على محمَّد صلى الله عليه وآله نجوماً، وكان من أوَّله إلى آخره

---

(١) الكليني، الشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٦٢٩.

ثلاث وعشرون سنة.»[١]

ومن مصادر العامّة:

١ . حدَّثنا ابن المثنّى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرِمة، عن ابن عبَّاس، قال: "**نزل القرآن كلُّه مرةً واحدةً في ليلة القدر في رمضان إلى السَّماء الدنيا، فكان اللهُ إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه**"[٢].

٢ . أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله: ﴿**إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ**﴾ قال: "**أنزل القرآن في ليلة القدر، ثمَّ نزل به جبريل على رسول الله** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **نجوماً بجواب كلام النَّاس.**"[٣]

٣ . قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ، قال: ثنا المعتمر بن سليمان التيميّ، قال: ثنا عمران أبو العوّام، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشَّعبيّ، أنَّه قال في قول الله: ﴿**إِنَّا أَنـزلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ قال: "**نزل أول القرآن في ليلة القدر**"[٤].

المبحث الأوّل: كيف نزل القرآن؟

اختلف المفسِّرون بين قائلٍ بنزول القرآن الكريم نجوماً (تدريجاً) فقط مدَّة عشرين أو ثلاثٍ وعشرين سنة، وآخر يقول أنَّه نزل دفعةً أوّلاً وبعدها تدريجاً مدَّة عشرين أو ثلاث وعشرين سنة، والكلام هنا فيه مسائل ثلاث لا بدَّ من التعرُّض لها ولو بشكلٍ مختصرٍ قبل الشُّروع في بيان أقوال العلماء والمفسِّرين في كيفيَّة نزوله.

المسألة الأولى: نزول القرآن ليلة القدر

(١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج١٠، ص٧٨٦.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٢، ص٦٥١.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تفسير الدر المنثور، ج٧، ص٣٩٨.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٢، ص ٦٥١.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

لقد صرَّحت الآيات كما هو واضح من الآيتين السَّابقتين، والرِّوايات بنزول القرآن الكريم في ليلة القدر أو شهر رمضان دون تعيين ليلةٍ أو وقتٍ، فلا يمكن إنكار هذه الحقيقة الواضحة المصرَّح بها في أكثر من مورد ولم ينكرها أحد، وإنَّما الكلام في الجمع بينها وبين ما يُعارض وسيأتي بيانه وتفصيله.

المسألة الثانية: النُّزول والبعثة

البعثة النَّبويَّة الشَّريفة والثابت كونها قد وقعت في السَّابع والعشرين من شهر رجب؛ كما ذكر العلّامة المجلسيّ "**وعلى الأخير اتفاق الإماميّة**"[١]، وفي الخبر عن الإمام أبي الحسن الرِّضا عليه السلام، قال: «**بعث الله عزّ وجلّ محمَّدا صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين في سبع وعشرين من رجب**»[٢].

والكلام في أنَّه قد ذهب كثير من العلماء للقول باقتران البعثة الشَّريفة بنزول شيءٍ من آيات القرآن الكريم ومن ذلك قال بعضهم: بأنَّ البعثة كانت في شهر رمضان، وفي المقابل ذهب غيرهم لعدم ثبوت هذا الإقتران، بل قالوا: إنَّ بدء نزول القرآن تأخَّر ثلاث سنواتٍ عن البعثة، ذكر الشَّيخ السبحاني: "**وحيث أنَّ النفس الإنسانيّة لا تستطيع في الوهلة الاولى تحمُّل مراتب (الوحيِّ) جميعها دفعةً واحدةً، بل لا بدَّ أن يتحملَّها تدريجاً، لهذا يجب القول بأنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله قد سمع يوم المبعث (اليوم السَّابع والعشرون من شهر رجب) النِّداء السماويّ الّذي يخبره بأنَّه رسول الله فقط، ولم تنزل في مثل هذا اليوم أيَّةُ آيةٍ قطُّ، وقد استمرَّ الأمر على هذا المنوال مدَّة من الزَّمان. ثمَّ بعد مدَّة بدأ نزول القرآن الكريم على نحو التَّدريج ابتداء من شهر رمضان**"[٣].

(١) المجلسي، الشيخ محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٨، ص١٩٠.
(٢) الكافي، الكليني، ج٤، ص١٤٩.
(٣) السبحاني، الشيخ جعفر، سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، ج١، ص٣٤٧.

واستندوا في القول على أخبار من طرقنا وطرق العامَّة نذكر بعضها:

١. "عن أبي عبد الله عليه السلام: «.. ثمَّ نزل في طول عشرين سنة..»[١]؛ حيث إنَّ هذه الرِّواية تستلزم حذف ثلاث سنين من أوَّل بعثته.

٢. قال أحمد: حدثنا محمَّد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبيّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلَّم نزلت عليه النبوَّة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوَّته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمُّه الكلمة والشَّيء، ولم ينزل القرآن، فلمَّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوَّته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنةٍ، عشراً بمكَّة وعشراً بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة."[٢].

فكيف يمكن التَّوفيق بين نزول القرآن في ليلة القدر الذي قد صُرِّح به في غير مورد من القرآن الكريم وبين هذا النُّزول الذي اقترن مع البعثة؟!

المسألة الثَّالثة: أسباب النُّزول

ومعناه العلَّة التي من أجلها أو في شأنها نزلت الآية، كما في الآية الشريفة ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(المجادلة:٢) فإنَّ الآية الشَّريفة كما هو واضح تتكلَّم عن موضوع تحقَّق واقعاً.

وفي معنى سبب النُّزول ذكر الشَّيخ محمَّد هادي معرفت: "إنْ كانت هناك مشكلةٌ حاضرة، سواءٌ أكانت حادثةً أبهم أمرها، أم مسألةٌ خفي وجه صوابها، أم واقعةٌ ضلَّ سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها وتضع حلّاً لمشكلتها، فتلك هي أسباب النُّزول، أي السَّبب الدَّاعي والعلَّة الموجبة لنزول قرآن بشأنها"[٣].

---

(١) الكليني، الشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٦٢٩.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج٣، ص ٧.

(٣) معرفة، الشيخ محمّد هادي، التمهيد، ج١، ص٢٥٤.

والملاحظ أنَّه بمجرَّد الالتفات لهذا المعنى وهو أسباب النُّزول أو شأن النُّزول والتَّصديق به وبوجوده كما هو ثابتٌ يثبت لدينا وجود نزول القرآن الكريم نجوماً أو تدريجاً؛ حيث أنَّه لا يمكن القول إنَّ الآيات لها مواضيع وقضايا نزلت في صددها ويكون القرآن كلُّه نزل في آنٍ واحد، خصوصاً أنَّ بعض الآيات نزلت في قضيةٍ تحتاج جواباً أو حلَّاً فوريّاً، غير أنَّه مع العلم بمسألة المكيّ والمدنيّ تكون القضيّة أكثر تجليّاً؛ حيث إنَّ الآيات نزلت في ظروفٍ مكانيّةٍ وزمانيّةٍ محدّدة، فكيف يمكننا معالجة هذه المشكلة بعد ما ثبت عندنا نزول القرآن في ليلة القدر أو شهر رمضان؛ حيث لا بدَّ من الجمع لثبوت نزوله ليلة القدر وثبوت نزوله في أزمنةٍ وأمكنةٍ متفرقة.

المبحث الثاني: الآراء في الجمع بين النّزول الدفعيّ والتدريجيّ

وهنا أورد العلماء سبعة آراءٍ في الجمع أو الجواب عن هذا المشكل..

الرَّأي الأوّل:

إنَّ القرآن الكريم لم ينزل في شهر رمضان ولم يبدأ نزوله فيه، وإنَّما نزل في شأنه؛ أي أنَّ القرآن الكريم نزل في شأن شهر رمضان، قالوا: أي في شأن فرض صومه ووجوبه(١) أو في فضله(٢).

"وعن الضَّحاك ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يقول: الذي أنزل صومه في القرآن"(٣).

الرَّأي الثَّاني:

نزول معظم القرآن الكريم في أشهر رمضان، ولم يُؤثَر هذا القول إلّا من بعضهم

(١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج٢، ص٤٩٧.

(٢) معرفة، الشيخ محمّد هادي، التمهيد، ج١، ص١١٥.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تفسير الدرّ المنثور، ج٢، ص٤٥٨.

احتمالاً، ذكر سيِّد قطب "**أو أنَّ معظمه نزل في أشهر رمضان**"(١).

الرَّأي الثَّالث:

هو أنَّ الله تعالى كان يُنزل على رسوله ﷺ بعضاً من آيات القرآن الكريم كلَّ ليلة قدرٍ؛ أي أنَّه في كلِّ ليلة قدر كان يَنزل على النَّبي ﷺ ما يحتاجونه طيلة تلك السَّنة، "**قيل: إنَّه كان ينزل إلى السَّماء الدُّنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السَّنة جملةً واحدةً، ثمَّ ينزل على مواقع النُّجوم إرسالاً في الشُّهور والأيام عن السَّدي يسنده إلى ابن عبّاس**"(٢) وذكر في الإتقان "**وهذا القول ذكره الإمام فخر الدِّين الرَّازي بحثاً، فقال: يحتمل أنَّه كان ينزل في كلِّ ليلة قدر ما يحتاج النَّاس إلى إنزاله إلى مثلها، من اللوح إلى السَّماء الدنيا**"(٣).

الرَّأي الرابع:

بدأ نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان وفي ليلة القدر، وبذلك يكون لفظ القرآن في الآية ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ دالاً على الجنس، فيكفي نزول أيَّ شيء منه لينطبق معنى القرآن عليه(٤)، وعلى هذا القول كثير من العلماء؛ حيث أنَّ كلَّ حدث مهمٍّ يكون مبدؤه هو محطُّ أنظار المؤرخين من حيث أهميّته في هذا الحدث الخطير، وممَّن ذهب لهذا القول من المعاصرين العلّامة الشيخ محمَّد هادي معرفت، فذكر في التمهيد: "**وهو الذي نرتئيه؛ نظراً لأنَّ كلَّ حادث خطير، إذا كانت له مدّة وامتداد زمنيّ، فإنَّ بدء شروعه هو الذي يسجَّل تاريخيّاً، كما إذا سئل عن تاريخ دولة أو مؤسَّسة أو تشكيل حزبيّ، أو إذا سئل عن تاريخ دراسة طالب علم أو تلبّسه الخاصّ وأمثال ذلك، فإنَّ الجواب**

(١) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ج١، ص ١٧١.

(٢) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج٢، ص٤٩٧.

(٣) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن ج ١، ص١٥٦.

(٤) ابن شهرآشوب، رشيد الدين محمّد بن على، متشابهات القرآن، ج١، ص٦٣.

هو تعيين مبدأ الشروع أو التأسيس لا غير"(١)، وممَّن ذهب لهذا القول أيضاً الزَّمخشريّ(٢) واحتمله الرازيّ، ونقل الأخير عن الشَّعبيّ قوله: **"ابتداءً بإنزاله ليلة القدر؛ لأنَّ البعث كان في رمضان"**(٣).

الرَّأي الخامس:

هو أنَّ للقرآن الكريم نزولان الأوَّل دفعيٌّ في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة أو البيت المعمور، والثَّاني نجوميٌّ (تدريجيٌ) طيلة عشرين أو ثلاث وعشرين سنة بحسب المواضيع وأسباب النزول التي قد تمَّ التعرُّض لبيانها من بيت العزَّة أو السَّماء الدُّنيا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، وذلك استناداً على روايات من طرقنا وطرق العامَّة نذكر منها:

١. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمَّد بن القاسم، عن محمَّد بن سليمان عن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألته، عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ وإنَّما أُنزل في عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال أبو عبدال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«نزل القرآن جملةً واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمَّ نزل في طول عشرين سنة»**، ثمَّ قال: **«قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين من شهر رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلةٍ خلت من شهر رمضان، وأُنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان»**(٤).

٢. قال ابن عبّاس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا

---

(١) معرفة، الشيخ محمّد هادي، التمهيد، ج١، ص١١٣.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف، ج١، ص٣٣٦.

(٣) الرازي، أبو الفتوح، تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٢٧.

(٤) الكليني، الشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٦٢٩.

في ليلة القدر ثمَّ كان ينزله جبريل عليه السلام على محمَّد صلى الله عليه وآله نجوماً وكان من أوّله إلى آخره ثلاث وعشرون سنة."[١]

٣. أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله: ﴿إِنَّا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ قال:" أنزل القرآن في ليلة القدر ثمَّ نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله نجوماً بجواب كلام الناس."[٢]

٤. حدّثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرِمة، عن ابن عبّاس، قال: "**نزل القرآن كلُّه مرة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه**".[٣]

وذهب لهذا القول كثيرٌ، منهم جلال الدِّين السيوطيّ، قال في الإتقان: "**أحدها: وهو الأصحُّ الأشهر: أنَّه نزل إلى سماء الدُّنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثمَّ نزل بعد ذلك منجَّما في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين؛ على حسب الخلاف في مدّة إقامته صلى الله عليه وآله بمكّة بعد البعثة**"[٤]. والزركشّي حيث ذكر في البرهان: "**والقول الأوّل أشهر وأصحُّ، وإليه ذهب الأكثرون**"[٥]، وهذا الرَّأي هو ما عناه بالقول الأوَّل.

الرَّأي السَّادس:

وهو لا يختلف كثيراً عن سابقه إلّا أنَّه فيه تنجيمين أي تدريجين، الأوَّل من الحفظة على جبرئيل والثَّاني من جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ما حكاه الماورديّ كما ذكر جلال الدِّين، نقلاً عن ابن حجر: "**قال: وقد حكى الماورديّ قولاً رابعاً: أنَّه نزل من اللَّوح المحفوظ جملة واحدة، وأنَّ الحفظة نجَّمته على جبريل في عشرين ليلة، وأنَّ جبريل نجَّمه**

(١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج١٠،ص٧٨٦.
(٢) السيوطي، جلال الدين، تفسير الدر المنثور،ج٧، ص٣٩٨.
(٣) الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٢، ص٦٥١.
(٤) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص ١٥٦.
(٥) الزركشي، محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٢١.

على النَّبي ﷺ في عشرين سنة"(١)، ويؤيِّده هذا الخبر المرويُّ عن ابن عبّاس " **أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضّحاك، عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن جملة واحدة من عند الله، من اللّوح المحفوظ إلى السّفرة الكرام الكاتبين في السّماء الدنيا، فنجّمته السّفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجّمه جبريل على النبي ﷺ عشرين سنة"**(٢).

الرَّأي السَّابع:

هو أنَّ للقرآن الكريم نزولين كذلك؛ دفعيٌّ ليلة القدر وتدريجيٌّ طيلة عشرين سنة، ولكنَّ النزول الدفعيّ على هذا القول على قلب رسول الله ﷺ لا السَّماء الدُّنيا، فمن قال بهذا القول فهم من الرِّوايات أنَّ البيت المعمور هو قلب النَّبيّ ﷺ، وهذا القول مستلزم لكون القرآن له وجودين؛ الأوّل بسيط، وهو كما عبَّروا عنه حقيقة القرآن أو تأويل القرآن(٣)، والثَّاني هذا الذي بين أيدينا؛ حيث لا يمكن القول بأنَّه نزل في ليلة وهو نفس هذا الذي بين أيدينا لما تعرَّضنا لها سابقاً من مسألة أسباب النزول، واستدلَّ من قال بهذا القول بأمور نذكرها على نحو الإيجاز.

أوّلاً: إنَّ الآيات الدالَّة على النُّزول الأوَّل (الدفعيّ) عبَّرت بلفظ الإنزال لا التّنزيل ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ (البقرة: ١٨٥) والآيات التي دلَّت على التنزيل عبَّرت بلفظ التّنزيل لا الإنزال. ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**﴾ (الإسراء: ١٠٦) (٤)، ومن اللُّغويّين مَن صرَّح بأنَّ لفظ التَّنزيل دالٌّ على التدريج أو أنَّ الإنزال أعمُّ، فذكر الراغب الأصفهانيّ: "**والفرق بين الإنزال والتّنزيل في وصف القرآن والملائكة أنَّ التّنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرّقاً ومرة بعد أخرى، والإنزال**

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٥٨.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن ج١،ص١٥٩.

(٣) الطباطبائي، السيد محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢،ص١٩.

(٤) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج١٦، ص١٢٠.

عام"[١].

ثانياً: إنَّ بعض الآيات دلَّت على أنَّ آيات الكتاب معلومة سابقاً لدى النَّبيّ صلى الله عليه وآله وفي قلبه

﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ (القيامة الآية ١٦/ ١٧) فإنَّ الذي يتَّضح من الآية أنَّه كان على علمٍ به[٢]، فكيف يكون على علمٍ به ولم يُنزَّل عليه بعدُ؟!

ثالثاً: إنَّ الواضح من بعض الآيات أنَّ للقرآن الكريم وجود ثانٍ محكم أو تأويل هذا الذي بين أيدينا، وإنَّما هذا الذي بين أيدينا تفصيل لذلك المجمل الذي في اللوح المحفوظ، ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾ (الأعراف: ٥٢-٥٣).

ذكر السيِّد العلّامة الطباطبائيّ رحمه الله: "**فإنَّ الآيات الشَّريفة وخاصَّة ما في سورة يونس ظاهرة الدِّلالة على أنَّ التَّفصيل أمر طارٍ على الكتاب، فنفس الكتاب شيء والتَّفصيل الذي يعرضه شيء آخر، وأنَّهم إنَّما كذّبوا بالتَّفصيل من الكتاب لكونهم ناسين لشئ يؤول إليه هذا التفصيل وغافلين عنه، وسيظهر لهم يوم القيامة ويضطرون إلى علمه، فلا ينفعهم النَّدم ولات حين مناص، وفيها إشعار بأنَّ أصل الكتاب تأويل تفصيل الكتاب**"[٣].

وهذا الرَّأي هو ما ذهب له الفيض الكاشانيّ والسيّد الطباطبائيّ وغيرهما من علماء

(١) الراغب الأصفهاني، أبى القاسم الحسين بن محمد، مفردات القرآن، ص ٤٨٨.

(٢) الطباطبائي، السيد محمّد حسين، تفسير الميزان، ج ٢، ص١٩.

(٣) الطباطبائي، السيد محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢، ص ١٧.

التفسير..

ذكر الفيض الكاشانيّ رحمه الله: "**والمستفاد من مجموع هذه الأخبار، وخبر الياس الذي أورده في الكافي في باب شأن ﴿إِنَّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وتفسيرها من كتاب الحجّة أنَّ القرآن نزل كلُّه جملة واحدة في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور، وكأنَّه أريد به نزول معناه على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، كما قال الله ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾، ثمَّ نزل في طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلَّما آتاه جبرئيل عليه السلام بالوحيِ وقرأه عليه بألفاظه، وأنَّ معنى إنزال القرآن في ليلة القدر في كلِّ سنة إلى صاحب الوقت إنزال بيانه بتفصيل مجمله، وتأويل متشابهه، وتقييد مطلقه، وتفريق محكمه من متشابهه**"[1].

المبحث الثاني: مناقشة الآراء

مناقشة الرَّأي الأوّل:

وهو كما ذكرنا أنَّ القرآن الكريم لم ينزل في شهر رمضان وإنّما نزل في شأنه؛ أي أنَّ القرآن الكريم نزل في شأن وجوب صوم شهر رمضان أو فضله، ويرد على هذا القول:

أوّلاً: إنَّه مفتقر للدَّليل فلا يمكن القول به، بل هو مجرَّد ضرب من تأويل اللّفظ.

ثانياً: إنَّنا لو قلنا به وأوَّلنا اللفظ فسيكون في خصوص آية سورة البقرة، وأمَّا غيرها فلا يمكن القول كذلك فماذا يكون التوجيه في غيرها؟!

إذاً لا يمكن الأخذ بهذا القول لما ظهر أنَّه لايعدو كونه تأويلاً وتكلُّفاً في اللفظ.

مناقشة الرَّأي الثَّاني:

وهو أنَّ القرآن الكريم نزل معظمه في أشهر رمضان، فهو كذلك يرد عليه أنَّه بلا

(١) الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، ج ١، ص ٦٥.

دليل أو مستند أو حتى مؤيِّد، ولعلَّ الواقعيَّة تأباه كما عبَّر في التمهيد[١] فلا يمكن القول به بتاتاً.

مناقشة الرَّأي الثالث:

هو أنَّ الله تعالى كان يُنزل على رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه بعضاً من آيات القرآن كلَّ ليلة قدر أي أنَّه في كلِّ ليلة قدر كان يَنزل على النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه ما يحتاجونه طيلة تلك السنة، ويرد على هذا القول.

أوّلاً: إنَّه كسابقَيه محتاجٌ لدليل فلا يمكن الأخذ به بلا دليل يؤيده.

ثانياً: إنَّه مع الالتفات لمسألة أسباب النُّزول لا يمكن تعقُّل هذا الكلام؛ إذ أنَّ الواضح من الآيات أنَّها نزلت في ظروفٍ خاصّة ولمعالجة مواضيع متحقّقة أو ستحقّق خصوصاً أنَّ بعضها يحتاج جواباً فوريّاً فكيف يكون النزول لما يحتاجونه في تلك السنة؟!

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات: ٦) فبملاحظة هذه الآية وقرائنها الكثيرة يتَّضح أنَّ الآيات نزلت في ظروف خاصة ولمعالجة قضايا تحتاج علاجاً فوريّاً، اذاً هذا القول كذلك باطل لا يمكن القول به.

مناقشة الرَّأي الرابع:

هو أنَّ بدأ نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان وفي ليلة القدر، على أنَّ كل حدث خطير يكون مبدؤه هو المهمّ تاريخيّاً، وهذا القول يستلزم كما مرَّ أن يكون لفظ القرآن في الآية دالّاً على الجنس. والمُشكل هنا..

أوّلاً: إنَّه لا يمكن نفي هذه الحقيقة؛ وهي أنَّ كلَّ حدث خطير يكون مبدؤه هو الأهمّ

---

(١) معرفة، الشيخ محمّد هادي، التمهيد، ج١، ص١١٥.

تاريخيّاً غالباً، ولكن من أين لنا أن نُجري هذا الذي ثبت عادةً وغالباً في هذا المورد، فالقول إنَّه ليس لنا بمجرد ثبوته غالباً أن نثبته في كلِّ حدث ومورد، فلا بدَّ من دليل على جريانه في هذا المورد وإلّا فلا يمكننا القول به.

ثانياً: إنَّه مستلزم لحرفه عن الظاهر، فالظاهر من اللفظ أنَّ المقصود هو كل القرآن لا بعضه أو أحد أجزائه وهو وارد في كثير من الكلام، ولكن من أين فُهم هذا لا ذاك؟! فهو محتاج أيضاً لدليل أو قرينة تدلُّ على إرادة الجنس بالقرآن، وبدون القرينة أو الدَّليل لا يمكن القول بحرفه عن المعنى الظَّاهر، وذكر في ذلك الرازي: "**واعلم أنَّ الجواب الأوّل لا يحتاج فيه إلى تحمّل شيء من المجاز، وههنا يحتاج؛ فإنَّه لا بدَّ على هذا الجواب من حمل القرآن على بعض أجزائه وأقسامه**"(١)، فهذا الرَّأي غير مستبعد إن كان مستنِداً لدليل وأمَّا بلا دليل كما هو الحال فلا يمكن القول به.

مناقشة الرَّأي الخامس:

هو أنَّ للقرآن الكريم نزولين؛ الأوَّل دفعيٌّ في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة أو البيت المعمور والثاني نجوميٌّ(تدريجيّ) على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، والكلام هنا أنَّه كيف يكون إنزاله هدى للنّاس كما دلَّت الآية وهو منزلٌ إلى السَّماء فقط؟! وما هو الدَّاعي لهذا النزول الأوّل إلى السَّماء الدُّنيا أو البيت المعمور كما قالوا؟!

وأجاب الرَّازي على هذا السُّؤال الأخير: قال: "**فإنَّه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكّان سماء الدُّنيا مصلحة في إنزال ذلك إليهم، أو كان في المعلوم أنَّ في ذلك مصلحة للرَّسول عَلَيْهِ السَّلَامُ في توقُّع الوحي من أقرب الجهات، أو كان فيه مصلحة لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنَّه كان هو المأمور بإنزاله وتأديته**"(٢). وفي الإجابة كذلك حكى جلال الدِّين السيوطي عن السَّخاوي قال: "**وفيه أيضاً، التَّسويَّة بين نبينا صلَّى الله عليه -وآله- وسلّم**

(١) الرازي، أبو الفتوح، تفسير الرازي، ج ٥، ص ٩٣.
(٢)الرازي، أبو الفتوح، تفسير الرازي، ج ٥، ص ٩٣.

وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة، والتَّفضيل لمحمَّد في إنزاله عليه منجَّما ليحفظه"[١].

والجوابين كما ترى ونظائرهما في منتهى الوهن، فما هي قيمة هذا الكلام من توقُّع الوحيِّ من أقرب الجهات ونحو ذلك؟! أو أنَّه تسويَّة لمحمَّد وسائر الأنبياء، وهل النَّبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله محتاج لهذه التسويّة أو التشريف مع ما أعطاه تعالى من التَّفضيل العظيم على غيره من الأنبياء عليهم السلام، وما فضَّل به رسالتَه على سائر الرَّسائل السَّابقة؟! فلا يمكن الأخذ إذاً بهذا القول إلّا بالأخذ بظاهر الرِّوايات، فهو ليس من الأمور التعبُّدية التي لا شأن لنا بتعقُّلها، ولذلك لم يرتضِ الأعلام[٢] الأخذ بهذا القول اعتماداً على ظاهر الرِّوايات بل حقَّقوا في المسألة أكثر وأكثر فصار فيها رأي آخر كما مرَّ ويأتي.

مناقشة الرَّأي السَّادس:

وهو كما مرَّ لا يختلف كثيراً عن السَّابق إلّا أنَّه فيه تنجيمين أي تدريجين؛ الأوَّل من الحفظة على جبرئيل، والثَّاني من جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، والكلام فيه عين الكلام في السَّابق عليه إذ المشكل فيه أنَّه ما هو سبب هذا النُّزول الذي سبق النُّزول على النَّبي صلى الله عليه وآله، وكيف يكون هادياً للنَّاس حال كونه في السَّماء؟! فلا يمكن القول به كذلك.

مناقشة الرَّأي السابع:

وهو أنَّ للقرآن الكريم نزولين ووجودين؛ الأوّل دفعيٌّ وهو حقيقة القرآن نزل على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله والثاني تدريجيٌّ وهو الذي بين أيدينا، وأوردوا عليه..

أوّلاً: في مسألة أنَّ الآيات الدَّالة على النُّزول الأوَّل (الدفعيّ) عبَّرت بلفظ الإنزال لا التَّنزيل، والآيات التي دلَّت على التّنزيل عبَّرت بلفظ التّنزيل لا الإنزال، أشكلوا بآية ﴿**لولا نزِّل عليه القرآن جملة واحدة**﴾ فالآية تتكلَّم عن النُّزول دفعةً فكيف جاء فيها

(١)السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٥٩.
(٢)معرفة، الشيخ محمّد هادي، التمهيد، ج١، ص١١٩.

لفظ التَّدريج؟!

وأُجيب عليه: بأنَّ مقصودنا بالدفعة والتدريج هو باعتبار البسيط والمركّب، فمن عبَّر عن البسيط استخدم اللفظ الدالَّ على الدفعة، ومن عبَّر عن المركَّب استخدم اللفظ الدالَّ على التدريج، والمعنيُّ في الآية الدفعة لا باعتبار كون القرآن بسيطاً، بل باعتبار ضمِّ أجزائه ببعضها، فلذلك استخدم لفظ التدريج ولم يستخدم لفظ الدفعة؛ لأنَّه عنى بالتَّدريج يعني أنَّ الآيات ستنزل آيةً تلوَ آيةٍ في زمانٍ واحدٍ فيكون المجموعُ هو القرآن فصحَّ قصد الدُّفعة عليه.

ذكر السِّيد العلّامة الطباطبائيّ ﵀: "**والجواب: أنَّ المراد بالتَّدريج في النُّزول ليس هو تخلُّل زمانٍ معتد به بين نزول كلِّ جزءٍ من أجزاء الشَّئ وبين جزئه الآخر، بل الأشياء المركَّبة التي توجد بوجود أجزائها لوجودها نسبة إلى مجموع الأجزاء، وبذلك يصير الشَّيء أمراً واحداً غيرَ منقسم، والتَّعبير عنه من هذه الجهة بالنزول كقوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماءا﴾** (الرعد:١٧)، **وهو الغيث، ونسبة من حيث وجوده بوجود أجزائه واحداً بعد واحد، سواء تخلَّل بينهما زمان معتد به أو لم يتخلَّل، وهو التَّدريج، والتَّعبير عنه بالتَّنزيل كقوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزِّل الغيث﴾**(الشُّورى:٢٨)[١]، **فلا يمكن إذاً النَّقض بهذا الإشكال.**

ثانياً: قالوا أنَّ تفسير البيت المعمور بقلب النَّبيّ ﷺ محض تأويلات لا دليل عليها[٢]، ولكن ما ذكرناه وما سنذكره خلاف ذلك فقد ذكروا أدلَّةً تبيِّن أنَّه ﷺ كان على علم بما سينزل عليه من آيات، وقد تعرَّضنا لبيان بعضها في المبحث الأوّل، والآية الآتية كذلك تردُّ هذا الإشكال.. ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ (طه:١١٤)؛ فالملاحظ من الآية المباركة أنَّ النَّبيّ ﷺ كان يعلم بما سينزل عليه فكيف يكون يعلم بما لم ينزل عليه بعدُ؟! فلا يمكن ردُّ القول بهذا الإشكال كذلك، غير أنَّ وجود حقيقة

(١)الطباطبائي، السيد محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٣، ص٧.
(٢) معرفة، الشيخ محمّد هادي، التمهيد، ج١، ص١٢٠.

أخرى للقرآن لا يمكن إنكارها لما سبق بيانه من مسألة الإحكام والتفصيل في الآيات يؤيِّد هذا القول أيضاً.

الخاتمة

تناولنا في طيَّات البحث عرضاً مختصراً للآراء التي طرحها علماء التَّفسير في مسألة نزول القرآن من جهة كونه نزل دفعةً وتدريجاً أو تدريجاً فقط، وقد تمَّ مناقشة الآراء على نحو الإيجاز وتبيَّن بطلان الأقوال الثَّلاثة الأُول لفقدانها للدليل، وذكرنا عدم استبعاد الرَّأي الرابع لو لم يكن مستلزماً لحرف الظاهر بلا قرينة أو مؤيِّد، وأمَّا بالنِّسبة للخامس والسَّادس فهما وإن كان فيهما روايات دلَّت عليهما إلّا أنَّهما كما ذكرنا لا يمكن تعقُّلهما والأخذ بهما إلا بالأخذ بظاهر الرِّوايات.

والرَّأي السَّابع الأخير هو كما بيَّنا الأقرب من جهة وجود الدَّليل، ومن جهة عدم تمام نقضه بما نقضوا به عليه، بالإضافة إلى أنَّه لا يستلزم نفي ما قبله فيُمكن القول بأنَّه نزل على البيت المعمور، وكذلك نزل على قلب النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال الشَّيخ ناصر مكارم: "**فإنَّ ما استفدناه وفهمناه من الآيات السَّابقة، بأنَّ القُرآن نزل على النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مرَّتين: نزولاً دفعيّاً في ليلة القدر، ونزولاً تدريجيّاً طوال (٢٣) عاما، لا ينافي الحديث المذكور الذي يقول: إنَّه نزل في ليلة القدر إلى البيت المعمور**"(١)، ويمكن القول كذلك أنَّه نزل على قلبه في تلك الليلة وابتدأ نزوله التَّدريجي كذلك لو وُجد الدَّليل.

---

(١) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج١٦، ص١٢٢.

ملامح الرِّجال (القسم الثالث)

الشَّيخ عليّ حسين يعقوب

الملخّص:

هذا القسم الثالث ضمن سلسلة تعرّض فيها الكاتب إلى بعض الرواة الذين لم يتمّ التطرّق إليهم بإسهاب، فذكر في القسم الأوّل (أحمد بن زياد الهمذانيّ) وفي القسم الثاني (أبو مخنف)، وفي هذا القسم تعرض لـ (أحمد بن هوذة الباهليّ)، و(عبد العزيز بن عبد الله الموصليّ).

هذه هي الحلقة الثالثة من السلسلة المعنونة بـ«ملامح الرِّجال»، ويتناول ملامح المحدِّث أحمد بن هوذة الباهليّ، وعبد العزيز بن عبد الله الموصليّ.

الهمزة

[3] أحمد بن هوذة الباهليّ

هو أحمد بن هُوذَةَ -بضم الهاء وفتح الذال- بن سعيد، ابن أبي هَراسةَ -بفتح الهاء- الباهِليُّ النهرواني، أبو سليمان. واسم أبيه نصر وهُوذَةُ لقبه -كما نصَّ الشَّيخ في رجاله(١)-، والمعروف بـ"**ابن أبي هَراسة**" هو لا والده، هذا ظاهر تعبير الشَّيخ(٢)، وأوضح منه تعبير ابن شهرآشوب إذ قال: "**ابن أبي هراسة بن [هوذة]**"(٣). حدَّث في موطنه النَّهروان، وقدم بغداد وحدَّث بها أيضاً كما سيأتي.

خلل النُّسخ:

ورد في المطبوع من غيبة النعمانيّ بتحقيق الأستاذ الغفاريّ رحمه الله، في الحديث الأوَّل من باب (ما روي في مَن شكَّ في واحدٍ من الأئمة...)(٤) قوله: "**حدَّثنا أحمد بن نصر بن هوذة الباهليّ**"، والصَّحيح إمَّا "**أحمد بن نصر هوذة الباهليّ**" أو "**أحمد بن نصر، ابن هوذة الباهليّ**"؛ وذلك لما عرفتَ في ما تقدَّم عن رجال الشَّيخ من أنَّ هوذة هو لقب نصر وليس أباه.

خللٌ آخر:

ورد في المطبوع من معالم العلماء بعناية السِّيد محمَّد صادق بحر العلوم رحمه الله قوله: "**ابن أبي هراسة بن هودة، واسمه: أحمد بن أبي نصر الباهليّ**"(٥)، والصَّحيح "**ابن أبي هراسة بن**

---

(١) رجال الطوسي: ٤٠٩ [ط٦ مؤسسة النشر الإسلامي].

(٢) المصدر السابق.

(٣) معالم العلماء: ١٤٣ [ط١ دار الأضواء].

(٤) الغيبة (للنعماني): ١٢٧ [ط١ مكتبة الصدوق].

(٥) معالم العلماء: ١٤٣.

هوذة، واسمه: **أحمد بن نصر الباهليّ**"؛ وذلك لما تقدَّم أيضاً عن رجال الشَّيخ من أنَّ اسم أبيه «**نصر**»، وهو الوارد في بعض نسخ الكتاب، كنسخة السردرودي المحفوظة في مكتبة شيخية كرمان.

مذهبه:

ليس لدينا نصٌّ يبيِّن مذهب ابن أبي هراسة، إلاَّ أنَّ طبيعة رواياته ومشايخه ومن يروي عنه يجعلان إماميَّته محتملاً راجحاً، غير أنَّ مجرَّد رجحان الاحتمال لا يعني ثبوته.

ثقته:

لم ينصَّ الرجاليُّون على وثاقة ابن أبي هراسة، إلاَّ أنَّه شيخ إجازة، وقد اختلفت الأقوال في أثر شيخوخة الإجازة في التقييم كما تعلم، فمنهم من التزم بعدم إفادتها شيئاً في هذا المقام كالسِّيد الخوئيّ رحمه الله(١)، ومنهم من التزم إفادتها الثِّقة كالشَّيخ الوحيد البهبهانّي رحمه الله(٢)، ومنهم من فصَّل في حالاتها فذهب إلى أنَّ جهالة شيخ الإجازة لا تضرُّ لو كان طريقاً لكتابٍ مشهور كالشَّيخ التستريّ رحمه الله(٣)، ولعلَّ الأرجح القول بظهورها في الدَّلالة على الحسن إن كان المستجيز جليلاً ناقداً والمجيز إماميّاً، ولا يُصار لخلاف هذا الظَّاهر إلّا مع القرينة، إلّا أنَّ هذا غير متحقِّقٍ في المترجم.

روى عن:

- إبراهيم بن إسحاق الأحمريّ

هو إبراهيم بن إسحاق بن أبي بشر الأحمريّ النهاونديّ، أبو إسحاق، ورغم طعن الشَّيخ في الأحمريّ إلَّا أنَّه قال: "**صنّف كتباً جماعة قريبةٌ من السَّداد**"(٤).

(١) معجم رجال الحديث ١: ٧٢-٧٣ [ط٥ مؤسسة الخوئي].

(٢) منهج المقال ١: ١٤١-١٤٢ [ط١ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث].

(٣) قاموس الرجال ١: ٧٤-٧٧ [ط٢ مؤسسة النشر الإسلامي].

(٤) الفهرست (للطوسي): ٣٩ [ط٢ مؤسسة نشر الفقاهة].

وقد صرَّح المترجَم في عدَّة موارد من أسانيد غيبة النعمانيّ أنَّه قد أخذ عنه عام ثلاثٍ وسبعين ومائتين، قال النعمانيّ: "**أخبرنا أبو سليمان أحمد بن هوذة أبي هراسة الباهليّ، قال: حدَّثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي سنة ثلاثٍ وسبعين ومائتين...**"[١]، وصرَّح في بعضها[٢] أنه أخذ عنه في تلك السَّنة في نهاوند، وكذا صرَّح بالأخذ عنه في نهاوند في موارد من أمالي الشَّيخ[٣]، ورُصِدَت روايتُه عنه أيضاً في التَّهذيب[٤]، كما ورد في بعض نسخ مشيخة التَّهذيب كذلك[٥]، وكذا في الفهرست[٦] والإقبال[٧] واليقين[٨].

خلل النُّسخ:

تقدَّم ذكر ورود رواية المترجَم عن الأحمري في مشيخة التَّهذيب في بعض النُّسخ، وقد ورد في نسخ أخرى "**محمَّد بن هوذة**" بدلاً من «**أحمد بن هوذة**»، وهو غير صحيح؛ فرواية المترجم عن الأحمريّ معهودةٌ بل مشهورة، وقد نُصَّ صريحاً على رواية التلعكبريّ عنه، بل كون هذا هو طريق الشَّيخ للأحمريّ، كما سيأتي، كما أنَّه لا عهد لنا بعنوان "**محمَّد بن هوذة**"، ولا ذكر له في أي موردٍ سوى هذه النُّسخ التي تقابلها غيرها.

- الحسن بن محمَّد بن جمهور

هو الحسن بن محمَّد بن جمهور العمي البصري، أبو محمَّد. وقد رُصِدَت رواية المترجم عنه في كنز الفوائد للكراجكيّ، قال الكراجكيّ: "**وأخبرني شيخي أبو عبد الله الحسين**

(١) الغيبة (للنعماني): ٥٧، وراجع: ١٥٤، ٢٠٣.
(٢) الغيبة (للنعماني): ٢٤٧، ٢٦٦، ٣٠٢.
(٣) الأمالي (للطوسي): ٤٧٩، ٤٨١، ٤٩٥ [ط١ مؤسسة البعثة].
(٤) تهذيب الأحكام ٧: ٣٩٩ [ط١ دار الكتب الإسلامية].
(٥) تهذيب الأحكام ١٠: ٣٩٠.
(٦) الفهرست (للطوسي): ٣٩.
(٧) الإقبال ١: ٣٤٢ [ط٣ بوستان كتاب].
(٨) اليقين (لابن طاوس): ٢٨٣ [ط١ دار الكتاب الجزائري].

بن عبد الله بن عليّ الواسطي رضي الله عنه، قال أخبرني أبو محمَّد هارون بن موسى التلعكبريّ، قال: أخبرني محمَّد بن همام وأحمد بن هوذة، جميعاً عن أبي محمَّد الحسن بن محمَّد بن جمهور [العميّ]..."[١].

خلل النُّسخ:

ورد في المطبوع: "وأخبرني شيخي أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن عليّ الواسطيّ (..) أبي محمَّد الحسن بن محمَّد بن جمهور القمّيّ" والصَّحيح هو "العميّ"؛ فالرَّجل معروفٌ، قال النَّجاشي -مثلاً-: "الحسن بن محمَّد بن جمهور العميّ، أبو محمَّد البصريّ، ثقةٌ في نفسه، يُنسَب إلى بني العمّ من تميم"[٢]، وقيل إنَّ "الحسين بن عبد الله" أيضاً مُصحَّفةٌ عن "الحسين بن عبيد الله"[٣].

شيخٌ محتمَل:

قال الحسكانيّ في مفتتح أحاديث سورة يونس من شواهد التَّنزيل: "أخبرنا أبو الحسين عليّ بن أبي طالب الحسنيّ كتابةً، قال: أخبرني أبو عبد الله عروة بن يعقوب بن القاسم التميميّ، قال: حدَّثنا الحسين بن أحمد الرازيّ، قال: حدَّثنا أحمد بن نصر النهروانيّ، قال: حدَّثنا الحسن بن زكريا..."[٤]، والشَّيخ هنا -أي الحسن بن زكريا- غير معروف، ولا الرَّاوي الحسين بن أحمد الرازيّ، إلاَّ أنَّا لم نعهد من ينطبق عليه عنوان "أحمد بن نصر النهروانيّ" غير ابن أبي هراسة، فلعلَّه هو، إلاَّ أنَّ المسألة تعتاز وضوحاً أكبر ومعطيات أخرى.

(١) كنز الفوائد ١: ١٨٤ [ط١ دار الأضواء].

(٢) رجال النجاشي: ٦٢ [ط٦ مؤسسة النشر الإسلامي].

(٣) مستدركات علم رجال الحديث ٣: ١٥١ [ط١ ابن المؤلف].

(٤) شواهد التنزيل ١: ٣٤٦ [ط١ وزارة الإرشاد].

روى عنه:

- محمَّد بن إبراهيم النعماني

هو محمَّد بن إبراهيم بن جعفر النعمانيّ، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زينب، وقد أكثر في الرِّواية عن المترجم في غيبته (ملاء العيبة)، بل هو أكثر من روى عنه في ما وصلنا من تراث علمائنا، ومنها ما عنه، قال: أخبرنا أبو سليمان أحمد بن هوذة الباهليّ، قال: حدَّثنا إبراهيم بن إسحاق النهاونديّ سنة ثلاثٍ وسبعين ومائتين، قال: حدَّثنا عبد الله بن حمَّاد الأنصاريّ سنة تسعٍ وعشرين ومائتين، عن أبي الجارود، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: قال لي: «**يا أبا الجارود، إذا دار الفلك وقالوا مات أو هلك؟ وبأيِّ وادٍ سلك؟ وقال الطالب له: أنَّى يكون ذلك وقد بليت عظامهُ، فعند ذلك فارتجوه، وإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثَّلج**»(١).

ويُحتَمَل أنّ النعمانيّ إنَّما كان يروي عن المترجَم إجازةً عن كتاب «**الغيبة**» للأحمريّ، أو أنّ رواياته هذه مأخوذةٌ عن هذا الكتاب، وهو من الكتب التي وصفها الشَّيخ بأنَّها "**كتب جماعة قريبةٌ من السَّداد**"(٢).

- أبو المفضل الشيباني

هو أبو المفضل محمَّد بن عبد الله الشيباني الكوفيّ. وقد رُصِدَت روايته عن ابن أبي هراسة في ثلاثة موارد من المجلس التاسع عشر من أمالي الطوسيّ، وصرَّح بأخذه عنه في النَّهروان من كتابه، قال الشَّيخ: "**أخبرنا جماعةٌ، عن أبي المفضل، قال: حدَّثنا أحمد بن هوذة ابن أبي هراسة أبو سليمان الباهلي من كتابه بالنهروان**"(٣).

---

(١) الغيبة (للنعماني): ١٥٤.

(٢) الفهرست (للطوسي): ٣٩.

(٣) الأمالي (للطوسي): ٤٨١.

- **التلعكبريّ**

هو أبو محمَّد هارون بن موسى التلعكبريّ الشيبانيّ، وجه من وجوه أصحابنا. وقد سمع من ابن أبي هراسة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وله منه إجازة، صرَّح بذلك الشَّيخ في رجاله(١).

خلل النُّسخ:

ورد في مطبوع منشورات من رجال الطوسيّ بتحقيق السِّيد محمَّد صادق بحر العلوم: "**أحمد بن النضر بن سعيد**"، والصَّحيح ما حكاه في الحاشية عن بعض النُّسخ أي "**نصر**" لا "**النضر**".

- **أحمد بن الفرج الورَّاق**

هو أبو الحسن أحمد بن الفرج بن منصور بن الحجّاج الفارسيّ الورَّاق، من أهل الجانب الشرقيّ ببغداد، توفي عام اثنين وستين وثلاثمائة ودُفِن بالرصافة، وقد كان يُذكَر عنه التشيُّع(٢).

وقد روى عن المترجَم إجازةً، نصَّ على ذلك الخطيب البغداديّ(٣).

- **أحمد بن عبد الله الدوريّ الورَّاق**

هو أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جُلِّين الدُّوريّ الورَّاق، وُلِدَ عام تسعٍ وتسعين ومائتين وكان أوَّل كتابته الحديث عام ثلاث عشرة وثلاثمائة وتوفي عام تسعٍ وسبعين وثلاثمائة، وقال عنه الخطيب البغداديّ: "**وكان رافضيّاً مشهوراً بذلك**"(٤).

(١) رجال الطوسي: ٤٠٩.
(٢) تاريخ بغداد ٥: ٥٦٢ [ط١ دار الغرب الإسلامي].
(٣) تاريخ بغداد ٦: ٤٣٩.
(٤) تاريخ بغداد ٥: ٣٨٦.

نصَّ على روايته الخطيب، والظَّاهر أنَّ الدوريّ قد أخذ عن المترجم في بغداد؛ إذ قال: **"قدم علينا من النَّهروان"**(١).

- المعافى بن زكريّا

هو القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريّا بن يحيى البغداديّ النهروانيّ، يُعرَف بـ**"ابن طراطرا"**، وكان على مذهب ابن جرير الطَّبريّ، وقد قال البرقانيّ: كان البافي يقول: **"لو أوصى رجلٌ في ماله بأن يُدفَع إلى أعلم الناس، لأفتيت بأن يُدفَع إلى ابن طراطرا"**، وعقَّب البرقانيّ: لكن كان كثير الرُّواية للأحاديث التي تميل إليها الشيعة. وُلِدَ عام ثلاثٍ وثلاثمائة أو خمسٍ وثلاثمائة، ومات في النهروان سنة تسعين وثلاثمائة(٢).

رُصِدَت روايته عنه في ثلاثة مواضع، أوَّلها في المجلس التَّاسع والثَّلاثين من أمالي الطوسيّ، قال: **"وعنه، قال: أخبرنا أبو الحسن، عن القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريّا، قال: حدَّثنا أحمد بن هوذة..."**(٣)، وثانيها وثالثها في كفاية الخزاز، قال: **"أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا البغداديّ، قال: حدَّثنا أبو سليمان أحمد بن أبي هراسة..."**(٤).

- محمَّد بن الحسين البصير

هو أبو نصر محمَّد بن الحسين البصير، شيخ المفيد رحمه الله. وقد رُصِدَت روايته عنه في المجلس الثالث من أمالي الطوسيّ، قال: **"أخبرنا محمَّد بن محمَّد، قال: أخبرنا أبو نصر محمَّد بن الحسين البصير، قال: حدَّثنا أحمد بن نصر بن سعيد الباهلي..."**(٥).

---

(١) تاريخ بغداد ٦: ٤١٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٥: ٣٠٨.

(٣) الأمالي (للطوسي): ٦٨٨.

(٤) الكفاية (للخزاز): ١٣٨. وراجع: ٤٢٥ [ط١ مكتبة العلامة المجلسي].

(٥) الأمالي (للطوسي): ٨٤.

- محمَّد بن الحسين الكوفيّ

رُصِدَت روايته في كفاية الخزّاز، قال: "**حدثنا علي بن الحسن، قال: حدَّثنا محمَّد بن الحسين الكوفيّ، قال: حدَّثني أحمد بن هوذة ابن أبي هراسة أبو سليمان الباهليّ...**"(١)، ولعلّه محمَّد بن الحسين بن الحكم الكوفيّ الذي يروي عنه ابن منده في نفس الكتاب.

- أبو بكر أحمد بن يعقوب الفارسيّ

- إسحاق بن الحسن البصريّ

رُصِدَت روايتهما عن المترجَم في الإقبال عند النَّقل عن كتاب عمل شهر رمضان للنهديّ، قال ابن طاوس: "**وروي عن عليّ بن عبد الواحد النهديّ في كتاب عمل شهر رمضان، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن يعقوب الفارسيّ وإسحاق بن الحسن البصريّ، عن أحمد بن هوذة، عن الأحمريّ...**"(٢).

راوٍ مُحتَمَل:

وقد تقدَّمت الإشارةُ إلى رواية الحاكم الحسكانيّ وما يترتَّب عليها من احتمال وجود شيخ لابن أبي هراسة واسمه الحسن بن زكريّا وراوٍ اسمه الحسين بن أحمد الرازيّ، إلّا أنَّ الأمر غير واضحٍ والرَّاويان مجهولان كما تقدَّم.

كتبه:

ذُكِرَ له من الكتب كتابٌ واحد أورده الشَّيخ في فهرسته(٣) وابن شهرآشوب في معالمه(٤)، وهو كتاب "**الإيمان والكفر والتوبة**".

(١) الكفاية (للخزاز): ٥٢٩.

(٢) الإقبال ١: ٣٤٢.

(٣) الفهرست (للطوسي): ٢٨٢.

(٤) معالم العلماء: ١٤٣.

وفاته:

صرَّح الشَّيخ في رجاله بوفاة المترجم يوم التَّروية أي الثَّامن من ذي الحجّة، وذلك عام ثلاثٍ وثلاثين وثلاثمائة للهجرة، في جسر النهروان ودُفِنَ بها(١).

العين

[4] عبد العزيز بن عبد الله الموصليّ

هو أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الله بن يونس الموصليّ، ويُقال عنه: **"الموصليّ الأكبر"**، وهو أخو عبد الواحد، ويعبَّر عنهما معاً بالموصليَّان كما سيأتي.

مذهبه:

ليس بين أيدينا نصٌّ على مذهبه، ولا أمارةٌ واضحةٌ عليه، وما يُقال من كون الأصل في المذكورين في رجال الطوسيّ هو إماميتهم غير واضح، نعم، ملاحظة روايته المنقولة في غيبة النعمانيّ، وملاحظة روايات أخيه عبد الواحد يجعلان من إماميته محتملةً احتمالاً جادّاً، لا سيَّما تلك الرِّوايات المرتبطة بمباحث الإمامة الخاصّة وبعض تفاصيلها.

ثقته:

حكى الشَّيخ في رجاله مدح التلعكبريّ وتوثيقه له فقال: **"وذكر أنَّه كان فاضلاً ثقة"**(٢).

روى عن:

- **محمَّد بن الحسن بن مهزيار**

هو أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ بن مهزيار، وقد نصَّ على رواية الموصليِّ عنه أبو غالب الزراريّ في رسالته إذ قال: **"وأجاز لي جميع ما رواه عنه الموصليّان"**(٣)، والمراد من

(١) رجال الطوسي: ٤٠٩-٤١٠.

(٢) رجال الطوسي: ٤٣١.

(٣) رسالة أبي غالب الزراري: ١٧٨ [ط١ مركز البحوث والتحقيقات الإسلامية].

الموصليَّين عبد العزيز وأخوه عبد الواحد.

- غير ابن مهزيار

وروى عن غيره إلّا أنّه لم يُنَصّ عليه، فروى النعمانيّ عنه من كتاب سليم إلّا أنَّه لم يُسَمِّ من روى عنه، قال: "**ومن كتاب سليم بن قيس الهلاليّ ما رواه أحمد بن محمَّد بن سعيد ابن عقدة ومحمَّد بن همّام بن سُهَيل، وعبد العزيز وعبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس الموصليّ عن رجالهم عن عبد الرزَّاق بن همَّام (..)، وأخبرنا به من غير هذه الطرق هارون بن محمَّد، قال: حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بن جعفر بن المعلّى الهمداني (..) قال: حدَّثنا عبد الرزّاق بن همَّام...**"[1]، فلم يذكر طريقهم إلى الصنعانّي.

وقد يُقال إنَّ طريق الجميع في هذا السند واحد -وهو الظاهر للعطف بطريقٍ آخر لعبد الرزّاق- وقد صُرِّح بطريق ابن عقدة لعبد الرزّاق في موارد أخرى، والمرصود منها ما في مقتل الحسين للخوارزميّ إذ قال: "**وذكر محمَّد ابن شاذان هذا: أخبرنا أحمد بن محمَّد بن سعيد، عن الحسين بن محفوظ، عن أحمد بن إسحاق، حدَّثنا الغطريف، عن عبد السلام بصنعاء اليمن، عن عبد الرزاق...**"[2]، وما في شواهد التَّنزيل للحسكانّي إذ قال: "**وحدَّثونا عن أبي العبّاس ابن عقدة، قال: حدَّثنا الحسن بن عبّاس، قال: حدَّثنا حفص بن عمر، قال: حدَّثنا عبد الرزّاق...**"[3]، فيكون شيخ الموصلي بناءً على ذلك الحسين بن محفوظ أو الحسن بن عبّاس أو كلاهما، غير أنَّ الالتزام بذلك لا موجب له؛ إذ من المحتمل تعدُّد طرق ابن عقدة لعبد الرزاق، بل حتى تعدُّد طرقه لكتاب سليم المشتملة على عبد الرزاق، ويؤكِّد الإشكال كون هذين الطريقَين ليسا طريقَين لكتاب سليم أو رواياته.

(١) الغيبة (للنعماني): ٦٨-٦٩.

(٢) مقتل الحسين (للخوارزمي): ٩٧ [ط١ مكتبة المفيد].

(٣) شواهد التنزيل ١: ٣٧.

روى عنه:

- التلعكبريّ

وهو أبو محمَّد هارون بن موسى، روى عنه وسمع منه سنة ستٍّ وعشرين وثلاثمائة، وأجاز الموصليُّ له كما نصَّ الشَّيخ[١].

- محمَّد بن إبراهيم النعمانيّ

وقد رُصِدَت روايته عنه في أحد أسانيد غيبته عند الرواية عن كتاب سليم بن قيس[٢].

---

(١) رجال الطوسي: ٤٣١.

(٢) الغيبة (للنعماني): ٦٨.

وجوب الأذان والإقامة

السيِّد مصطفى السيِّد حسين الموسويّ

الملخّص:

تعرَّض الكاتب إلى حكم الأذان والإقامة، مبيناً الاستدلال على القول بالوجوب كما ذهب إليه بعض الأعلام بستِّ طوائف من الرِّوايات، ثمَّ ذكر ما يخالفها، محاولاً الجمع بينهما وحل التَّعارض، ثمَّ ذكر أدلة أخرى على وجوب خصوص الإقامة متعرضاً لدلالتها ومناقشتها.

المقدِّمة

إنَّ رجحان كلٍّ من الأذان والإقامة ممَّا لا خفاء فيه، ويدلُّ عليه بعد التَّسالم بين عموم المسلمين الرِّوايات الَّتي بلغت حدّاً من الاستفاضة يغني عن النَّظر في أسانيدِها، حتَّى أنَّه قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**قلنا: يا رسول الله، إنَّك رغَّبتنا في الأذان حتَّى خِفنا أن تضطَّرب عليه أُمَّتُك بالسُّيوف، فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **أمَا إنَّه لن يعدوَ ضعفاءكم**»(١)؛ بل ذهب بعضُ الأعلام إلى القول بالوجوب فيهما.

ما دلَّ من الرِّوايات على الوجوب

واستند القائلون بالوجوب إلى عدد من الرِّوايات على طوائفَ كالآتي:

الطَّائفة الأولى: ما ورد في مقام بيان الوظيفة العمليَّة

الرِّواية الأولى: موثَّقة عمَّار بن موسى السَّاباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا قمتَ إلى صلاة فريضة فأذِّن وأقِم، وافصِل بين الأذان والإقامة بقعود، أو بكلام، أو بتسبيح**»(٢).

السَّند: ليس في سند الرِّواية من يتأمَّل فيه عَدا عمَّار بن موسى السَّاباطيّ لكثرة اشتباهه وعدم ضبطه -على ما قيل- غير أنَّه ثقة، ووقوعِ عدد من الفَطَحِيَّة في سلسلة رُواتِها لا يقدَح فيها؛ إذ لا يشترط أكثر من وثاقة الرَّاوي، وفساد العقيدة لا يتنافى إلَّا مع العدالة دونها.

الدَّلالة: وهذه الصَّحيحة لا قُصور في دلالتها على الوجوب إلَّا من جهة وحدة السِّياق بين قوله عليه السلام: «**فأذِّن وأَقِم**»، وقوله عليه السلام: «**وافصل بين الأذان والإقامة**»، فإنَّه يشكِّل قرينة على وحدة استعمال صيغة الأمر إمَّا في الطَّلب الاستحبابي على تقدير اتِّحاد الجُمل كما في قولك: اغتَسِل للجنابة والجمعة، وإمَّا في جامع الطَّلب على تقدير تغايِر الجمل

(١) مستدرك الوسائل، المحدِّث النُّوري، ج٤، ص١٩.

(٢) مستدرك الوسائل، المحدِّث النُّوري، ج٤، ص١٩، عن كتاب الجعفريات.

كما في قولك: اغتسل للجنابة واغتسل للجمعة؛ وذلك -في حالة الاتِّحاد- لاستحالة استعمال اللَّفظ الواحد في غير معنى؛ إمَّا عقلاً وإمَّا عقلائيّاً لكونه خلاف الظَّاهر على مسلك الوضع، أو للابتلاء بالإجمال -في حالتي الاتِّحاد والتَّغاير- على مسلكَي الوضع والإطلاق، لاحتمال قرينيَّة السِّياق المانعة من انعقاد الظُّهور في الوجوب والإطلاق.

وأمَّا على القول بأنَّ الصِّيغة موضوعة لجامعِ الطَّلب وأنَّ الوجوب والاستحباب أمران خارِجَان عن حريم المدلول الوضعيّ للصِّيغة، وأنَّهما حكمان عقليَّان منتزعان من الطَّلب وعدم التَّرخيص كما في الوجوب، أو الطَّلب والتَّرخيص في التَّرك كما في الاستحباب، فإنَّه لا إشكال -من جهة وحدة السِّياق- يرِدُ على الاستدلال بالصَّحيحة للوجوب.

الرِّواية الثَّانية: حسنة زرارة -بإبراهيم بن هاشم- عن أبي جعفر عليه السلام -في حديث- قال: «**إذا.. كان عليك قضاء صلوات فابدأ بأولهنَّ، فأذِّن لها وأقِم، ثمَّ صلِّها، ثمَّ صلِّ ما بعدها بإقامةٍ إقامةٍ لكلِّ صلاة**»(١).

الدَّلالة: وهذه الحسنة ظاهرة في الوجوب، ولا يرِدُ عليها ما يرِدُ على السَّابقة من الإشكال بوحدة السِّياق.

الطَّائفة الثَّانية: ما ورد بلسان نفي الحقيقة

كما في موثَّقة عمَّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لا بدَّ للمريض أن يؤذِّن ويقيم إذا أراد الصَّلاة ولو في نفسه إن لم يقدر على أن يتكلَّم به**»، سُئل: فإن كان شديدَ الوجع؟ قال: «**لا بدَّ من أن يؤذِّن ويقيم؛ لأنَّه لا صلاة إلا بأذان وإقامة**»(٢).

الدَّلالة: وهذه الرِّواية في صدرها «**لا بدَّ للمريض أن يؤذِّن ويقيم ولو كان شديدَ**

(١) الكافي، الكليني، ج٣، ص٢٩١، والتهذيب، الطوسي، ج٣، ص١٥٨.
(٢) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٢٨٢.

الوَجع» دلالة على الوجوب لغير المريض بالفحوى، وفي ذيلها «**لا صلاة إلا بأذان وإقامة**» دلالة على الوجوب الغيريّ في كلٍّ منهما، وهما إمَّا شرطان -كما هو مقتضى هذا اللسان- دخيلان في تحقُّق ماهيَّة الصَّلاة على حدِّ سائِر الأركان كالرُّكوع والسُّجود وهو بعيد لانطباق عنوان الصَّلاة وصِدقه على الفاقدة لهما حقيقة، وإمَّا شرطان بمقتضى التَّقدير للصّحة أو للكمال، وحيث أنَّ الثَّاني يحتاج إلى ضمِّ عناية زائدة يتعين الأوَّل وهو التَّقدير بالصِّحة، إذ أنَّه مع تعذُّر الحمل على المعنى الحقيقيّ يتعيَّن الحمل على أقرب المجازات، وهو هنا لدى العرف نفي الصِّحّة لا نفي الكمال.

الطَّائفة الثَّالثة: ما ورد بلسان نفي الجواز

كما في موثَّقةٍ أخرى لعمَّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سُئِل عن الرَّجل يؤذِّن ويقيم ليصلِّي وحده فيجِيء رجل آخر فيقول له: نصلّي جماعة، هل يجوز أن يصلِّيا بذلك الأذان والإقامة؟ قال: «**لا، ولكن يؤذِّن ويقيم**»(١).

الدَّلالة: وهذه الرِّواية كسابقتها أيضاً على تقدير تماميَّتها ظاهرة في شرطيَّة كلٍّ من الأذان والإقامة وأنَّهما واجبان غيريان لا تصحُّ الصَّلاة من دونهما، فإنَّ عدم الجواز لكونه لساناً عرفياً لعدم الصِّحة، ظاهر في الحرمة الوضعيَّة أي البطلان.

اللّهم إلَّا أن يقال: بأنَّ نفي الجواز إنَّما هو لتقرير ما في ذهن السَّائل من أنَّهما في صلاة الفرادى وفي صلاة الجماعة ماهيَّتان متغايرتان وإن اتَّحدتا صورة فلا بدَّ فيهما من القصد والتَّعيين، ومعه يقع السُّؤال عن الاكتفاء بأذان الفرادى لصلاة الجماعة هل يصحُّ كما يصحُّ الاكتفاء بأذان الجماعة في صلاة الفرادى -على ما تقتضيه بعض الرِّوايات- أو لا يصحُّ الاكتفاء؟

---

(١) الكافي، الكليني، ج٣، ص٣٠٤، ومن لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص٣٩٤، وتهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٢، ص٢٧٧.

وأمَّا ذيل الرِّواية، وهو قوله عليه السلام: «**ولكن يؤذِّن ويقيم**» فلا دلالة فيه على الوجوب أيضاً، لابتلائِه بالإجمال من جهة تقدُّم الحظر عليه.

الطَّائفة الرَّابعة: ما ورد بلسانِ نفي الإجزاء والاكتفاء

الرِّواية الأولى: الموثَّق عن الحسن بن زياد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إذا كان القوم لا ينتظرون أحداً اكتفوا بإقامة واحدة**»(١).

الرِّواية الثَّانية: صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**يجزيك إذا خلوت في بيتك إقامة واحدة بغير أذان**»(٢).

الرِّواية الثَّالثة: صحيحة أخرى لابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**تجزئك في الصَّلاة إقامة واحدة إلا الغداة والمغرب**»(٣).

الرِّواية الرَّابعة: ما في صحيحة لمحمَّد بن مسلم والفضيل بن يسار عن أحدهما عليهما السلام، قال: «**تجزيك إقامة في السَّفر**»(٤).

الرِّواية الخامسة: صحيحة زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام، أنَّه قال: «**أدنى ما يجزي من الأذان أن تفتتح الليل بأذان وإقامة، وتفتتح النَّهار بأذانٍ وإقامة، ويجزيك في سائر الصَّلوات إقامة بغير أذان**»(٥).

الرِّواية السَّادسة: رواية أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام، قال: سألته: أيجزئ أذان واحد؟ قال: «**إن صلَّيت جماعةً لم يجز إلا أذان وإقامة، وإن كنت وحدك تبادر أمراً تخاف أن**

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الاستبصار، ج١، ص٣٠٠، وتهذيب الأحكام، ج٢، ص٥١.

(٤) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٢.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص٢٨٦.

يفوت، يجزئك إقامة إلا الفجر والمغرب»[١]، الحديث.

فهذه الرِّوايات حيث إنَّها في مقامِ تحديد الوظيفة العملية قد دلَّت بمفهومها تارةً وبمنطوقها أخرى على عدم إجزاء الإقامة عن الأذان وجواز الاكتفاء بها عنه في غير ما استثني؛ هذا وفي سند الرِّواية الأخيرة وهناً من جهة الجواهريّ فإنَّه مجهولٌ ومن جهة البطائنيّ فإنَّه ضعيف، وكذلك في الرِّواية الأولى من جهة الحسن بن زياد فإنَّه مشترك بين من ورد في حقِّه توثيقٌ وهو العطَّار وبين من لم يوثَّق وهو الصيقل، ولا سبيل إلى تعيين أحدهما على الآخر بالأعرفيّة؛ لكون كلٍّ منهما صاحب كتاب، والقول بالاتحاد بعيد، فتماميّة سندها تتوقَّف على القبول بكبرى الجابريّة.

الطَّائفة الخامسة: ما ورد بلسان نفي التَّرخيص

كما في موثقة لسماعة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لا تصلِّ الغداةَ والمغرب إلّا بأذان وإقامة، ورخص في سائر الصلوات بالإقامة، والأذان أفضل**»[٢].

السَّند: ما في سلسلة الرُّواة من يتأمَّل فيه غير زرعة بن محمَّد الحضرميّ لفساد عقيدته فإنَّه واقفيّ، إلّا أنَّه ثقة ولا يعتبر في حجية الخبر -على ما دلَّت عليه السِّيرة- عدالةُ الرَّاوي.

وهذه الرِّواية أيضاً حيث إنَّها في مقام تحديد الوظيفة العملية دلَّت بمنطوقها تارة على وجوب الإقامة في صلاتي الغداة والمغرب، وبمفهومها تارة أخرى على نفي الرُّخصة في ترك أذاني الغداة والمغرب.

الطَّائفة السَّادسة: ما ورد بلسان نفي الإلزام عن المرأة

الرِّواية الأولى: ما ورد في جزميَّات الصَّدوق عن أبي عبد الله عليه السلام، أنَّه قال: «**ليس**

(١) الاستبصار، الطوسي، ج١، ص٢٩٩، وتهذيب الأحكام، ج٢، ص٥٠.
(٢) تهذيب الأحكام، ج٢، ص٥٢.

على المرأة أذان ولا إقامة»[١]، الحديث.

السَّند: لا يقدح الإرسال بهذه الرِّواية ولا غيرها من سائر جزميَّات الصَّدوق، ودعوى أنَّه يخبر عن حدس فلا يشمله دليل حجيّة الخبر لا يعبأ بها لأحدِ أمرين؛ الأوَّل: أنَّ أصالة الحسِّ العقلائيّة هي الحاكم في موارد دوران الأمر بين الحسِّ والحدس، خصوصاً مع ملاحظة المنهج العلميّ لمثل الصدوق من اعتماده على القرائن الواضحة، والثَّاني: أن يقال: بوفاء الأمارة والعلم التعبُّديّ لديه بدور القطع الموضوعيّ في جواز الإسناد للمولى، فإخباره عن الصادق عليه السلام إخبارٌ بقيام الأمارة لديه عن طريق اللازم، فيشملُه دليل حجيّة الخبر لكونه أمراً حسياً، وليتأمَّل.

الرِّواية الثَّانية: ما ورد في روايةٍ عن جعفر بن محمّد عن آبائه في وصيّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام، قال: «**ليس على المرأة أذان ولا إقامة**»[٢].

السَّند: سند هذه الرِّواية مبتلى بالضَّعف لوقوع المجاهيل في سلسلة رواتها.

الرِّواية الثَّالثة: ما ورد في صحيحة جميل بن دراج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن المرأة أعليها أذان وإقامة؟ فقال: «**لا**»[٣].

الدَّلالة: ولسان هذه الطَّائفة من الرِّوايات ظاهرٌ في نفي الإلزام حسب ما يقتضيه تتبّع موارد استعماله، فيدلُّ بدلالةِ الاقتضاء على ثبوت الإلزام لغير المرأة في الجملة منعاً من اللغويّة، وإن لم يثبت مفهوم اللقب.

ما دلَّ من الرِّوايات على عدم الوجوب

الأولى: صحيحة ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن

(١) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص٢٩٨.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٥، ص٤٠٦.
(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٧.

المرأة تؤذِّن للصلاة؟ فقال: «**حسنٌ إن فعلَت، وإن لم تفعل أجزأها أن تكبِّر، وأن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله**»[١].

الدَّلالة: وهذه الصَّحيحة وإن كان صدرها «**حسنٌ إن فعلَت**» دالاً على استحباب الأذان، إلا أنَّ الذَّيل «**وإن لم تفعل أجزأها أن تكبِّر**»، يشكل بمفهومه قرينة على الوجوب التخييريّ، وأنَّ المستحب هو تطبيق الجامع على أحدِ العدلين أي الأذان دون التَّكبير والشَّهادتين.

الثَّانية: حسنة الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إذا أذنْتَ وأقمتَ صلَّى خلفك صفَّان من الملائكة، وإذا أقمتَ صلَّى خلفك صفٌّ من الملائكة**»[٢].

الدَّلالة: بعد المفروغيّة من أنَّ ترتُّب الثَّواب على الصَّلاة إنَّما هو من آثار الصِّحّة، فإنَّ غاية ما يمكن أن يُستدل عليه بهذه الرِّواية عدم كون الأذان واجباً غيريّاً، ولا معيِّن للقول بالاستحباب لاحتمال وجوبه النَّفسيّ.

الثَّالثة: رواية العبّاس بن هلال عن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام، قال: «**من أذَّن وأقام صلَّى خلفه صفَّان من الملائكة، وإن أقام بغير أذان صلَّى عن يمينه واحدٌ وعن شمالِه واحد**»، ثمَّ قال: «**اغتنم الصَّفين**»[٣].

السَّند: وفيه ضعف لمكان الحسين بن إبراهيم بن ناتانه فإنَّه مهمل، ولا سبيل إلى توثيقه إلّا من جهة ترضِّي الصَّدوق عليه وكونه من مشايخه في الإجازة، ولمكان العبّاس بن هلال؛ فإنَّه مجهول ولا سبيل إلى توثيقه إلّا من خلال وقوعه في أسانيد التَّفسير.

الدَّلالة: وهذه الرِّواية أتمُّ دلالة من السَّابقة على الاستحباب؛ وذلك من جهة الذَّيل

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٨.
(٢) الكافي، الكليني، ج٣، ص٣٠٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص٢٨٧.

«**اغتنم الصَّفين**»؛ فإنَّ لمادة الاغتنام ظهوراً في الحثِّ والتَّرغيب بنحوٍ يناسبُ مقام الاستحباب.

الرَّابعة: صحيحة زرارة بن أعين، قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن رجلٍ نسيَ الأذان والإقامة حتى دخل في الصَّلاة، قال: «**فليمضِ في صلاتِه فإنَّما الأذان سنَّةٌ**»[١].

الدَّلالة: تماميَّة الاستدلال بالرِّواية متوقِّفة على أنَّ المراد بالسُّنة فيها النَّدب دون الوجوب، وهو محلُّ نظرٍ لذوي البصر؛ فإنَّ ممَّا لا شكَّ فيه لدى المتتبِّع لموارد استعمال السُّنة في الرِّوايات أنَّها ما ثبت من طريق رسول الله صلى الله عليه وآله مستحباً كان أم واجباً أم غيرهما، في قبال ما ثبت بكتاب الله عزوجل وهو الفريضة، ولا أقلَّ من الإجمال.

اللّهمَّ إلّا أن يقال: إنَّ الأذانَ ممَّا ثبتَ بكتاب الله عزوجل فهو فريضة، وذلك لقولِه تبارك وتعالى: ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾(الجمعة:٩)، وقوله عز من قائل: ﴿**وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً**﴾(المائدة:٥٨)، فيتعيَّن إرادة الاستحباب من السُّنّة في الرِّواية الشَّريفة؛ وهذا الاحتمال محلُّ نظر وتأمُّل أيضاً؛ فإنَّ خفاء حكم الأذان على زرارة -حتى يسأل عن جواز المضي وعدمه على النَّاسي- ممَّا لا يترقَّب من مثله شأناً ومنزلةً، فتكون الرِّواية سؤالاً وجواباً ناظرة إلى قاعدة لا تنقض السُّنة الفريضة.

الخامسة: رواية أبي الصَّباح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألتُه عن رجلٍ نسيَ الأذان حتى صلَّى، قال: «**لا يعيد**»[٢].

السَّند: فيه ضعف من جهة الرَّاوي عن أبي الصَّباح الكنانيّ وهو محمَّد بن الفضيل، لاشتراكه بين أشخاصٍ لا سبيل لتعيين أحدهم على الآخر، وفيهم الثِّقة وغيره.

---

(١) الاستبصار، الطوسي، ج١، ص٣٠٤، وتهذيب الأحكام، ج٢، ص٢٥٨.

(٢) الاستبصار، الطوسي، ج١، ص٣٠٣، وتهذيب الأحكام، ج٢، ص٢٧٩.

الدَّلالة: والرِّواية هذه لا دلالة فيها على الاستحباب فإنَّ النِّسيان مسقطٌ للحُكم ورافعٌ له حقيقةً، إمَّا لما يستظهر من حديث الرَّفع، أو لاستحالة تكليف النَّاسي عقلاً لكونِه عبثٌ لا بعث فيه.

السَّادسة: صحيحة داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجلٍ نسيَ الأذان والإقامة حتى دخل في الصلاة، قال: «**ليس عليه شيء**»(١).

الدَّلالة: وهذه الصَّحيحة غاية ما هي ظاهرة فيه أنَّ الأذان شرطٌ ذكريٌّ، لا تجب مع نسيانه إعادة الصَّلاة، على أنَّها مقيَّدة بصحيحةٍ للحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إذا افتتحت الصَّلاة فنسيتَ أن تؤذِّن وتقيم، ثمَّ ذكرتَ قبل أن تركعَ فانصرف وأذن وأقم واستفتح الصلاة، وإن كنت قد ركعت فأتمَّ على صلاتك**»(٢).

السَّابعة: صحيحة الحلبيّ، عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام أنَّه كان إذا صلَّى وحدَه في البيت أقام إقامة ولم يؤذن(٣).

الدَّلالة: وهذه الرِّواية على فرض تماميَّتها ظاهرةٌ في أنَّ أذان المنفرد في بيته لا رجحان فيه؛ إذ أنَّ إصرار المعصوم على ترك المستحب واعتياده على فعل المكروه بعيدٌ للغاية، وهو يساوق القول بنفي المشروعيّة في الأمر العباديّ القربيّ؛ فإنَّ قوامَه الرُّجحان، ويؤيِّد القولَ بعدم المشروعيّة صحيحةُ يحيى الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إذا أذَّنت في أرض فلاة، وأقمتَ صلَّى خلفُك صفَّان من الملائكة، وإنْ أقمتَ ولم تؤذِّن صلَّى خلفك صفٌ واحدٌ**»(٤)، فإنَّ أخذَ القيد (أرض فلاة) ظاهرٌ في المفهوم بدلالة الاقتضاء على نحو العلة الناقصة، بمعنى أنَّ للقيدِ دخالة في ترتُّب الحكمِ وإلا لزمتْ اللغوية كما

(١) الاستبصار، الطُّوسي، ج١، ص٣٠٥.

(٢) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٢٧٨.

(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٠.

(٤) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٢.

في سائر الجُمل الوصفية.

الثَّامنة: صحيحة عمر بن يزيد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإقامة بغير أذان في المغرب؟ فقال: «**ليس به بأس، وما أحبُّ أن يعتاد**»(١).

الدَّلالة: وهذه الصَّحيحة أتمُّ روايات الباب دلالةً على استحباب الأذان وعدم وجوبه في صلاة المغرب وسائر الصَّلوات للقطع بعدم الخصوصية.

المناقشة في صحيحة عمر بن يزيد:

وقد تبيَّن تماميتها في الدَّلالة على الاستحباب، غير أنَّها معارضة بما تقدَّم ذكرُه من الرِّوايات الدَّالة على الوجوب، بنحوٍ لا بدَّ معه من ارتكاب التَّأويل حتى يتيسَّر به الجمع العرفي، وذلك:

في ما ورد في مقام بيان الوظيفة العمليّة بصيغة الأمر، بالحمل على الاستحباب.

وفي ما دلَّ على نفي الحقيقة، بالحمل على نفي الكمال.

وفي ما دلَّ على نفي الاجتزاء، بالحمل على الاجتزاء بما فيه غنىً وكفاية في مقام الوظيفة العملية المقرَّرة على المكلَّف مستحبة كانت أم واجبة، وهو تعبير لا حزازة فيه لدى العرف عن الأمر بالجامع بين الأذان بشرط الإقامة وبين الإقامة لا بشرط، نعم في تطبيق الجامع على الفرد الأوَّل مراعاة لأعلى مرتبة من الكمال بخلاف تطبيقه على الفرد الثَّاني.

وفي ما دلَّ على نفي الإلزام عن المرأة، بالحمل على نفي الرُّجحان المساوق لنفي المشروعيّة عن الأمر العباديّ، إذ ما وراء عبّادان من قرية بعد الالتزام باستحبابه في نفسه؛ وحيث أنَّ هذا الحمل غريبٌ؛ إذ ما من أحدٍ من الفُقهاء قد التزم به فيما أعلم، لا مناص من الحمل على أنَّ الأذان غيرَ ثابتٍ بعنوانه على المرأة، وإنَّما الثَّابت عليها الجامع بينه وبين

(١) الاستبصار، ج١، ص٣٠٠، وتهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥١.

الشَّهادتين، على ما نطقت به صحيحة عبد الله بن سنان.

هذا والضَّابط في الجمع الدَّلالي والعرفي بين الرِّوايات المتعارضة قرينية أحد الدليلين على الآخر لدى العرف، وحيث إنَّه كلَّما أمكن أن يكون قرينة على تقدير الاتِّصال فهو قرينة على تقدير الانفصال بنظر العرف غالباً، لا يتيسَّر الجمع بين صحيحة عمر بن يزيد الدَّالة على استحباب الأذان ونفي البأس عن تركه، وبين موثَّقة كلٍ من عمَّار بن موسى السَّاباطيّ الدَّالة على نفيِ جوازِ تركِه بمنطوقها، وموثَّقة سُماعة بن مهران الدَّالة على نفي الرُّخصة بمفهومها.

فلا بدَّ من المصير إلى المرَّجح من موافقة الكتاب أو مخالفة العامَّة إن وجد، وإلّا قيل بالتَّساقط إن فُقد، والظَّاهر أنَّ الكفَّة تميل إلى موثقتَي سماعة وعمَّار النافيتين للرُّخصة والجواز؛ لاتفاق العامَّة في الكوفة والمدينة عصر الصادقَين عليهما السلام كمالك وأبي حنيفة على استحباب الأذان.

وما يهوِّن الخطب عدم حجيّة كلٍ من موثَّقتي عمَّار وسماعة؛ إمَّا للإجمال وإمَّا لإعراض المشهور عنهما، وما هذا حاله من الوهن والضعف لا يصلح للمعارضة.

ثمَّ إنَّ النِّسبة بين ما دلَّ على وجوب الأذان في الجماعة مطلقاً، كصحيحة عبد الله بن سنان: «**يجزيك إذا خلوت في بيتك إقامة واحدة بغير أذان**» والموثَّق عن الحسن بن زياد: «**إذا كان القوم لا ينتظرون أحداً اكتفوا بإقامة واحدة**»، وبين ما دلَّ على وجوبِه في الحضر مطلقاً كقوله عليه السلام في الصَّحيح: «**تجزيك إقامة في السَّفر**»، هي العموم والخصوص من وجه، فمادة الافتراق هي صلاة الجماعة في الحضر، ومادة الاجتماع هي صلاة الجماعة في السَّفر وصلاة المنفرد في الحضر.

وأنَّ النِّسبة بينهما وبين صحيحة عمر بن يزيد نسبة العموم والخصوص المطلق، فلا بدَّ فيها من إعمال صناعة التَّقييد بلحاظ مادة الافتراق، وذلك بالإبقاء على الظُّهور في

وجوب أذان صلاة الجماعة في الحضر، ولا بدَّ من جعلِها مرجعاً وعموماً فوقانيّاً بلحاظ مادة الاجتماع لمكان التَّساقط بين الدَّليلين.

نعم، ما دلَّ على وجوب الأذان في الحضر كقوله عليه السلام: «**تجزيك إقامة في السَّفر**» معارَضٌ بصحيحة الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام: عن الرجل، هل يجزيه في السَّفر والحضر إقامة ليس معها أذان؟ قال: «**نعم، لا بأس به**»[١]؛ فيبقى ما دلَّ على الوجوب في صلاة الجماعة مطلقاً في السَّفر وفي الحضر بلا معارض.

ما دلَّ من الرِّوايات على وجوب الإقامة

الطَّائفة الأولى: لسان المفروغيَّة من الوجوب

الرواية الأولى: رواية العبَّاس بن هلال عن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام، قال: «**من أذَّن وأقامَ صلَّى خلفَه صفَّان من الملائكة، وإن أقام بغير أذان صلَّى عن يمينِه واحد وعن شماله واحد**»، ثمَّ قال: «**اغتنم الصَّفين**»[٢].

الدَّلالة: استدلَّ بذيلِ هذه الرِّواية «**اغتنم الصَّفين**» على وجوب الإقامة، وذلك للظُّهور في المفروغية من تحقُّق الصفِّ الأوَّل، وفيه: أنَّ غاية ما يتحقَّق بالإقامة أن يصلِّي عن يمينِه واحدٍ وعن شمالِه واحدٍ، وألّا تحقُّق حتى للصفِّ الأوَّل من دون الأذان.

الرواية الثَّانية: صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام: «**يجزيك إذا خلوت في بيتك إقامة واحدة بغير أذان**»[٣].

الدَّلالة: لسان الإجزاء في مقام الوظيفة العمليّة ظاهر في المفروغيّة عن الوجوب، وتقريب ذلك أن يقال: بوجود موارد لا تجزي الإقامة فيها عن الأذان كصلاة الجماعة،

(١) تهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٢، ص٥٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الصَّدوق، ج١، ص٢٧٨.

(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٠.

وهو ما ليس له أيُّ معنىً مع القول بالاستحباب لدى العرف، ولا أقلّ من الانصراف إلى الإجزاء في مقام الوظيفة العمليّة الواجبة.

الطَّائفة الثَّانية: لسان التَّنزيل

الرواية الأولى: رواية أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**يا أبا هارون، الإقامة من الصَّلاة، فإذا أقمتَ فلا تتكلَّم ولا تؤم بيدك**»(١).

السَّند: لم يرد في حقِّ أبي هارون توثيقٌ عدا عمّا في كامل الزِّيارات، كما أنَّ في سند الرِّواية صالح بن عقبة، وهذا أيضاً لا سبيل إلى توثيقه إلا من جهة أسانيد التَّفسير على أنَّه متهَّمٌ بالضَّعفِ والكذبِ والغُلو.

الدَّلالة: لسان التَّنزيل ظاهرٌ في أنَّ للإقامة ما لأجزاء الصَّلاة من أحكامٍ كالوجوب.

الرواية الثَّانية: رواية سليمان بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لا يقيم أحدُكم الصَّلاة وهو ماشٍ، ولا راكبٍ، ولا مضطجع إلّا أن يكون مريضاً، وليتمكَّن في الإقامة كما يتمكَّن في الصَّلاة، فإنَّه إذا أخذ في الإقامة فهو في صلاة**»(٢).

السَّند: سليمان بن صالح مشترك بين عدَّة أشخاصٍ فيهم من لم يوثَّق، إلّا أن يقال بالانصراف إلى الثَّقة؛ لأنَّه صاحب كتاب فهو أشهر من غيره، على أنَّ في السَّند صالح بن عقبة.

الدَّلالة: وهذه الرِّواية أيضاً -حيث إنَّ لسانَها لسان التَّنزيل- ظاهرةٌ في وجوب الإقامة، إلّا أن يقال بأنَّ لسان التَّنزيل لا إطلاق فيه، فيقتصر على أهمِّ الآثار مع حذفِ المتعلَّق، وأمَّا مع عدمِ الحذفِ فيقتصرُ على ما ذكر من قبيل التَّمكن في الإقامة.

---

(١) الاستبصار، الطوسي، ج١، ص٣٠١، وتهذيب الأحكام، ج٢، ص٥٤.
(٢) تهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٢، ص٥٢.

الطَّائفة الثَّالثة: بيان الوظيفة العملية موارد الخطأ والنِّسيان والقضاء

الرواية الأولى: صحيحة عليّ بن يقطين قال: سألتُ أبا الحسن عليه السلام، عن الرُّجل ينسى أن يقيم الصَّلاة وقد افتتح الصَّلاة؟ قال: «**إن كانَ قد فرغ من صلاتِه فقد تمَّت صلاتُه، وإن لم يكن فرِغ من صلاتِه فليعد**»(١).

الدَّلالة: قوله عليه السلام: «**وإن لم يكن فرغ من صلاته فليعد**»، ظاهرٌ في وجوب الإقامة لعدم تماميَّة صلاتِه من دونها قبلَ الفراغ على ما يشهد به قوله عليه السلام: «**إن كان قد فرغ من صلاتِه فقد تمَّت صلاتُه**».

الرواية الثَّانية: معتبرة عليّ بن جعفر قال: سألتُه عن الرُّجل يخطئ في أذانه وإقامته فذكر قبل أن يقوم في الصَّلاة، ما حاله؟ قال: «**إن كان أخطأ في أذانه وإقامته مضى على صلاتِه، وإن كان في إقامته انصرف فأعادها وحدها، وإن ذكر بعد الفراغ من ركعة أو ركعتين مضى على صلاتِه، وأجزأه ذلك**»(٢)، الحديث.

السَّند: ليس في سند الرِّواية من يتأمَّل فيه سوى عبد الله بن الحسن؛ فإنَّه مجهول لم يرد في حقِّه توثيق، غير أنَّه من الممكن التغلُّب على هذه المشكلة من جهة اعتماد الحمْيَريّ في كتابه قرب الإسناد على نسخة عبد الله بن الحسن -دون اعتماده على نسخة شيخه العمركيّ البوفكيّ الثِّقة- فإنَّ فيه شهادة بوثاقته وصحَّة نسختِه، فتأمَّل.

الدَّلالة: وهذه الرِّواية ظاهرةٌ في وجوب إعادة الإقامة في مورد الخطأ فتدلُّ بالفحوى على أصل الوجوب؛ إلّا أن يقال بعدم حجيّة الرِّواية لاضطراب متنها؛ وذلك لبعد احتمال أسوئيّة الخطأ في الإقامة وحدها من الخطأ في الأذان والإقامة معاً، حتى لا يجوز المضيّ في الحالة الأولى دون الحالة الثَّانية، غير أنَّه يكفي لرفع إشكال الأسوئيّة احتمال أنَّ الخطأَ في الأذان يتدارك بالإقامة وبالعكس، فيجوزُ المضيّ حينئذ على الخطأ بخلاف ما

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٢٧٩.

(٢) قرب الإسناد، الحميري، ص١٨٢-١٨٣.

لو لم يؤذِّن، غير أنَّه على هذا الاحتمال تكون الرِّواية مجملة لا دلالة فيها على الوجوب، لاحتمال أنَّ النَّظر فيها إلى شرائط الصِّحة سواء كانت الإقامة واجبة أم كانت مستحبة.

الرواية الثَّالثة: حسنة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إذا كان عليكَ قضاءُ صلواتٍ، فابدأ بأوَّلهنَّ، وأقم، ثمَّ صلِّها، ثمَّ صلِّ ما بعدها، ثمَّ صلِّ ما بعدها بإقامة إقامة لكلِّ صلاة**».

الدَّلالة: وهذه الرِّواية أيضاً لا إشكال في دلالتها على وجوب الإقامة، إلا من جهة موردِيّة توهُّم الحظر الموجب للإجمال، فيقال: بأنَّ زرارة يعلمُ إجمالاً بوجود موارد يسقط فيها كلّا من الأذان والإقامة عن المشروعيّة، ويحتمل أنَّ موارد قضاء الصَّلاة منها، فتأمَّل.

وكيف كان فهذه الرِّوايات على تقدير تماميتها دلالةً وسنداً ساقطة عن الحجيَّة لإعراض المشهور عنها.

خفاء الحكم:

هذا وقد تبيَّن وجوبُ الأذان والإقامة لصلاة الجماعة في الحضر، إلّا أنَّ غير واحدٍ من الأعلام ذهب إلى المنع منه لخفاء الحكم مع كثرة الابتلاء به.

وفيه: أنَّ خفاءَ الحكم كما يناسب القول بالاستحباب يناسب القول بالوجوب، وهو ممَّا لا غرابة فيه كما يشهد له خفاءُ الحكم في مسألة تطهير البئر نزحاً بالدِّلاء مع كثرة الابتلاء، وكما هو مشاهد في زماننا من عدم تفريق كثيرٍ من العوام بين واجبات الصَّلاة ومستحباتِها، على أنَّه قد ذهب جملةٌ من متقدِّمي علمائِنا إلى القول به -على نحوٍ يحقِّق الشُّهرة- كالشَّيخين وابن البَّراج وابن حمزة وابن زهرة والكيدريّ وأبي الصَّلاح الحلبيّ الذي نسبه إلى الأكثر، والمرتضى على الرِّجال خاصَّة -علماً أنَّه لا يعمل إلّا بالإجماع والمتواتر دون أخبار الآحاد- وغيرهم في الجملة كابن الجنيد.

ارتكاز الوجوب:

ويستأنس من رواياتٍ كثيرةٍ أنَّ المرتكز لدى أصحاب الأئمة عليهم السلام وجوب الأذان والإقامة، ولو من جهةِ كثرة السُّؤال عن شرائطهما بنحوٍ يكشفُ عن عظيم عنايتهم، وشديد اهتمامهم بهما، وهو ما لا يتلاءم إلّا مع القول بالوجوب خاصَّة، وهذه الرِّوايات كالآتي:

الرواية الأولى: موثَّقة عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لا بدَّ للمريض أن يؤذِّن ويقيم إذا أراد الصَّلاة ولو في نفسه إن لم يقدر على أن يتكلَّم به**»، سُئل: فإن كان شديدَ الوجع؟ قال: «**لا بدَّ من أن يؤذِّن ويقيم؛ لأنَّه لا صلاة إلا بأذان وإقامة**»(١).

الرواية الدَّلالة: يستأنس من هذه الرِّواية أنَّ المرتكز في ذهنِ عمّار وجوب الأذان والإقامة، وإلّا فأيُّ معنىً لسؤالِه عن السُّقوط مع شدَّة وجع المريض، فإنَّ الاستحباب لا كلفةَ فيه.

الثَّانية: موثَّقة أخرى لعمَّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سُئِلَ: عن الرِّجل يؤذِّن ويقيم ليصلِّي وحدَه فيجيء رجلٌ آخرَ فيقول له: نصلي جماعة، هل يجوز أن يصليا بذلك الأذان والإقامة؟ قال: «**لا، ولكن يؤذِّن ويقيم**»(٢).

الرواية الثَّالثة: صحيحة جميل بن درّاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن المرأة؛ أعليها أذان وإقامة؟ فقال: «**لا**»(٣).

الرواية الرَّابعة: صحيحة زرارة بن أعين، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجلٍ نسي

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٢٨٢.

(٢) الكافي، الكليني، ج٣، ص٣٠٤، ومن لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص٣٩٤، وتهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٢، ص٢٧٧.

(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥٧.

الأذان والإقامة حتى دخل في الصلاة، قال: «**فليمض في صلاته، فإنَّما الأذان سنَّة**»(١).

الدَّلالة: تقدَّم في مناقشة ذيل هذه الرِّواية أنَّ خفاء الحكم على مثل زرارة، وجواز المضيّ في الصَّلاة مع الإخلال بالمستحب ممَّا لا يترقَّب منه، ما يكشف عن وجود ارتكاز لديه بالوجوب، غاية الأمر عدم علمِه بأنَّه ممَّا ثبتَ بكتابِ الله عَزَّوَجَلَّ فهو فريضة أو هو ممَّا ثبت من سنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لا يقال: بأنَّ سؤالَه من أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يكشف عن حداثة سنِّه، فلا مانع من خفاء الحكم لديه، فإنَّه يقال: بأنَّ مثل الأذان والإقامة ممَّا لا يخفى حكمُه عادة على عوام المتشرِّعة فضلاً عن علمائِهم، على أنَّ زرارة كان عالماً فقيهاً على مذهب العامَّة في حداثة سنِّه.

الرواية الخامسة: صحيحة عمر بن يزيد، قال: سألتُ أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإقامة بغير أذان في المغرب؟ فقال: «**ليس به بأسٌ، وما أحبُّ أن يعتاد**»(٢).

الدَّلالة: وهذه الرِّواية وإن كانت ظاهرة في استحباب الأذان إلّا أنَّها تكشف عن ارتكاز وجوبه لدى السَّائل، ولا أقلّ من خفاء حكمه عليه وإلّا فأيُّ معنىً للسُّؤال.

الرواية السَّادسة: صحيحة علي بن يقطين قال: سألتُ أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن الرَّجل ينسى أن يقيم الصَّلاة وقد افتتح الصلاة؟ قال: «**إن كان قد فرغ من صلاته فقد تمَّت صلاته، وإن لم يكن فرغ من صلاته فليعد**»(٣).

الدَّلالة: السُّؤال عن تمامية الصَّلاة وعدمها مع نسيان الإقامة، يكشف عن وجود ارتكاز لدى السَّائل بأنَّها شرط في صحَّة الصَّلاة، وهو ما يتناسب مع الوجوب الغيريّ.

الرواية السَّابعة: صحيحة عليّ بن رئاب قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: تحضر الصَّلاة

(١) الاستبصار، الطوسي، ج١، ص٣٠٤، وتهذيب الأحكام، ج٢، ص٢٥٨.
(٢) الاستبصار، ج١، ص٣٠٠، وتهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٥١.
(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٢، ص٢٧٩.

ونحن مجتمعون في مكانٍ واحدٍ، أتجزينا إقامة بغير أذان؟ قال: «**نعم**»[١].

الدَّلالة: لا يقال: بأنَّ هذه الصَّحيحة تعارض ما دلَّ على وجوب الأذان كما في صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام: «**يجزيك إذا خلوت في بيتك إقامة واحدة بغير أذان**»[٢]؛ فإنَّه يقال: بأنَّه لا ظهورَ في قوله: «**ونحن مجتمعون في مكان واحد**» على صلاة الجَماعة، بل هي على وجوب الأذان في صلاة الجَماعة أدلُّ، فإنَّ ابن رئاب ربَّما توهَّم أنَّ الإقامة حال الاجتماع لا تجزي عن الأذان، كما في صلاة الجَماعة، فأجاب الإمام عليه السلام بما يرفع مثل هذا الوهم.

الرواية الثَّامنة: السُّؤال عن صحَّة الأذان من غير طهور: صحيحة محمَّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن الرُّجل، يؤذِّن على غير طهور؟ قال: «**نعم**»[٣].

الرواية التَّاسعة: السُّؤال عن صحَّة الأذان من جلوس: رواية حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الأذان جالساً؟ قال: «**لا يؤذِّن جالساً إلّا راكبٌ أو مريضٌ**»[٤].

الرواية العاشرة: السُّؤال عن أذان غير العارف: موثَّقة عمَّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سُئل عن الأذان؛ هل يجوز أن يكون عن غير عارف؟ قال: «**لا يستقيم الأذان، ولا يجوز أن يؤذِّن به، إلّا رجلٌ مسلم عارف، فإنَّ علم الأذان وأذَّن به، ولم يكن عارفاً لم يجز أذانه ولا إقامته ولا يقتدي به**»[٥]، الحديث.

الرواية الحادية عشر: السُّؤال عن النِّسيان في الإقامة والأذان: عن عمَّار السَّاباطيّ أنَّه قال: سُئِلَ أبو عبد الله عليه السلام: عن رجلٍ نسي من الأذان حرفاً فذكرَه حينَ فرغ من الأذان

(١) قرب الإسناد، الحميري، ص١٦٣.

(٢) تهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٢، ص٥٠.

(٣) وسائل الشَّيعة، الحرُّ العَاملي، ج٥، ص٣٩٢.

(٤) الاستبصار، ج١، ص٣٠٢، وتهذيب الأحكام، الطُّوسي، ج٢، ص٥٧.

(٥) الكافي، الكليني، ج٣، ص٣٠٤.

والإقامة قال: «**يرجع إلى الحرف الذي نسيَه فليقله، وليقل من ذلك الحرف إلى آخره، ولا يعيد الأذان كلَّه ولا الإقامة**»[١].

الرواية الثَّانية عشر: السُّؤال عن الأذان والإقامة إلى غير القبلة: معتبرة عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن رجل يفتتح الأذان والإقامة وهو على غير القبلة ثمَّ يستقبل القبلة، قال: «**لا بأس**».

وغيرها كثيرٌ من الرِّوايات تمَّ الإعراض عن ذكرِها خشيةَ الإطالة، ظاهر السُّؤال فيها عن شرائط الأذان والإقامة المفروغيّة من وجوبهما، وإن كانت دلالة بعضها على ارتكاز المفروغيّة من وجود موارد لسقوط الأذان والإقامة وانتفاء المشروعية أوضح.

دوران الوجوب بين النَّفسيّ الاستقلاليّ والغيريّ التَّبعيّ

في جملة ممَّا تقدَّم ذكرُه من الرِّوايات دلالة على أنَّ الأذان والإقامة واجبان غيريّان وشرطان دخيلان في صحَّة الصَّلاة، إلّا أنَّه يقعُ الكلام في صحَّة الصَّلاة على تقدير الشَّك في الشَّرطيّة.

ولا يخفى أنَّ مقتضَى الأصل اللَّفظيّ على القول بوضع أسماء العبادات للأعمّ، صحَّة التَّمسك بالإطلاق في طرف صيغة الأمر بالأذان لإثبات النَّفسيّة ونفي الغيريّة، أي وجوبه على تقدير وجوب واجبٍ آخر كالصَّلاة، إذ إنَّ مثل هذا التَّقييد يحتاج إلى مؤنة زائدة بنظر العرف.

كما يصحُّ التَّمسك بالإطلاق الواويّ لمادّة الصَّلاة وذلك لنفي الوجوب الغيريّ عمَّا يحتمل شرطيّته ووجوب تقيُّد الصَّلاة به كالأذان.

وأمَّا على القول بالوضع للصَّحيح فلا يمكن التَّمسك بإطلاق أيٍّ من مادّة الصَّلاة أو

(١) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص٢٨٩.

صيغة الأمر بالأذان، أمَّا الأوَّل فلوضوح دخل التَّقيد في المسمَّى، وأمَّا الثَّاني فلاحتمال دخل الصَّلاة في صحَّة الأذان، إمَّا على نحو الشَّرط المتأخِّر، وإمَّا على نحو التَّحصيص على أقلِّ تقدير، وهو ما يوجب سريان الإجمال للصِّيغة.

هذا، ومقتضى الأصل العمليِّ جريان البراءة عن شرطيّة الأذان كما في سائر موارد الدَّوران بين الأقلِّ والأكثر، لتحقُّق ضابط الانحلال الحقيقيّ في العلم الإجماليّ المردَّد بين قضيَّتين مشكوكتَين، إلى علمٍ تفصيليٍّ بالأقلِّ وشكٍّ بدويٍ بالأكثر فتجري البَراءة عنه.

وأمَّا على القول بأنَّ الأذان على تقدير وجوبِه النَّفسيّ فإنَّ الصَّلاة واجبٌ غيريّ حيث إنَّها شرطٌ في الصِّحة، تدخل المسألة في موارد الدَّوران بين المتباينين فتجري أصالة الاشتغال لعدم تحقُّق ضابط الانحلال الحقيقيّ كما هو واضح للترديد بين وجوب أحدهما نفسيّاً على تقدير وجوب الآخر غيرياً، ولعدم تحقُّق ضابط الانحلال الحكميّ إذ إنَّ التَّرخيص في الأطراف يستلزم التَّعارض المؤدِّي للتَّساقط، وفي أحدها غير المعيَّن ترجيح بلا مرجِّح.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ وآلِه الطَّيبين الطَّاهرين

ن والقلم وما يسطرون

حكمُ الحدَثِ في الطَّواف الوَاجب

الشيخ عليّ فاضل الصدديّ

الملخّص:

تعرَّض الكاتب إلى مسألة الحدث أثناء الطَّواف مبيّناً أنَّه لا خلاف في شرطيَّة الطَّهارة في الطَّواف، وإنَّما هناك كلام فيما لو أحدث الطَّائف أثناء الطَّواف وكان قبل إكمال النِّصف، فهل يبطل الطَّواف أو يكمل حيث قطع؟ ذهب الكاتب إلى أنَّه حسب القاعدة لا يبطل، ولكن حسب الأدلة الصَّحيح ما ذهب إليه المشهور من البطلان.

مقدِّمة:

بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم، وصلَّى اللهُ على محمَّد النبيِّ وآلِه..

لا كلام في شرطيَّة الطَّهارة من الحدث في الطَّواف الواجب؛ ومن الرِّوايات على الشرطيَّة صحيحة محمَّد بن مسلم قال: سألت أحدهما عليهما السلام عن رجل طاف طواف الفريضة وهو على غير طهور (طهر)، قال: «**يتوضَّأ، ويعيد طوافه..**»(١).

مسألتنا:

ولكن وقع الكلام فيما لو أحدثَ في أثناء الطَّواف فالمعروف هو التَّفصيل بين ما إذا أكمل النُّصف فلا يعيد، بل يتطَّهر، ويبني على السَّابق، وبين ما إذا لم يكمل النُّصف فيعيد من أوله، وفي المدارك: "**هذا الحكم مقطوع به في كلام الأصحاب**"(٢)، وقد يظهر من المنتهى دعواه الإجماع على ذلك؛ لتعرُّضه لخلاف الشَّافعيِّ خاصَّة في ذلك(٣).

ولكن في الفقيه: "**وروى حريز عن محمَّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن امرأة طافت ثلاثة أطواف أو أقلَّ من ذلك ثمَّ رأت دماً، فقال: «تحفظ مكانَها، فإذا طهرت طافت منه واعتدَّت بما مضى». وروى العلاء عن محمَّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام مثله. قال مصنِّف هذا الكتاب رضي الله عنه: وبهذا الحديث أفتي..؛ [لأنَّه] رخصة ورحمة**"(٤). وقوله عليه السلام: «**طافت منه**» يعني من المكان الَّذي حفظته.

وهذا من الصَّدوق رحمه الله قد يمثِّل خلافاً منه في مسألتنا.

إلا أنَّ سيِّد الأعاظم قدس سره أجاب عن ذلك بأنَّ ما ذكره الصَّدوق قدس سره حكم خاصٌّ بالحيض؛

(١) وسائل الشِّيعة١٣: ٣٧٤ ب٣٨، من أبواب الطَّواف ح٣.

(٢) مدارك الأحكام٨: ١٥٦.

(٣) انظر: منتهى المطلب١٠، ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) من لا يحضره الفقيه٢: ٣٨٣.

فإنَّ أقلّ الحيض ثلاثة أيَّام، فيتحقَّق الفصل الطويل بين الأشواط، وإذا دلّ دليل خاصٌّ على الصحّة وكفاية الإتيان بالباقي نقتصر على مورد النصّ، ولا نتعدَّى إلى غيره، وهو الحدث في نفسه مع قطع النظر عن مانع آخر كالفصل الطويل وعدم التوالي بين الأشواط(١).

والأمر كما أفاده‍ﷺ، فلم يظهر التزام الصدوق رحمه الله بالخلاف في مسألتنا، بل قد التزم رحمه الله في المقنع حتى في الحائض بالتفصيل المعروف، ونَسَبَ ما أفتى به في الفقيه في حقِّها إلى الرِّواية، فقال: "**وإذا حاضت المرأة وهي في الطَّواف بالبيت أو بالصَّفا والمروة، وجاوزت النُّصف، فلتعلِّم على الموضع الَّذي بلغت، (فإذا طهرت رجعت فأتمَّت بقيَّة طوافها من الموضع الَّذي علَّمته)، وإن هي قطعت طوافها في أقلّ من النُّصف، فعليها أن تستأنف الطَّواف من أوِّله. وروي أنَّها إن كانت طافت ثلاثة أشواط أو أقلّ، ثمَّ رأت الدَّم حفظت مكانها، فإذا طهرت طافت واعتدَّت بما مضى**"(٢).

نعم لو كان مدرك تفصيله فيها هو المرسلة الآتية فيردّ عليه- مضافاً إلى كون موردها الحدث الأصغر؛ للأمر فيها بالوضوء- أنَّها ناظرة إلى معالجة مانع الحدث، لا ما يتوفَّر عليه وعلى غيره كفوات الموالاة سيَّما مع الفصل الطَّويل كثلاثة الحيض، فضلاً عمَّا هو غالب فيه، وهو الستَّة أو السَّبعة أيام.

مقتضى القاعدة:

والبحثُ في مسألتِنا يقعُ تارةً على مقتضى القَّاعدة، وأخرى في ضوء روايات المسألة.

أمَّا على مقتضى القاعدة فقد أفاد سيِّد الأعاظم قدس سره أنَّ المانعيَّة شيءٌ، والقاطعيَّة شيءٌ آخر، فإنَّا لو كنَّا نحن وما دلَّ على اشتراط الصَّلاة بالطَّهارة كقوله عليه السلام: «**لا صلاة إلا بطهور**» لم يكد يستفاد منه إلا لزوم إيقاع أجزائها من التَّكبيرة والقراءة والرُّكوع

(١) انظر: المعتمد في شرح المناسك٤= موسوعة الإمام الخوئيّ٢٩ قدس سره: ٦، مستند الناسك في شرح المناسك١(٣): ٢٩٥.
(٢) المقنع: ٢٦٤، ٢٦٥.

والسُّجود ونحوها مع الطَّهارة، وأمَّا الأكوان المتخلِّلة بينها فلا مقتضي لمراعاة الطَّهارة فيها؛ فإنَّ المكلَّف وإن كان بعدُ في الصَّلاة ومتشاغلاً بها ولم يخرج عنها إلا بالتَّسليم إلا أنَّ تلك الأكوان بأنفسها ليست من الصَّلاة؛ إذ هي كسائر المركَّبات ليست إلا نفس الأجزاء لا غيرها. وعليه فلا مانع لمن أحدث في الأثناء أن يجدِّد الوضوء -ما لم يستلزم محذوراً آخر من الفصل الطَّويل ونحوه-، ثمَّ يكمل من حيث أحدث لعدم استيجابه قدحاً في حصول الإجزاء بالأسر مع الطَّهارة، غايته أنَّ بعضها بالطَّهارة السَّابقة وبعضها الآخر بالطَّهارة اللَّاحقة، ولا ضير فيه بالضُّرورة. إلا أنَّ الَّذي يمنعنا عن الالتزام بذلك ما دلَّ من النُّصوص على قاطعيَّة الحدث -زائداً على شرطية الطَّهارة- الكاشفة عن اعتبار الطَّهارة حتى في الأكوان المتخلِّلة، ومن ثمَّ لو خلا كونٌ منها انقطعت الهيئة الاتِّصالية وسقطت الأجزاء اللَّاحقة عن صلاحيَّة الانضمام بالأجزاء السَّابقة.

ومن الضَّروريّ عدم ورود مثل هذا الدَّليل في باب الطَّواف، بعد وضوح عدم تأليف حقيقته إلا من مجرَّد السَّير حول الكعبة المشتمل على الأشواط السَّبعة، وأمَّا الأكوان المتخلِّلة ما بين الأشواط فلا ارتباط لها بالطَّواف، وعليه فلا مانع لمن أحدث أن يمكثَ أو يخرج عن المطاف من حيث أحدث، ويعود بعدما جدَّد الوُضوءَ إلى مكانه ويستمرَّ في سيره، بحيث لا تخلو أيَّة قطعة من سيره عن الطَّهارة، غاية الأمر أنَّ بعضها بطهارة سابقة والبعض الآخر لاحقة، [وهو] غير قادح في الصحَّة بالضَّرورة، وقد عرفت عدم اعتبار القاطعيَّة في المقام فلا مناص إذاً من الحكم بالصحَّة بمقتضى القَّاعدة، ولا يكاد يتنافى ذلك مع شرطية الطَّهارة بوجه[١].

ومنه يعرف ما في الاستدلال[٢] على البطلان ولزوم الاستئناف بما دلَّ على اعتبار الطَّهارة في الطَّواف كصحيحة ابن مسلم- الَّتي أوردناها في المقدِّمة-، وأنَّ المشروط عدمٌ عند عدم

(١) مستند الناسك في شرح المناسك١(٣): ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) انظر: دليل الناسك للإمام الحكيم ﵀: ٢٤٤.

شرطه، وقد خرجنا عن ذلك في فرض ما إذا أحدث بعد إكمال الشَّوط الرَّابع؛ للدَّليل.

وقد أورد بعضُ الأعلام(قدس سره) (١) -على ما أفاده سيِّد الأعاظم(قدس سره)- بعدَّة إيرادات، وخلص منها إلى أنَّ مقتضى القاعدة هو البطلان:

الإيراد الأوَّل: إنَّ الشرطيَّة أمر، والمانعيَّة أمر آخر، وأنَّ كون الشَّيء شرطاً لا يلازمه كون عدمه مانعاً، وإنَّ ظاهر اعتبار الطَّهارة في الصَّلاة في مثل قوله(عليه السلام): «**لا صلاة إلا بطهور**» هي الشَّرطيّة دون المانعيَّة.

وفيه: أنَّ شرطيَّة شيءٍ وإن كانت لا تلازم مانعيَّة عدمِه بحيث يكون الشَّيء شرطاً، ويكون عدمه مانعاً في عالم الاعتبار، ولكن مآل الشرطيَّة مرَّة إلى المانعيَّة، كما في اعتبار الطَّهارة في الطَّواف بعد إكمال نصفِه بدلالة مرسلة ابن مسلم، ومآل الشَّرطية مرَّة أخرى إلى القاطعيَّة، كما في نفس اعتبار الطَّهارة في الطَّواف قبل إكمال نصفه بدلالة نفس المرسلة.

الإيراد الثَّاني: النَّقض بما لو لبس المصلِّي ما لا يؤكل لحمه أو شيئاً نجساً ممَّا تتمُّ فيه الصَّلاة منفرداً أو استدبر القبلة في بعض تلك الأكوان، فإنَّه لا يجوز بوجهٍ الالتزام بعدم كون شيء من ذلك قادحاً في الصِّحة؛ لعدم وقوع شيء من أجزاء الصَّلاة مع المانع.

وفيه: أنَّ الكلام فيما لو خلِّينا ودليل الشرطيّة.

الإيراد الثالث: -وهو عمدة الإيرادات لديه(قدس سره)- أنَّ الأكوان المتخلِّلة غير خارجة عن الصَّلاة؛ فإنَّ الظَّاهر هو أنَّ المصلِّي بالنيَّة وتكبيرة الإحرام يدخل في الإحرام الصَّغير المتحقِّق في الصَّلاة، ويخرج من الإحرام بالتَّسليم، فالمصلِّي في جميع الحالات يكون في الصَّلاة ومحرماً بالإحرام الصّلاتيّ، فإذا قام الدَّليل على شرطيّة الطَّهارة في الصَّلاة أو على مانعيّة لبس غير المأكول فيها فمقتضاه عدم وقوعها صحيحة مع فقدان الشَّرط ولو في بعض تلك الأكوان المتخلِّلة، ولا يحتاج إلى قيام دليل آخر، وهكذا بالنِّسبة إلى وجود المانع، ويدلُّ عليه

(١) انظر: تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (ك. الحجّ٤): ٣١٢- ٣١٦.

أنَّ المتشرِّعة لا يرون المصلِّي في تلك الأكوان خارجاً عن الصَّلاة بحيث يتحقَّق الخروج والدُّخول منه مرَّة بعد أخرى، والظَّاهر أنَّ الطَّواف أيضاً مثل الصَّلاة فإنَّ حقيقته وإن كانت عبارة عن الدَّوران والحركة إلا أنَّه ليس بحيث إذا وقف في أثنائه للاستراحة يسيراً أو لاستلام الحَجَر- الّذي هو مستحب- يصدق عليه أنَّه قد خرج عن الطَّواف، بل هو في مثل الحالتين مشتغلٌ بالطَّواف غير خارج عنه، فالدَّليل على اعتبار الطَّهارة في الطَّواف يدلُّ على اعتبارها في جميع الحالات ومقتضاه البطلان مع عروض الحدث في الأثناء.

وفيه: -مضافاً إلى ما أفاده سيِّد الأعاظمِ قدس سره في كتاب الصَّلاة من ضعف أسناد ما دلَّ من الأخبار على أن تحريم الصَّلاة التَّكبير، وتحليلها التَّسليم[١]، وأنَّه لا يستفاد منها أكثر من كون الصَّلاة عملاً واحداً مركَّباً من سلسلة أجزاء معيَّنة، وأمَّا تأليفها حتّى من الأكوان المتخلِّلة بحيث يكون وقوع الحدث فيها مخلًّا بها فهو أوَّل الكلام، والنُّصوص المزبورة لا تدلُّ عليه بوجه[٢]، وبموجبه فلا ملازمة بين عدم كون الأكوان المتخلِّلة من الصَّلاة وبين خروج المصلِّي حينها من الصَّلاة، وأنَّه يخرج ويدخل مرَّة بعد أخرى- إنَّ الكلام -كما تقدَّم- فيما لو خلّينا ودليل الشَّرطية، ومعه فلا محلَّ للاستدلال لدخول الأكوان في الصَّلاة بأنَّ المتشرِّعة لا يرون المصلِّي في تلك الأكوان خارجا عن الصَّلاة.

فتحصَّل ممَّا تقدَّم أنَّ مقتضى القاعدة في ظلِّ دليل الشَّرطيَّة- إن في باب الصَّلاة أو الطَّواف- هو عدم بطلانهما بالحدث في أثنائهما، ولو دلَّ دليل على قاطعيّة الحدث للصَّلاة، فالقاعدة في باب الطَّواف هو عدمها، وعليه فالتزام بطلان الطَّواف بالحدث

---

(١) انظر: وسائل الشيعة١: ٣٦٦ ب١ من أبواب الوضوء ح٤، ٦، الوسائل٦: ٤١٧، ٤١٨ ب١ من أبواب التسليم١٠، ١١، ١٢، ١٣، الوسائل٧: ٢٨٦ ب٢٩ من أبواب قواطع الصلاة ح٢، مستدرك الوسائل٥: ٢١ ب١ من أبواب التسليم ح١. انظر وجه تضعيفها عنده قدس سره: مستند العروة الوثقى (ك. الصلاة٥)= موسوعة الإمام الخوئيّ١٥ قدس سره: ٢٩٥- ٢٩٩.

(٢) انظر: مستند العروة الوثقى (ك. الصلاة٥)= موسوعة الإمام الخوئي+١٥: ٤١١، ٤١٢.

قبل إكمال النِّصف هو المحتاج إلى دليل.

ولكنَّ المستفاد من قوله عليه السلام: «**لا بأس أن تقضي المناسك كلَّها على غير وضوء إلا الطَّواف؛ فإنَّ فيه صلاة..**»(١) أنَّ اعتبار الطَّهارة من الحدث في الطَّواف نظير اعتبارها في الصَّلاة، فمقتضى القاعدة هو البطلان والقاطعيَّة، فنحتاج إلى دليل على عدم بطلان الطَّواف بالحدث فيه بعد إتمام النِّصف، كما نحتاج إليه لو سلَّمنا بأنَّ المتشرِّعة لا يرون الطَّائف خارجاً عن الطَّواف -الَّذي حقيقته عبارة عن الدوران والحركة- إذا وقف في أثنائه للاستراحة يسيراً أو لاستلام الحَجَر، ولا يصدق عليه أنَّه قد خرج عن الطَّواف.

رواية المسألة:

-وبعد أن فرغنا من حكم مسألتنا بمقتضى القاعدة- نأخذ في تناول حكم المسألة في ظلِّ رواياتها الخاصَّة، فقد استدلَّ لبطلان الطَّواف لو أحدث قبل إكمال النِّصف بمرسلة ابن أبي عمير في نقل الكلينيّ رحمه الله، ومرسلة جميل في نقل الشَّيخ رحمه الله -وقد رواها عنه ابن أبي عمير- عن أحدهما عليهما السلام في الرِّجل يحدث في طواف الفريضة وقد طاف بعضه، قال: «**يخرج ويتوضَّأ، فإن كان جاز النِّصف بنى على طوافه، وإن كان أقلّ من النِّصف أعاد الطَّواف**»(٢)، وهما رواية واحدة.

وهي وإن كانت صريحة الدَّلالة على بطلان الطَّواف بالحدث في أثنائه قبل تجاوز النِّصف إلا أنَّها مرسلة، ولا حجِّيَّة للمرسل.

وثمَّة محاولات للتغلُّب على هذا المشكل:

الأولى: إنَّ المرسل هو ابن أبي عمير- الَّذي نقل في الكلمات عمل الأصحاب بمراسيله، ولا أقلّ من حكاية المعتبر الآتية-.

(١) وسائل الشيعة١٣: ٣٧٤ ب٣٨ من أبواب الطَّواف ح١.
(٢) وسائل الشيعة١٣: ٣٧٨ ب٤٠ من أبواب الطَّواف ح١.

ويتوجَّه عليها ما قاله المحقِّق رحمه الله في المعتبر: "**ولو قال: مراسيل ابن أبي عمير يعمل بها الأصحاب، منعنا ذلك؛ لأنَّ في رجاله من طعن الأصحاب فيه، وإذا أرسل احتمل أن يكون الرَّاوي أحدهم**"(١)، على أنهَّا مرسلة جميل لا ابن أبي عمير -بعد ما عرفت من وحدة المرسلتين-.

ومنه يعرف الجواب عن محاولة تصحيح الرِّواية بكبرى أنَّه لا يرسل إلا عن ثقة -كما قاله الشَّيخ رحمه الله في العدّة(٢)-، وأنَّ المرسل ليس ابن أبي عمير.

المحاولة الثَّانية: وهي تصحيحها بفكرة الإجماع على تصحيح ما يصحُّ عن جماعة- في كلام الكشِّيّ رحمه الله (٣)-، أحدهم جميل، وعلى تقدير تعدُّد الرِّوايتين فقد صحَّت رواية مقامنا عن ابن أبي عمير أيضا.

ولكن من محتملات هذه العبارة بنحوٍ معتدٍّ به هو الإجماع على تصديقهم؛ إذ هو المعطوف على التَّصحيح في عبارة الكشِّيّ رحمه الله في حقِّ الستة الأواخر كما السِّتة الأواسط، فلا تدلُّ على اعتبار مرسلاتهم أو الرِّوايات الّتي ينقلها هؤلاء عن المجاهيل والضُّعفاء، والبحث طويل.

المحاولة الثَّالثة: أنَّ الأصحاب أو المشهور قد عملوا بهذه الرِّواية، واستنادهم إلى هذه الرِّواية والفتوى على طبقها -خصوصاً مع عدم نقل خلافٍ ولو كان شاذّاً نادراً- يجبر الضَّعف، وتصير الرِّواية حجَّة معتبرة(٤).

وفيه أنَّه من المحتمل قويّاً -حتى لو تجاوزنا صغرى وكبرى الانجبار- أن يكون وجه

---

(١) المعتبر١: ١٦٥.

(٢) عدّة الأصول١: ١٥٤.

(٣) انظر: اختيار معرفة الرجال٢: ٨٣٠ (١٠٥٠).

(٤) انظر: تفصيل الشريعة (ك. الحجّ٤): ٣١٥.

العمل بها ما ذكره الكشّيّ من الإجماع، وهي المحاولة السَّابقة، وقد عرفت ما فيها.

وبعد أن لم تفلح أيُّ محاولة في معاضدة المرسلة ورفع ضعفها -سلك سيِّد الأعاظم قدس سره طريقاً آخر صحَّح به ما هو مشهور ومعروف من بطلان الطَّواف بالحدث قبل إكمال النِّصف، وخرج به عن مقتضى القاعدة لديه- وهو عدم البطلان والقاطعيّة، كما تقدَّم عنه- في هذا الفرض، فقال قدس سره مبيِّناً هذا الطَّريق:

"إنَّ حدوث الحيض أثناء الطَّواف وإن كان نادراً جدّاً ولكن مع ذلك كثر السُّؤال عنه في الرِّوايات، وأمَّا صدور الحدث خصوصاً من المريض والشَّيخ والضَّعيف كثيراً ما يتحقَّق في الخارج لا سيّما عند الزُّحام، ولا سيَّما أنَّ الطَّواف يستوعب زماناً كثيراً، [هذا كلُّه مقدِّمة أولى]، ومع ذلك لم ينسب القول بالصحَّة إلى أحد من الأصحاب، بل تسالموا على البطلان وأرسلوه إرسال المسلمات، [وهذه مقدِّمة ثانية]، وهذا يوجب الوثوق بصدور الحكم بالبطلان من الأئمةi، ولو لم يكن الحكم به صادراً منهم عليهم السلام لخالف بعض العلماء ولو شاذّاً، فمن تسالم الأصحاب وعدم وقوع الخلاف من أحد -مع أنَّ المسألة ممَّا يكثر الابتلاء بها[ا]- نستكشف الحكم بالبطلان، فما هو المعروف هو الصَّحيح"(١).

وقد صافقه على ذلك أحد أعاظم تلامذته قدس سره (٢).

وأورد عليه أحدُ الأعلام قدس سره أوَّلاً: بمنع المقدِّمة الأولى، وأنَّ عروض الحيض -كما الحدث- من المسائل المبتلى بها. وثانياً: بأنَّ وصول الحكم من ناحية الأئمة عليهم السلام هل يكون من غير طريق الرِّواية والسُّؤال والجواب، أو البيان الابتدائيّ، أو يكون كسائر الأحكام من طريق الرِّواية؟ لا مجال لادّعاء الأوَّل بوجه، وفي الفرض الثَّاني يسأل عنه، ما الوجه في عدم نقل الرِّوايات وعدم وصولها إلينا؟ فاللازم أن يقال: إمَّا بدلالة الرِّوايات الدالَّة

(١) المعتمد في شرح المناسك٤= موسوعة الإمام الخوئيّ٢٩ قدس سره: ٨.

(٢) التهذيب في مناسك العمرة والحجّ للميرزا جواد التبريزيّ٣ قدس سره: ١١.

على أصل شرطيَّة الطَّهارة في الطَّواف على البطلان في هذا الفرض، وإمَّا بصدور المرسلة المتقدِّمة عنهم الدالَّة على فتاوى الأصحاب، وعلى أيِّ تقدير يثبت المطلوب(١).

ويلاحظ على ما أورده أوّلاً أنَّه يكفي السيِّد الخوئيّ قدس سره ليستطرق إلى النتيجة في كلامه -بعد الفراغ من كون عروض الحيض- هو الآخر-من المسائل المبتلى بها- (نعم يكفيه قدس سره غلبة الحدث، وعموم الابتلاء به للرِّجال والنِّساء، كما لا يخفى، ولعلَّه قدس سره يريد بندرة عروض الحيض النُّدرة بالقياس إلى الحدث لا ندرته في نفسه.

ويلاحظ على ما أورده ثانياً بأنَّ وصول الحكم من ناحية الأئمة عليهم السلام لا ينحصر في طريق الرِّواية والسُّؤال والجواب، أو البيان الابتدائيّ، وبنابك الإجماع كدليل على ثبوت رأي الإمام عليه السلام، فما هو المبرِّر لحجّيّته وراء الرِّواية بأنحائها سوى كشفه عن دليل معتبر، كالارتكاز المتشرّعيّ، وأنَّ أصحاب الأئمَّة عليهم السلام كانوا يعيشون اتجاه بعض المسائل والموضوعات واقعاً تشريعياً لا غبش فيه، فالإجماع يكشف عن رأي الإمام عليه السلام بتوسُّط دليل معتبر، كما برَّره بذلك الأعلام العراقيّ والخمينيّ والصَّدر رضوان الله عليه (٢)، وما التَّسالم في بعض صوره إلا نسخة من نسخ الإجماع، وبموجب هذا لا ملزم للبناء على تماميَّة دليل الشرطيّة على البطلان والقاطعيّة أو على صدور المرسلة عن الإمام عليه السلام.

فتحصَّل أنَّ ما سلكه السيِّد الخوئيّ قدس سره لإثبات بطلان الطَّواف بالحدث في أثنائه قبل إكمال النِّصف- وفاقاً للمشهور والمعروف- متينٌ ووجيه.

ولكن بعد ما خلصنا إلى أنَّ مقتضى القاعدة في مسألتنا هو البطلان والقاطعيّة، فيكون ما صار إليه المشهور من بطلان الطَّواف بالحدث في أثنائه قبل إكمال النُّصف- مطابقاً للقاعدة، هذا.

---

(١) انظر: تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (ك. الحجّ ٤): ٣١٦.
(٢) انظر: نهاية الأفكار٣ (ق١): ٩٧، أنوار الهداية للإمام الخمينيّ+١: ٢٥٨، دروس في علم الأصول- مبحث الإجماع- للشهيد السيّد محمّد باقر الصدر٢ قدس سره: ١٣٠.

والمخالف للقاعدة هو صحَّة الطَّواف في فرض ما إذا اتَّفق الحدث في أثنائه بعد إكمال النِّصف، فنسخِّر نفس التَّسالم- الّذي تقدَّم- لإثبات الصحَّة في هذا الفرض؛ فإنَّ للتَّسالم دوراً في إثبات الصحَّة في الفرض الثَّاني في مقابل البطلان لو كان هو مقتضى القاعدة -كما هو المتّجه-، كما كان له دور في إثبات البطلان في الفرض الأوَّل في مقابل البطلان لو كان هو مقتضى القاعدة- كما عليه سيِّد الأعاظمﷺ.

ثمَّ إنَّ أحد الأعلام دام ظله وإن اختار عدم البطلان كمقتضى للقاعدة -وفاقاً لأستاذه سيّد الأعاظمﷺ- إلا أنَّه تنكَّر للمقدِّمة الثَّانية في كلام أستاذه، قائلاً: "**إذن ليس في المسألة إلا الشُّهرة ودعوى عدم الخلاف، ومن الواضح أنَّه لا أثر لها**"، ولذا صار إلى مقتضى القاعدة- من الصحَّة- في الفرضين[1].

وفيه: أنَّ الشُّهرة ودعوى عدم الخلاف بمجرَّدها شيء، وهي بضميمة المقدِّمة الأولى شيءٌ آخر، وذات أثر، وهو الكشف- بصورة قطعيَّة- عن الحكم الشرعيّ.

والمحصّلة الأخيرة أنَّ ما هو معروف وعليه المشهور في هذه المسألة هو المنصور.

والحمد لله أوّلاً وآخرا، وصلَّى الله على محمَّد النبيِّ الأمين وآله الغرِّ الميامين[2].

---

(١) انظر: تعاليق مبسوطة على مناسك الحجّ: ٢٩٢. هذا ولم أكن على اطِّلاع بما صار إليه من عدم بطلان الطَّواف بالحدث في أثنائه حتى في فرض ما قبل إكمال النِّصف، ففتح عليَّ في ذلك الأستاذ الأخ الحاجّ عبد الرضا عبَّاس (دام موفّقاً)، متسائلاً عن وجه ذلك، فوافيته بما في التعاليق، وتولَّد لديَّ عزمٌ في تحرير هذه المسألة، فكانت هذه الرسالة.

(٢) كتبت هذه السطور وأنا معتكف في جامع بلدتنا صدد من بلدات البحرين، وكان يعرف بمسجد الحَمَّام؛ لوجود حمَّام سباحة عامٍّ بالقرب من المسجد، لم أرَ إلا أطلاله، وبعد مدَّة مديدة من إمامتي الجماعة فيه عملت على تغيير اسمه إلى مسجد المصطفى صلى الله عليه وآله، وكان هذا الاعتكاف في أيام البيض من رجب الأصبّ من سنة ١٤٤٢هـ، وكنَّا منذ ما يزيد من سنة ولا نزال في معاناة مع وباء عامّ يعرف بفايروس كورونا (كوفيد ١٩)، فكانت المساجد معطَّلة من الصلوات جماعة وفرادى، فاعتكفت لوحدي، وكان أوَّل اعتكاف في هذا الجامع وفي البلدة، هذا والعزم ماضٍ على إحياء سُنّة الاعتكاف جماعيَّة في هذا الجامع بتيسير الله وتوفيقه.

Advisory Board :

Sh. Abdulla Ali Al daqaq

Sh. Ali Fadhel Alsadadi

General Superviser :

Sh. Abdulraoof Hasan Alrabeea

Editor in Chief :

Sh. Aziz Hasan Salman

Editor in Director :

Sayed Jalal Adnan Alawi

The assistant manager :

Sh.Jaafar Abdulnabi Aljaboori

Editorial Board :

Sh. Mohammed Ali Khatam

Sh. MAnsoor Ebrahim Hussain

Sh. Abbas Ali Alsayegh

Sh. Hussain Adeeb Alnaser

Sayed Mustafa Husain Majed